جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مقارنة الأديان

GUSU5093

كتاب المادة
Master Textbook

المحتويات

(فكرة تمهيدية عن الأديان؛ السماوي منها، والوضعي)

عناصر الدرس

الاعتقاد أمر فطري ضروري لكل نفس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

مما هو معلوم: أن الإيمان ضروري لكل إنسان، فمن منا لم يفكر في هذا الكون المحيط بنا: كيف نشأ؟ وكيف يسير؟ وما هدفه؟ هل وجد بذاته أو له خالق، أو وجد بالصدفة أم بقدرة قادر؟ ومن هذا القادر؟ وما صفاته؟ وما صلته بهذا العالم؟.

وهذا الإنسان أهو مركب من جسد وروح؟ وإن كان كذلك فما الروح: أخالدة هي أم فانية؟ وإن كانت خالدة فكيف يبعث الإنسان مرة أخرى؟ وكيف يحاسب؟ وما مصيره؟ ومتى سيكون ذلك؟ وهذه الدنيا هل لها نهاية ستقف عندها أو أنها مستمرة إلى غير نهاية؟ وهذه الحياة ألها أسلوب شريف وأسلوب وضيع؟ وما مقياس الخير والشر والحسن والقبح والحق والباطل؟ وهذا الإله على فرض وجوده أيمكنه أن يتصل ببني الإنسان ويختار أحدهم ليكون رسولًا بينه وبين باقي الخلق؟ وكيف ذلك؟ وبم نعرفه نحن؟

إن هذه الأسئلة وغيرها من مثلها تفرض نفسها على كل إنسان، ويشعر بحاجته الشديدة ورغبته الملحة في أن يحدد موقفه منها، ويعرف وجه الحق فيها؛ ليضع نهاية للقلق النفسي والتوتر العصبي والحيرة الفكرية التي يحياها وليعيش في طمأنينة قلب واستقرار نفس وهدوء بال، والدين هو الذي يقدم الإجابة الشافية عن هذه الأسئلة وعلى كثير غيرها من مثلها، فتطمئن النفس ويسكن القلب:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإننا نقرأ في كتب التاريخ سواء ما كتبه المسلمون أو غيرهم أنه قد وجد سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ رسول من عند خالق هذا الكون وأنه منحه علامات ودلائل على صدقه، فإن كان هدف الإنسان الحصول على السعادة وتجنب التعاسة فعليه أن يبحث في هذا الموضوع، ويدرسه دراسة جادة ليصل إلى وجه الصواب فيه، وخاصة أن التاريخ يحدثنا أيضًا أن الذين اتبعوا المبادئ التي جاء بها هذا النبي ﷺ سادوا الدنيا وكانوا عباقرة في كل مجالات الحياة، وعندما تخلو عنها أصابهم الذل والهوان.

فإذًا أهم المهمات أن نبحث عن قوله –أي: الرسول– الذي قضى الذهن في بادئ الرأي وسابق النظر بإمكانه، أهو محال في نفسه على التحقيق أو هو حق لا شك فيه؟ فمن قوله: إن لكم ربًّا كلفكم حقوقًا وهو يعاقبكم على تركها ويثيبكم على فعلها، وقد بعثني رسولًا إليكم لأبين ذلك لكم. فيلزمنا لا محالة أن نعرف أن لنا ربًّا أم لا، وإن كان فهل يمكن أن يكون حيًّا متكلمًا حتى يأمر وينهى، ويكلف ويبعث الرسل، وإن كان متكلمًا هل هو قادر على أن يعاقب؟ ويثيب إذا عصيناه أو أطعناه؟ وإن كان قادرًا فهل هذا الشخص بعينه صادق في قوله: أنا الرسول إليكم؟

إن الدين يبين لنا كيف نشأ العالم، وكيف أوجده الخالق جل في علاه، ويفسر لنا غوامض الكون: ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ

كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩- ١٢]، ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٣].

هكذا يبين لنا الدين كيف نشأ العالم ويوضح صلة الخالق به، ثم إن الدين يضع للإنسان النظام الأمثل لحياته في جوانبها المختلفة من عبادات تقربه من ربه، ومن تشريعات سياسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية لازمة لحياته في مجتمعه، فإن الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفردًا منعزلًا عن بني جنسه، وإلا ما وجد عقله وملكاته ودوافعه فرصة للنمو والاكتمال، فهو في حاجة إلى أن يعيش وسط جماعة وأن يتعاون معهم؛ لأنه لن يستطيع أن يعتمد على نفسه في كل ما يحتاج إليه من غذاء وكساء ومسكن وغير ذلك، بل لا بد أن يتعاون معهم يأخذ ويعطي.

وهذا التعامل يحتاج إلى نظام وقواعد وقانون يضبطه لكي يتحقق العدل ويتقي الجور والظلم، وإلا طغى الكبير على الصغير وأكل القوي الضعيف، وصارت الحياة فوضى وإباحية وعنفًا وأنانية، والدين هو الذي يقدم هذا النظام الذي يحقق العدل في المجتمع، وصحيح أن الإنسان يولد على الفطرة: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٤].

وهذه الفطرة لو تركت وشأنها لاتجه الإنسان إلى معرفة الله وحاول التقرب إليه، لكن هذه الفطرة قد تنحرف بصاحبها عن الصراط السوي وهذا ما حدث، فقد عبد أناس الأصنام وعبد آخرون الأشجار والحيوانات وبعض مظاهر الكون والطبيعة، فكان الدين لصيانة الفطرة من الانحراف ولتقويمها إذا اعوجت وتصحيحها إذا انحرفت، فالبيئة الفاسدة خطر كبير على الفطرة الإنسانية فإنها تمسخها وتبعد بها عن معرفة الخالق ﷻ والالتجاء إليه، ويتجلى ذلك في التأثير المباشر للأسرة على النشء، فقد تلقنه بعض المبادئ المنحرفة فيشب الطفل وهو متعصب لها نتيجة الأثر النفسي لوالديه فيه.

وهذا ما قاله سيدنا رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) ولم يقل أو يسلمانه لأن الإسلام دين الفطرة، وهذا ما يفسر لنا سر انصراف بعض العلماء على المستوى العالمي عن التدين، فإن الواحد منهم إذا ما تلقن في طفولته بعض الآراء المشوهة عن الله مثل التثليث والبنوة والصلب والخطيئة وما إلى ذلك، ثم اتجه إلى الدراسة العلمية في فرع من فروع العلم الحديث، الذي يعتمد على المنهج العلمي، الذي يقوم على الملاحظة والتجربة، أو على المنهج الرياضي الذي يقوم على مبادئ العقل، فإنه يشعر بتعارض بين بما تلقاه في صباه وبين ما يصل إليه من نتائج وحقائق، ثم ما يلبث هذا الصراع النفسي أن ينتهي بنبذ فكرة التدين والاتجاه فقط نحو العلم المادي، الذي جعله الله مباحًا لمن آمن به ولمن كفر.

فالتنشئة الخاطئة والبيئة الفاسدة والتعصب الأعمى والحرص على المصالح الشخصية والجري وراء الأهواء والشهوات، كل هذه عوامل تؤدي إلى انحراف الفطرة وشيوع الإلحاد، وكثيرًا ما نقرأ عن حوادث انتحار الشباب وانتشار الأمراض النفسية والعصبية في الدول المتقدمة التي تدعي الحضارة والعصرية،

وذلك بسبب طغيان الجانب المادي في الإنسان وإهمال الجانب الروحي الذي يشبعه الدين، ولم نسمع بمثل هذا في الدولة الإسلامية أيام أن كان المسلمون متمسكين بدينهم، وعلى صلة قوية بربهم جل في علاه.

والإيمان يحرر الإنسان من الخوف من المجهول ومن العبودية للمخلوق أيًّا كان شأنه، ويحرره من الذل والهوان والجبن والاستسلام؛ لأنه يؤمن بأن الخلق جميعًا لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فلا مجال مع وجود الإيمان للجبن ولا للنفاق ولا للكذب ولا للشقاق، فالأعمار مقدرة وهي بيد الله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] والأرزاق مقررة وهي أيضًا بيد الله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، والإيمان يجعل الإنسان متفائلًا دائمًا راضيًا بما قسم الله، لا يعرف التشاؤم سبيلًا إلى قلبه ولا اليأس طريقًا إلى نفسه، ولا يملك التحسر على ما فاته من أمور الدنيا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أيضًا فالدين ضرورة اجتماعية:

الدين كما هو فطرة إنسانية في ذات كل فرد فهو أيضًا ضرورة اجتماعية؛ لأنه هو الذي يحدد طريق التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يعتدي على نفسه أو ماله أو عرضه، يفعل ذلك لا خوفًا من مخلوق ولا رهبة من ذي سلطان ولا خشية من عقاب القانون الوضعي، بل يقوم بكل هذا مراقبة لربه في سره وعلنه في نهاره وليله، وسواء أكان أمام الناس أو بمفرده، والفطرة في حاجة ماسة إلى صون ورعاية وحماية وعناية، والقادر الحق على حمايتها من

التيارات الجارفة والشعارات الزائفة، ورعايتها من الأفكار العقيمة والآراء القيمة هو الله وحده سبحانه وتعالى.

وكلما اقترب الإنسان من ربه، والتزم منهاجه، ولجأ إلى رحابه، واعتصم بحبله؛ هداه وأرشده، وصانه وحماه، وأعزه وكفاه، يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧]

وليس لأحد أن يغتر بالعقل وقدرته على التفكير والابتكار بعيدًا عن الوحي الرباني والعون الإلهي، ولا أن يخدع نفسه بالعلم المادي وحده، ولا بما وصل إليه من الكشف عن كثير مما كان يجهله؛ لأن العلم الحديث نفسه قد أظهر بطلان كثير مما كان يراه العلماء فيما مضى حقائق لا ريب فيها، والإنسان قد يضل إذا اعتمد على تفكيره وحده؛ لأنه محاصر في دائرة المحسوسات، بل قد ضل مرارًا بالأمس ويضل كثيرًا اليوم وغدًا.

ومن آيات ذلك ما نعرفه من التراث الفكري لليونان وغيرهم من الأمم التي حرمت نفسها من نور الوحي الإلهي. يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين): "إن تقدمنا الحثيث في العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا، والإقرار بأن مثل ما نعلمه من الكون في جانب ما نجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم عميق، ذلك أن كل باب جديد يفتحه العلم من دلائل عظمة الكون وامتداده، ينفتح معه أفق أوسع للسؤال عما يتصل بهذا الميدان الجديد من المشاكل الكثيرة الغامضة، ولنأخذ مثلًا مجموعتنا الشمسية وما فيها من الكواكب السيارة التي لا يرى منها بالعين المجردة إلا عدد يسير، فقد اكتشف فيها من الأقمار والتوابع على عهد "لابلاس" ما تبلغ به اثنين وأربعين كوكبًا.

ثم أثبتت الأرصاد الأخيرة من أجزاء هذه المجموعة ما يجاوز الألف، ثم قامت الدلائل القوية على أن كل مجموعتنا هذه ما هي إلا واحدة من ملايين المجموعات التي لها أجزاؤها وتوابعها، والتي تختلف أعمارها ويتفاوت جوها ونظام حركتها وتكوين سطحها وطبقاتها وأسلوب الحياة فيها، وكل ذلك لا نعرف عنه شيئًا على وجه الوضوح واليقين، ولا أمل في الوصول إليه الآن إلا على ضرب من القياس والتخمين، فضلًا عما وراء ذلك من قضاء أو ملاء، حتى إننا لو عرفنا كيف تتكاثف بعض الغازات السطحية السحابية العليا فتتولد منها الشموس، لبقي علينا أن نعرف من أين تتولد تلك السحابيات نفسها.

وهكذا كان اتساع نطاق المعلومات هو نفسه اتساع لنطاق المجهولات؛ لأن محيط كل دائرة جديدة يمس الحدين بباطنه وظاهره، فلا يسع العقل إلا التسليم؛ لأن وراء كل مرحلة يقطعها من عالم الشهادة مراحل أخرى من عالم الغيب في آحاد وآباد لا يدرك الإنسان نهايتها إلا إذا انقلب المحاط محيطًا والحادث الفاني أزليًّا باقيًا، وصدق القرآن الكريم حيث يقرر هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

لذا شاء المولى ﷻ ألا يترك الإنسان لعقله وعلمه، فأمده بقبس من نوره ومنحه حرية كاملة في اختيار أقواله وأفعاله؛ ليكون مسئولًا عن كل ما يصدر عنه وليحقق الغاية من وجوده. والإنسان إذا تعهد نفسه بالحياة الروحية والصلة الإلهية مع الاعتدال في رغباته المادية والسير بها على ضوء ما جاءت به القواعد الشرعية، كان دائم السعادة غنيًّا بالله وإن كان صفر اليدين، عزيز الجانب دون ما تكبر، رحيمًا في غير ضعف، نقي السريرة محبًا للخير يعمل لصالحه وللإنسانية، على ضوء دينه الحنيف، فينجو من شقوة الدنيا وعذاب الآخرة.

أما إن قنع من دنياه بالماديات الفانية وقطع صلته بربه فهو ذليل مهما عز، وقلق وإن تظاهر بالاستقرار، وظامئ لري الله ولو شرب زلال الماء وعذب الحياة، كما أنه يعيش في وحشة وإن سامره الأخلاء وآنسه الأصفياء، وفوق ذلك فإنه في الحياة الخالدة يحرم من النعيم الإلهي، وأكثر من هذا أنه يكون في معية الشيطان وحزبه، وفي عذاب المنتقم القادر فيندم ولات ساعة مندم".

لا تخلو أمة من عقيدة وطقوس دينية تباشرها

كما أن حاجة الإنسان إلى العقيدة حاجة ماسة ومطلب هام، فدعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوى باطلة يكذبها الواقع ويبطلها تاريخ البشرية الطويل؛ إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان وفي أي ظرف وُجد، وعلى اختلاف أحواله وتباين ظروفه لا يخلو من عقيدة أبدًا، وسواء كانت تلك العقيدة حقًّا أو باطلًا صحيحة أو فاسدة، حتى أولئك الذين يدّعون اليوم أن العلم قد أغنى عن العقيدة وعن التدين، وأن الإنسان في عصر الذرة وغزو الفضاء لم يصبح في حاجة إلى الإيمان بالله تعالى، وبالغوا في الكفر والإنكار حتى قالوا: إن الإله لم يخلق الإنسان، وإنما الإنسان هو الذي خلق الإله.

وهم يريدون بذلك أن الإنسان في الظروف الصعبة التي كان يعيشها، والمخاوف تنتابه من كل ما حوله من مظاهر الكون؛ إذ هو يخاف المرض، ويخاف الفقر، ويخاف الرعد والبرق والفيضان والسيول والعواصف والزلازل وحتى الحيوانات، اضطر لأجل ذلك إلى الإيمان بقوة غيبية ذات قدرة لا تعجز وسلطان لا يغلب ولا يقهر سماها إلهًا، يفزع إليه عند الشدائد ويتقرب إليه بالعبادات ليدفع عنه الشرور ويقيه من المهالك، لهذا قالوا: إن الإنسان هو الذي خلق الإله

وليس الإله هو الذي خلق الإنسان، وهو قول مضحك، وجهل فاضح، وكفر صريح، وكذب ممقوت، ومغالطة مكشوفة، وسخف عقول لا حد له.

وتحرير هذه القضية الفاسدة هو أنهم إن كانوا يعنون بالإله الذي خلقه هو إله الوثنيين، الذين اتخذوا أصنامًا آلهة نحتوها بأيديهم وعبدوها بأهوائهم، فنَعم، هذه الآلهة خلقها الإنسان وليست هي التي خلقت الإنسان، وأما إن كانوا يعنون بالإله الذي خلق الإنسان الذي خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وخلق الإنسان وكرمه، فأنزل عليه كتبه وبعث إليه رسله وعرفه بنفسه وبشرائعه التي بها يتم كماله وتتحقق سعادته، فقولهم مغالطة وجهل وسخف وكذب؛ إذ الإنسان لم يخلق حتى نفسه فضلًا عن أن يخلق غيره، فكيف بالله خالق كل شيء وربه ومليكه، سبحانه وتعالى عما يصفون.

إن ادعاءهم استغناء الإنسان اليوم عن الإيمان بالله تعالى لأنه عرف الطبيعة واكتشف أسرار الكون، فما أصبح يخاف المرض ولا الفقر ولا الفيضانات ولا الزلازل والجوائح ولا العاهات، ادعاء باطل لا وزن له ولا قيمة أبدًا؛ إذ الإنسان ما زال يخاف من كل هذه، وجميع وسائله التي يملكها ليدفع بها عن نفسه لم تؤمنه بعد ولن تؤمنه أبدًا، وكيف والآلام التي يعانيها الإنسان اليوم - جسمانيًّا وروحانيًّا- تزداد يومًا بعد يوم، وفي كل أنحاء الوجود البشري، فوباء الكوليرا وأمراض السرطان والبرص والصرع وغيرها ما زالت تفتك بالآلاف من الناس، وفي كل سنة والمجاعات تهدد مناطق شاسعة من العالم، والفيضانات تجرف كل سنة القرى العديدة وتقتل وتشرد الآلاف من الناس، والزلازل من الحين إلى الحين تدمر المدن والقرى، ويودي بحياة الآلاف من البشر، ولم يستطع الإنسان الكافر بالله -والذي يدعي أنه خلق الإله- أن ينجو من هذه الويلات، فضلًا عن أن يضع لها حدًّا أو يوقف وجودها.

بل ازدادت مصائب الإنسان ومحنه وعظم الخطب واشتد عليه لما كفر بربه ودينه، فأصبح في تمزق شخصي وهبوط نفسي وسقوط خلقي كاد يفقد معها طعم حياته ولذة وجوده، لقد غاب ماء الحياة الحياء من وجهه فأصبح صفيقًا عربيدًا فاحشًا متفحشًا، وغار معين الكرامة الآدمية فيه فصار لا غيرة له ولا شهامة ولا كرامة ولا مروءة، أَلِف الكذب والغدر والخيانة، وتعوّد الجريمة ومرد على النفاق والتضليل والخداع.

فصارت المجتمعات البشرية وهبطت فيها الحياة إلى أبعد حدود الهبوط والسقوط، حتى صاح العقلاء منددين بالكفر والإلحاد، مطالبين بالرجعة إلى الدين والإيمان، بل حتى كبار الملاحدة قد نكسوا على رءوسهم وقالوا في وضوح: لا غنى عن الدين، وطالبوا علماء النفس والاجتماع بأن يضعوا لهم دينًا ولكن بدون الإيمان بالله؛ وذلك لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهم لا يريدون عدلًا ولا معروفًا ولا إحسانًا، كما لا يريدون أن يتخلوا عن الظلم والفحش والمنكر.

لذا فهم يريدون دينًا صناعيًّا يهذب نفس الإنسان ويكمل أخلاقه وبدون ذكر الله فيه، ولا ذكر أمره تعالى أو نهيه، وهيهات هيهات أن ينفع دين صناعي في تقويم الأخلاق وإصلاح النفوس وتهذيب المشاعر وتطهير الأرواح. إن القوم مغرورون مخدوعون جهال ضالون مضللون، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

والقصد من إيراد هذا الذي ذكر هو تقرير حقيقة علمية ثابتة بكل القوانين العقلية والشرعية، وهي أن الإنسان دائمًا في حاجة إلى الإيمان والتدين والعقيدة، وأن الدين ضرورة من ضرورات حياته وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن

الإيمان بربه وعن عبادته بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخلُ أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

والمراد بالنذير نبي أو رسول أو عالم وارث لعلم النبوة، ينذر تلك الأمة عاقبة الكفر بالله بكتبه ورسله وشرائعه، ويحذرها من نتائج الشرك بربها والمعصية له ولرسله، وما يتبع ذلك من انحراف السلوك بالظلم والشر والفساد.

وجه ضرورة الدين للإنسان:

الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض بهبوط أبيه الأول آدم وأمه حواء -عليهما السلام- من الجنة دار السلام، وهو في حاجة ماسة وملحة أيضًا إلى قوانين ضابطة تعدل من غرائزه وتنظم سلوكه، وتحدد اتجاهاته وتهيئه للكمال الذي خلق مستمدًّا له في كلتا حياته؛ الأولى هذه التي يقضيها قصيرة على هذه الأرض، والثانية التي تتم له في عالم غير هذا العالم الأرضي الهابط، وإنما في عالم الطهر والصفاء في الملكوت الأعلى، كما أخبر بذلك ربه بواسطة كتبه التي أنزلها وأنبيائه الذين أرسلهم.

غير أن تلك القوانين المطلوبة لتعديل غرائزه وتنظيم سلوكه وتحديد اتجاهاته في الحياة لا توجد، وهيهات هيهات أن توجد في تشريع غير رباني أو سماوي لا دخل لأهل الأرض في وضعه وشرعه؛ إذ لا يُعرِّف الإنسان بعواطفه وأشواقه ولواعج نفسه وبأفكاره وآماله ومتطلعاته، ولا يقوى على توفيته مطلوبه من ذلك كله إلا الله خالقه، فهو إذًا وحده الذي يحق له أن يضع من القوانين والشرائع والأديان ما يكمله به، ويعده للكمال والسعادة الأبدية الخالدة، ولذلك

كان الدين ضروريًّا للإنسان بوضعه الخاص، يأكل ويشرب ويتوقى الحر والبرد، وعليه أن يعمل لإعداد ذلك لنفسه، فيوجد بالسنن التي وضعها ربه طعامه وشرابه ولباسه ودواءه وسكنه ومركوبه، وهذه حال تدعو إلى تعاون أفراده لتوفير ما به تقوم حياتهم، وتستمر إلى نهاية أجلها المسمى.

والإنسان بفطرته يشعر بضعفه وحاجته إلى ربه في إعانته وتوفيقه ورعايته وحفظه، ولذا فهو يطلب التعرف إلى ربه، والتعرف إليه بما يحب من أنواع القرب وضروب الطاعات والعبادات، والإنسان بمواهبه وأفكاره ومشاعره وأحاسيسه يطلب دائمًا المزيد من السمو والرفعة في ذلك، حتى إنه لا يريد أن يقف عند حد أبدًا، فهو إذًا في أحواله الثلاثة التي ذكرنا مفتقر إلى تشريع ديني إلهي يلائم فطرته، وينظم له علاقاته فيما بينه وبين أفراده، الذين لا يستغني عن التعاون معهم لتوفير أسباب حياته وبقائها صالحة في هذا الوجود، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن، ويمده بعلوم ومعارف عن ربه ولقائه وعن كيفية عبادته ودعائه وذكره والتقرب إليه بفعل طاعته، وإتيان محابه وترك مكارهه واجتناب مساخطه.

كما يمده بفيض علمي كامل عن الحياة والكون يعرف به حقيقة الوجود وعلة الكون والحياة، وأسباب السمو والكمال والهبوط والنقصان التي تطرأ له في حياته الأولى والآخرة، وبناء على ما تقدم فضرورة الإنسان إلى دين إلهي صحيح أشد من ضرورته إلى العناصر الأولية لحفظ حياته من ماء وغذاء وهواء، ولا ينكر هذه الحقيقة أو يجادل فيها إلا معاند مكابر لا يؤبه لعناده ولا يلتفت إلى جداله، كما أن دعوى العقل في إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده دعوى باطلة ساقطة لا وزن لها ولا واقع، وذلك لأننا رأينا الكثير من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحي الإلهي لم تغنِ عنها هداية العقول شيئًا،

فضلّت وهلكت، ومما قاله القرآن في هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وذلك لأن العقول لا تهدي إلى معرفة كل ما ينفع الإنسان في حياته ليأخذ به، ولا إلى معرفة كل ما يضر الإنسان في حياتيه كلتيهما ليتجنبه، وينجو مما يضره إلا في ضوء الشرع الإلهي ونور وحيه؛ لأن العقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة إبصار، والعين قطعًا لا تبصر ومهما كانت سليمة وقوية إلا في الضوء والنور، ولا يمكنها أن ترى وتبصر في الظلام أبدًا، وفي حال من الأحوال العقل مثل العين سواء بسواء، كما أن العين لا تبصر إلا في الضوء والنور فإن العقل لا يدرك إلا على ضوء الشرع الإلهي، ونور وحيه تعالى إلى أنبيائه ورسله، ومن رأى غير هذا فإنه يغالط نفسه ويكابر في شيء من الخطأ والضلال والمكابرة فيه؛ لكونه من المحسوس المشاهد.

كما أن دعوى الاكتفاء بالعلم عن الوحي الإلهي الذي تمثله الشرائع الإلهية الصحيحة السليمة من التحريف والزيادة والنقص والتبديل كالدين الإسلامي مثلًا دعوى باطلة قطعًا ومن وجهين أيضًا:

الأول: أن ما عند الناس من بعض العلوم والمعارف في الفنون والأخلاق والآداب إنما هو بدون شك مأخوذ من الوحي الإلهي، إما بالنص اللفظي أو الاستنباط، وإنما نسب إلى بعض الأشخاص مغالطة وتضليلًا لا غير.

الثاني: أن العلم المادي مقصور على نفع الإنسان في الجانب المادي منه وهو الجسم ومتطلباته، وأما الجانب الروحي -وهو الأهم قطعًا- فإن العلم المادي لم

يخدمه في شيء ولم يقدم له أي نفع ألبتة ؛ لأنه لم يكن روحيًّا مجانسًا للروح فيقدم له ما هو في حاجة إليه.

إن العلوم الإنسانية الخالية من الوحي الإلهي لم تَعْدُ الكشف عن بعض الظواهر الكونية المادية فقط ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] فكيف إذًا تستطيع أن تقدم أي خدمة للروح وهي لم تكسر حجاب المادة بعد، ولم تعرف أي سر عن حقائق الكون وعلله، وقد اعترف علماؤها بالعجز الكامل عن معرفة العلل والأسرار لأية ظاهرة من ظواهر هذا الكون فقالوا: اسألونا بكيف لا بماذا، يعنون قولوا لنا: كيف وقع الشيء الفلاني فإننا نجيبكم، أما لماذا وقع فإننا لا نعرف الإجابة عنه ولا نملكها أبدًا؛ وذلك لحرمانهم من علوم الوحي الإلهي.

وشيء آخر: أليست العلوم المادية قد بلغت الذروة في الكمال بعد أن قطعت شوطًا بعيدًا في التطور والشمول في كل المجالات؟ ومع هذا الكمال فإن البشرية في شقاء دائم، ولم تخط يومًا خطوة إلا إلى شقاء آخر أكبر، والواقع يشهد وكفى به شهيدًا، ولذا فإنه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة والتسليم بها، وهي أن الدين الحق ضروري للإنسان لا غنى له عنه بحال من الأحوال، وأن كمال الإنسان وسعادته متوقفان عليه توقف المعلول على علته والمسبب على سببه.

وليعلم أخيرًا أن الدين الذي نعني ضرورته للإنسان لتوقف سعادته وكماله عليه في الدنيا والآخرة إنما هو الدين الحق الصحيح، الدين الذي شرعه الله وصحت نسبته إليه تعالى، أما الأديان الباطلة المفتراة كالبوذية والمجوسية والمحرفة المبدلة كاليهودية والنصرانية، فإنها وإن سميت أديانًا فإنها خالية من الوحي الإلهي الذي يمثل فيه شرعًا إلهيًّا متكاملًا، يقدم للإنسان كل ما يحتاج إليه لإصلاح جسمه وروحه وإسعادهما في الدنيا والآخرة.

والدليل الواضح لذلك أن أوربا المتدينة بالنصرانية لم تتقدم حضاريًّا إلا بعد التمرد والكفر بالدين، الذي كانت تعيش عليه زمنًا طويلًا وهو يكبلها ويقيدها، حتى قام رجال منها وحاربوه وخرجوا عن قيوده وكفروا بشرائعه، وبذلك تم لهم الانعتاق من الضلال والانطلاق من الباطل، وإن بحثت البشرية الراشدة العاقلة عن دين إلهي صحيح سليم فإنها واجدته قطعًا وبدون شك في الإسلام، دين البشرية العام الذي تضمنه كتابه القرآن الكريم، الذي لم ينقص منه حرف منذ أن نزل ولم يزد فيه آخر ولم تحرف فيه كلمة عن موضعها منه، ولم تخرج عبارة عن مدلولها قط بالرغم من مرور ألف وربعمائة سنة عليه.

إن الدين الإسلامي هو الدين الكفيل بإنقاذ البشرية اليوم والخروج بها من محنتها محنة المادية العاتية، التي سلبتها أو كادت كل معاني الآدمية الكريمة والإنسانية الفاضلة، حتى صيرت الإنسان آلة لا فهم لها ولا ذوق ولا تقدير لها ولا احترام، فإلى الإسلام يا عقلاء الناس فإنه الدواء لدائكم والهداية لكم من ضلالاتكم، فأقبلوا عليه عقيدة وحكمًا ونظامًا فإنه ينجيكم ويسعدكم، جربوا فإن التجربة أكبر برهان.

لم توجد أمة بغير دين، ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة قد استحدثت في عصر ما، أو يكون ثمة وضع خاص من أوضاع العبادات قد جاء مجاوبًا مصنوعًا، فذلك سائغ في العقل بل واقع بالفعل، أما فكرة التدين في جوهرها فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان.

شهادة العلماء:

يقول "معجم لاروس للقرن العشرين": إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام

بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة بالإنسانية. ويقول: إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة، وعند عدد قليل جدًّا من الأفراد.

وكتب "برتلمي سنت هرير": "هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا: ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاء؟ من صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدءا؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة وما علاقتنا بهذه الخلود؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولًا جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحركة".

ويقول "شاشاوان": "مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر علميًّا وصناعيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء عظامًا كنا أو متواضعين خيارًا كنا أو أشرارًا، يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية، لِم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم، وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية وفي حقوقنا وواجباتنا".

ويقول "هنري برجسون": "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة".

سبق تقرير أن كل أمة لا تخلو من عقيدة ولا تخلو أيضًا من طقوس دينية تباشرها، الطقوس والخرافات اليوم، سواء أدرك الناس ذلك أو لا فإن أمورًا كثيرة يفعلونها ترتبط بممارسات أو معتقدات خرافية، وبعضها يتعلق بمعبودات أو

أرواح، مثلًا هل عرفتم أن لحفظ يوم الميلاد نشأته في علم التنجيم، الذي يلصق أهمية كبيرة بالتاريخ الدقيق لميلاد المرء، وماذا عن كعكة يوم الميلاد يبدو أنها تتعلق بالإلهة اليونانية أرطاميس، التي كان يحتفل بيوم ميلادها مع كعكات عسل قمرية الشكل تعلوها شموع، أو هل عرفتم أن لبس السواد في المآتم كان في الأصل حيلة للإفلات من انتباه الأرواح الشريرة التي كان يقال إنها متربصة في مناسبات كهذه.

وبعض الأفريقيين السود يطلون أنفسهم بالبياض، ويلبس النائحون في بلدان أخرى ألوانًا غريبة لئلا تعرفهم الأرواح، وإضافة إلى هذه العادات الشعبية فإن الناس في كل مكان لديهم خرافاتهم ومخاوفهم، ففي الغرب أن كسر مرآة رؤية قط أسود المشي تحت سلم وتبعًا لمكان وجودكم إن يوم الثلاثاء أو الجمعة الموافق لـ١٣ من الشهر ينظر إليها كلها بوصفها فئولًا تنذر بشيء شرير.

وفي الشرق يلبس اليابانيون الكيمونو والجانب الأيسر مطوي فوق الأيمن؛ لأن الطريقة الأخرى محفوظة للجثث، وتبنى بيوتهم دون نوافذ أو أبواب مواجهة للشمال الشرقي؛ لئلا تجد الأبالسة التي يقال إنها تأتي من ذلك الاتجاه المدخل، وفي الفلبين ينزع الناس أحذية الموتى ويضعونها بجانب الأرجل قبل الدفن لكي يرحب بهم القديس بطرس، والناس الكبار السن يطلبون من الصغار أن يحسنوا التصرف بالإيضاح أن الشكل على القمر هو القديس ميخائيل مراقبًا ومدونًا أفعالهم، ولكن الإيمان بالأرواح والمعبودات لا يقتصر على عادات وخرافات غير مؤذية حسب الظاهر.

ففي كلا المجتمعين البدائي والعصري يلجأ الناس إلى شتى الوسائل للسيطرة على الأرواح المخيفة أو تهدئتها، ولكسب رضا الخيِّرة، وعلى نحو طبيعي قد نفكر أولًا في الناس في الأدغال والجبال النائية، الذين يستشيرون الوسطاء الأرواحيين

-الأطباء الأرواحيين- والشامان -كهنة السحر- عند المرض أو غير ذلك في الشدة الرهيبة، ولكن الناس في المدن الكبيرة والصغيرة يذهبون أيضًا إلى المنجمين مستحضري الأرواح قراء البخت والمتكهنين؛ للاستعلام عن المستقبل أو للحصول على المساعدة في اتخاذ القرارات المهمة.

والبعض مع أنهم ينتمون اسميًّا إلى دين أو آخر يتبعون ممارسات كهذه بحماسة، وكثيرون آخرون جعلوا الأرواحية -السحر الأسود- وعلوم الغيب دينهم وما هو مصدر أو نشأة كل تلك الممارسات والخرافات، هل هي مجرد طرائق مختلفة للاقتراب إلى الله؟ والأهم ماذا تفعل للذين يتبعونها لإيجاد الأجوبة عن هذه الأسئلة؟ يجب أن نلتفت إلى الوراء متفحصين تاريخ الإنسان وننال لمحة إلى طرائق عبادته الأولى.

منهج تصنيف الأديان

اتضح لنا الفرق والتصنيف بين الدين الحقيقي، الدين الذي ينسب لله ﷻ وهو ما يسمى الملة، وبين الدين الذي وضعه البشر لأنفسهم وهو ما يسمى النحلة، فهناك فرق بين الملة التي هي دين الله تعالى، والنحلة التي هي الدين الوضعي الذي وضعه الإنسان، على هذا المنهج يمكن أن نسير في تصنيف الأديان إلى إلهي ووضعي.

والكلام الآن في هذا المحور عن الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي، حتى تكتمل المعلومة بمشيئة الله تعالى، فأقول -وبالله التوفيق-: لعله بات واضحًا الفرق بين الدين السماوي والدين الوضعي، ونستطيع أن نجمل القول بأن الدين السماوي ما توفرت له دلائل صحة سنده وسلامة متنه، بينما الدين الوضعي هو الذي لم تتوفر له دلائل صحة السند كما لم تتوفر له دلائل سلامة المتن.

وعلى ذلك أرى أن الدين قد يكون باعتبار أصله سماويًّا؛ لأن له نسبة إلى الوحي مثلًا، لكن يحكم على بعضه بالوضع لما أصاب المتن من تحريف وتغيير، أي: لم تتوفر له سلامة المتن، يعني فيه بقايا دين صحيح لكن اعتراه التغيير والتحريف كما سيأتي بعد ذلك، ويوجز الدكتور عوض الله حجازي الفروق بين الدين السماوي والوضعي قائلًا:

أولًا: أن الدين السماوي دين قائم على وحي الله تعالى إلى البشر بواسطة رسول يختاره الله منهم، أما الدين الوضعي فهو جملة من التعاليم وضعها البشر أنفسهم واتفقوا عليها، واصطلحوا على التمسك بها والعمل بما فيها. إنه تعاليم ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه.

ثانيًا: الدين السماوي يدعو دائمًا وباستمرار إلى وحدانية الله تعالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة، فلا يخضع المرء إلا لله ولا يستعين إلا به ولا يذبح إلا باسمه جل شأنه، أما الدين الوضعي فإنه يقدس الأحجار والأصنام ويجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة، بل قد تكون متنافرة ومتخالفة مثل إله الخير وإله الشر أو إله الحرب وإله السلم، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثالثًا: الدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه، فالله ﷻ لا يشبه شيئًا من مخلوقاته لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. قال المولى ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١- ٤] أما الدين الوضعي فإنه يجيز أن يكون الإله بشرًا مثلهم أو حيوانًا أو حجرًا يعبدونه ويخضعون له، ويقدمون له القرابين والهدايا، فقد عبد بعض الناس الشمس وعبدوا العجل واتخذوا فرعون -الذي قال لهم أنا ربكم الأعلى- إلهًا، وعبدوا الأصنام والأوثان.

ولا يزال الناس حتى أواخر هذا القرن العشرين -عصر العلم والحضارة والمدنية- يقدسون بعض الأشخاص ويتقربون إليهم ويعبدون البقر والغنم كما هو حاصل الآن في الهند وغيرها، مع أن هذه الآلهة كلها -التي عبدها ويعبدها البشر من دون الله- لا تستطيع أن تخلق شيئًا ولا أن توجد أضعف المخلوقات، بل إنها لا تملك لنفسها نفعًا أو ضرًّا.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

رابعًا: الدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غير قابل للنسخ والتبديل أو التغيير، فعقيدة الرسل جميعهم واحدة فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته والرسل وعصمتهم واليوم الآخر، وما يكون فيه من ثواب أو عقاب. إن الخالق عند جميع الرسل واحد، وإن هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة، وأن هذا الإله يجب أن يثبت له صفات الكمال وأن ينزه عن جميع صفات النقص، وأنه سيحاسب الناس جميعًا على أعمالهم ويجازيهم عليها إن خيرًا فالجزاء خيرًا، وإن شرًّا فيكون الجزاء شرًّا، وكل هذا قدر مشترك بين جميع الأديان السماوية، أما الدين الوضعي فالمعبود فيه قد يتغير من جيل إلى جيل ومن قبيلة إلى أخرى.

خامسًا: الدين الوضعي يلازمه النقص وعدم الكمال، ذلك أنه من وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائمًا، أما الدين السماوي فهو كامل إنه تام شامل؛ لأنه من وضع خالق

السموات والأرض، علام الغيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة والذي يحيط بكل شيء علمًا.

وهكذا نلحظ أن هذه الفروق الخمسة إما مردها إلى دلائل السند كالفارق الأول أو إلى دلائل المتن كالفروق الأربعة الأخرى".

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدارس للأديان الوضعية -مثل أديان الهند البرهمية والبوذية والجينية مثلًا، أو الديانة الفارسية القديمة أو ديانة قدماء المصريين مما اصطلح على تسميته دين وضعي- يجد فيها ذكرًا لصفات الرب المتفرد في الكمال والجلال أو ذكرًا لليوم الآخر والجزاء، مما لا إمكانية للعقل معه من علم الغيب ولا قدرة له عليه، فلا سبيل لإدراك شيء منه إلا بالسماع والنقل الوحي، وهذا يعني في نظري أنه دليل على بقاء آثار دين صحيح، وهو يتكامل مع قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وعلى هذا أستطيع القول بأن اجتهادات الناس التي وضعت لإصلاح حياة أمة بعينها مما اصطلح عليه فيما بعد دينًا وضعيًّا، إنما هي نتاج عقل في موروث جمع بين حق آثار وبقايا دين صحيح وباطل، مما أسفر عنه تدخل العقول في النصوص والتحريك لهذا الدين باتباع الأهواء، فكان هذا المزيج وإن كان لاعتبار نسبته لإنسان معين عرفناه بأنه دين وضعي.

كذلك الديانات السماوية مثل اليهودية والنصرانية مثلًا فهي سماوية باعتبار أصلها، لكن واقعها كما هي اليوم بأيدي أربابها نجد فيها أمارات التحريف

والكتمان والزيادة والتغيير كما ثبت، أعني فيها أمارات للوضع، وإن كانت باعتبارها وحيًا صحيحًا ودينًا سماويًّا صحيحًا فهي بنصوصها شيء آخر.

وبذا أكون قد وصلت إلى تقرير أو إيضاح فكرة تمهيدية على الأديان، السماوي منها والوضعي، من خلال: الاعتقاد أمر فطري ضروري لكل نفس، كل أمة لا تخلو من عقيدة، ولا تخلو من طقوس دينية تباشرها، وأيضًا منهج تصنيف الأديان.

علم مقارنة الأديان
(جذوره القرآنية – تاريخه – تطوره)

عناصر الدرس

الجذور القرآنية لعلم مقارنة الأديان

أولًا: معنى كلمة "مقارنة الأديان":

جاء في اللغة: قارن الشيء بالشيء مقارنة وقرانًا: اقترن به، وصاحبه. وقارن بين القوم: سوى بينهم. وقارن بين الزوجين قرانًا: جمع بينهما. وقارن بالشيء: وازنه به. وقارن بين الشيئين أو الأشياء: وازن بينها؛ فهو مقارن. ويقال: الأدب المقارن أو التشريع المقارن، ويقال أيضًا: مقارنة الأديان.

وبناء على ذلك يمكن تعريف "علم مقارنة الأديان" عند المسلمين بأنه: علم يقارن بين الأديان لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها، ومعرفة الصحيح منها والفاسد< إظهارًا لحقيقة الإسلام بأدلة يقينية.

أما مفهوم هذا العلم عند معظم المستشرقين فيختلف تمامًا عن مفهومه عند المسلمين، وذلك بناء على هدفهم لهدم الإسلام بكل الوسائل، فاهتمامهم بعلم مقارنة الأديان يرجع إلى هدفهم لهدم الإسلام عن طريق هذا العلم، بأسلوب علمي أظهروا فيه إخلاصهم للأديان كلها، وهذا أمر في منتهى الخطورة؛ لأن غرضهم هو التسوية بين الأديان كلها، واقتنع بعض المسلمين بأهمية العلم بناء على مفهوم وخطة المستشرقين.

ثانيًا: أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة علم مقارنة الأديان:

إن هناك أسبابًا متعددة أدت إلى نشأة علم مقارنة الأديان أهمها ما يلي:

١. الحرية الفكرية في الإسلام، فكان الخليفة المأمون مثلًا يعقد المجالس للمناقشة في الأديان والمذاهب والفرق، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل العلاء.

٢. تسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الكتاب، فقد كان لتسامح الإسلام وبخاصة مع أهل الكتاب وتقريره لمبدأ لا إكراه في الدين، أثره في دفع المسلمين إلى التعرف على الأديان الأخرى ومناقشتها ودراستها. ولم يكن هذا العلم عند المسلمين وسيلة للحط من الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية لا تعصب فيها تؤدي إلى نتائجها الطبيعية، ولذا دخل الآلاف والملايين في الإسلام بواسطة هذا العلم.

٣. الدفاع عن الإسلام بوصفه الدين الحق، ومواجهة تحديات الأديان الأخرى كتابية كانت أو وضعية، ولا شك أن هذا السبب يعد السبب الحقيقي لنشأة هذا العلم، حيث كان الغرض الحقيقي من المناقشات والجدل حول الديانات هو إظهار أن الدين الصحيح هو الإسلام، ويظهر هذا من مناقشة القرآن الكريم لأهل الديانات الأخرى، وكذلك أول رسالة وصلت إلينا في علم مقارنة الأديان والتي ألفها الجاحظ ورد فيها على النصارى، ودافع عن الإسلام وكذلك من الكتب التي بعد ذلك أيضًا.

فلقد حاولت الديانات السابقة: وضعية، وكتابية، وكذلك المذاهب الفلسفية: شرقية، أم غربية، أن تسرب إلى العقل المسلم بعض أفكارها ونظرياتها، مدثرة بألفاظ عربية ومظاهر إسلامية، مما أثر على بعض النشاطات العلمية، ومن الغريب أن بعض دعاة هذه الأديان والمذاهب كان يمارس نشاطاته علنًا مثل: يوحنا الدمشقي، يوحنا النيفي، وعدي بن يحيى وسعيد بن البطريق، وهؤلاء الناس كانت لهم شبهات نصرانية يخترقون بها المسلمين، وبعض اليهود أهل

التناسخ وإنكار النبوات، والثنويين، الثنويين الذين يقولون بإلهين اثنين وهم المجوس والثنوية وغيرهم، وغلاة الفلاسفة وبقايا الحرانين وغير هؤلاء.

وقد تصدى لرد هذه المحاولات علماء أكفاء كان لزامًا عليهم أن يدرسوا هذه الديانات، وأن يتعمقوا في كتبها وتاريخها وأصولها وفروعها للرد على دعاتها، وكان أكثرهم لا يتصدون للرد إلا إذا بلغوا في فهمها بعيدًا ويعدل أو يفوق شأن علمائها وأربابها، ولقد حفل التراث الإسلامي بأسماء لامعة عميقة في مجال الأديان والجدل مع أصحابها، يعني هذا الاحتكاك بين المسلمين وبين هؤلاء أصحاب الشبهات، وهذه المجادلات والمناظرات هي التي أسست هذا العلم.

فمنهم على سبيل المثال: الجاحظ، الكندي الفيلسوف، الإسكافي، ابن الإخشيد، أبو عيسى الوراق، المهدي، الحسن بن أيوب العامري، القاضي عبد الجبار من فرقة المعتزلة، الأشعري الإمام أبو الحسن الأشعري، الباقلاني، الجويني إمام الحرمين، أبو حامد الغزالي، الفخر الرازي، الشهرستاني وخاصة في كتاب (نهاية الأقدام في علم الكلام) وكتاب (الملل والنحل) للإمام الشهرستاني، الإمام ابن حزم، البيروني، اليعقوبي، المسعودي، أبو الوليد الباجي، القرطبي المفسر، علاء الباجي، ابن خلدون، الخزرجي القرطبي، ابن قوسين الطيب، أحمد بن إدريس، القرافي، أحمد بن تيمية، ابن القيم، عبد الحق الإسلامي، عبد الله الترجمان، نصر بن يحيى المتطيب، موفق الدين البغدادي، عبد العزيز الدميري، المسعودي، سعيد بن زاده الجزيري، وغير هؤلاء كثير ممن حفظت لنا كتبهم ورسائلهم أو ضاعت مع ما قد ضاع.

تـاريخ وتطـور علـم مقارنـة الأديـان

إن علم مقارنة الأديان قد مر بمراحل عديدة شأنه في ذلك شأن بقية العلوم الإسلامية، بل العلوم كلها على الإطلاق، وهذه المراحل يمكن تقسيمها كما يلي:

١. مرحلة التكوين:

إن من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين أنشئوا علم مقارنة الأديان، حيث إن العلم لم يظهر قبل الإسلام لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالًا، ويتضح هذا من موقف اليهودية من المسيحية والمسيح، فنحن نعلم أن اليهودية أنكرت المسيح عليه السلام إنكارًا تامًّا؛ لأن المسيح عندهم المخلص له شروط ولم تنطبق على سيدنا عيسى عليه السلام عندهم، فهم إلى الآن ينتظرون المسيح المنتظر في اليهودية.

فعندما قام المسيح عليه السلام بدعوته السامية ضد العنف والكراهية والحقد والبغضاء، داعيًا إلى المحبة والسلام والإخاء بين الناس ثار اليهود على رسالته وعلى دعوته، وأعلنوها حربًا شعواء تتسم بالمكر والخبث والغدر، وانتهت مؤامرتهم بالوقيعة بينه وبين الحاكم الروماني، وادعوا عليه بأنه ثائر على الحاكم الروماني وأنه يسعى لتكوين حزب سياسي، هدفه التخلص من الاستعمار الروماني وأنه يمهد لكي يكون ملكًا على اليهود، ومن هذه المؤامرات ما ورد في إنجيل متى، عندما سأله اليهود بخبث للوقيعة بينه وبين السلطة الرومانية، فقالوا له: أيجوز أن تعطى

جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراءون أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

ولم يقف الأمر عند حد التآمر عليه بل تطاولوا عليه كما تطاولوا على الأنبياء قبله، واتهموه بالكذب والتضليل والجنون والشعوذة في نسبه فقالوا: إنه ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض، وجاء في التلمود أيضًا أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري بندار بمباشرة الزنا، وأن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة.

وكذلك الحال بالنسبة لموقف النصرانية من اليهودية، فعندما قويت شوكة النصرانية اعتبرت نفسها وريثة لليهودية ولم ترَ مع وجودها وجودًا لليهودية، وصدق الله ﷻ إذ يقرر هذه الحقيقة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

ومثل ذلك أيضًا موقف الهندوسية من البوذية والبوذية من الهندوسية، ومثله موقف النصرانية من الإسلام والمسلمين في الأندلس، بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلك إذ أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين، وعدت اتجاهاتها هرطقة وضلالًا، وربما حكمت كل طائفة منها على أتباع الأخرى بالإعدام. مثل ما حدث في مذبحة باريس في ٢٤ أغسطس سنة ٥٧٢ ميلادية، التي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت.

هؤلاء الذين دعوا أو دعوا إلى باريس لعمل تسوية تقرب وجهات النظر فقتلوا خيانة وهم نيام، فلما أصبحت باريس كانت شوارعها تجري بدماء هؤلاء الضحايا، والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم مثلوا نفس دور القسوة

مع الكاثوليك، ولم يكونوا أقل وحشية في معاملة خصومهم، فهذا هو "مارتن لوثر" الذي كان من أبرز رواد حركة الإصلاح الديني يوجب على الدولة بعد أن توطد نفوذه أن تفرض ما يبدو لها رأيًا سليمًا، وأن تستأصل الهرطقة لأنها رجس من عمل الشيطان، وجاهر بإعدام طائفة منكري التعميد بالسيف بعد انسلاخها عنه، التعميد هو الغسل رمز للانخراط في طائفة معينة، الذي يدخل الإسلام يغتسل الذي يدخل النصرانية يغتسل، لكن عندهم يجب أن يكون التعميد من خلال كاهن يقوم بهذا الموضوع.

ومن هنا فلم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام، لماذا؟ لأن المقارنة نتيجة للتعدد وهذا التعدد لم يوجد قبل الإسلام، حيث إن كل دين ومذهب لا يعترف بالآخر، ولما جاء الإسلام انبثقت جذور علم مقارنة الأديان، فالإسلام قد جاء واعترف بالأديان السابقة عليه نظريًّا وواقعيًّا، فمن الناحية النظرية يعلن أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الرسالات السماوية، وبالتالي فقد ورث أهم ما في الأديان وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين.

ليس معنى وراثة الإسلام للأديان السماوية يعني إنه مقتبس منها، لا بل أنه يصحح كل الأخطاء السابقة، ويصحح كل التحريفات والتغييرات التي فعلها اليهود والنصارى في كتابهم المسمى بالعهد القديم والجديد، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، وبذلك يصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا دين سواه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويجمع المفكرون المسلمون على أن كل رسول يأتي برسالة تناسب زمانه وتحقق أغراضها في ذلك الزمان، وكلما تغير الزمان ودعت الحاجة إلى وجود رسالة أخرى جاءت هذه الرسالة تتفق مع الأديان السابقة في أصل الوحدانية، وتختلف في فروعها تبعًا لحاجة الإنسانية في ذلك الوقت، ولذلك يقول علماء الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٢- ٤]: إن الكفر بأي دين من الأديان التي نزلت بها الكتب المشار إليها ضلال يستحق مرتكبه العذاب الشديد، ومن الناحية الواقعية فإن الإسلام يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير مسلمة، ويتحدث عن أهل الكتاب وأهل الذمة وينظم حقوقهم وواجباتهم، وفي ضوء هذا وجد علم مقارنة الأديان، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠] وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

والقرآن الكريم نفسه يقدم لنا الدرس المنهجي الموضوعي الأول في مجال مقارنة الأديان، فلقد حفل بالحديث المفصل المستوعب عن الأديان والعقائد والملل والمذاهب المتنوعة، وحثنا على العناية بشأن تلك العقائد والديانات الأخرى والنظر فيها ومقارنتها بالدين الإسلامي؛ للتعرف من خلال النظر والمقارنة على صدق الإسلام وحقيقته وسلطان حجته، وعلى باطل الديانات الأخرى وتناقص كتبها ووهن عقائدها وضعف محتواها وفساد مبناها وتحريف كتبها وتزييف أصولها وتغيير فروعها.

ولقد عرض القرآن الكريم بفيض من الآيات الكريمة للديانات السائدة إبان نزوله وضعية أو كتابية، وأورد عقائدها بدقة معجزة كما يدين أصحابها بها، ثم فندها ودحضها ودعا الناس إلى تبصر الدين الحق الخالص، وهذا إن دل فإنما يدل على أن القرآن الكريم قد وضع جذور علم مقارنة الأديان، فقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فالمجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم.

ويشير صاحب (تفسير الظلال) الإمام الشيخ سيد قطب -عليه رحمة الله- إلى أن المجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم، والحكمة عنده لبيان حكمه مجيء الرسالة الجديدة والكشف عما بينها وبين الرسالات التي قبلها من صلة، والاقتناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات المكملة لها، وفق حكمة الله تعالى وعلمه بحاجة البشر، كما أن هناك آيات كريمة تدل على المقارنة بصفة مباشرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فالآية الكريمة تقارن بين الإله الحق والآلهة الباطلة، وبينت أن الإله هو المستحق للعبودية بخلاف غيره وهو الرزاق الوحيد، وأما الآلهة الباطلة فلا تملك للإنسان شيئًا؛ لأنها لا تضر ولا تنفع، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧] فالآية هنا تقارن بين الإله الحق وهو الله تعالى، وبين الإله الباطل الذي لا يَخلق بل يُخلق، وقال تعالى أيضًا: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ففي الآية مقارنة بين التوحيد والتعدد، وبيان أن التعدد يسبب الفساد، وفي القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة تحمل اتجاه المقارنة، كما أنه تحدث كثيرًا عن مقالات السابقين عليه وفندها ودحضها، ومن ذلك ما ذكره لمقالات الملاحدة - ملاحدة الدهر- فيقول تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ويقول تعالى: ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١- ٨٣] كما يسوق قول الذين أنكروا البعث والحياة الآخرة فيقول تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٦، ٣٧].

كما تحدث القرآن الكريم عن اليهود والنصارى وفصل مقالاتهم واعتقاداتهم ومذاهبهم، ولم يعالجها متعجلًا في نص أو نصين وإنما جاء بفيض غزير زاخر يتناولها من أقطارها ويكشف كل حناياها وأبعادها، وعلى سبيل المثال جاء الحديث عن بني إسرائيل في القرآن الكريم من أكثر المسائل نصوصًا بعد العقائد، ومن أشد المواقف القرآنية وضوحًا وتفصيلًا وحسمًا، فتحدث عنهم في المكي منه والمدني على السواء وفي السبع الطوال وما بعدها من المثاني والمئين والمفصل، وتناولهم بالآية المفردة والجملة المتصلة من الآيات، وفي تاريخهم الأول والمتكرر حتى عهد النبي الخاتم ﷺ بل تحدث عما سيأتي من أحوالهم بعده باعتبارهم أمة واحدة في الضلالة والبهتان تعمل على شاكلتها، وكما قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وإذا كان القرآن الكريم في كثير من آياته يحمل اتجاه المقارنة بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فإن السنة النبوية المطهرة حملت كذلك اتجاه المقارنة مما يدل على أصالة هذه الدراسة في الإسلام، فقد سجلت كتب الأحاديث وكتب السيرة كثيرًا من المناقشات والمجادلات والمحاورات، التي جرت بين الرسول ﷺ وبين اليهود حول الكتب المقدسة، وقضية الألوهية وقضية النبوة، وكان محصور بن سبحان هو المتحدث عن اليهود فقال للرسول ﷺ: ما دليلك على أن القرآن من عند الله، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ولقد نتج عن هذه المجادلات بالحسنى أن كثيرًا من قادة اليهود قد دخلوا في الإسلام مثل: عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسد بن عبيد، وكذلك نصارى نجران الذين جادلوا النبي ﷺ في أمر عيسى عليه السلام وقالوا له: كيف تقول في إلهنا! إنه عبد الله ورسوله ما هو إلا إله تولد من مريم الإلهة، إنه إله لأنه ولد من غير أب، لقد ولد من أم بلا أب، فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩- ٦٣].

يقول الإمام ابن كثير -عليه رحمة الله-: "كان سبب نزول هذه الآية وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران؛ أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى عليه السلام ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والألوهية، فأنزل الله صدر هذه السورة -آل عمران- ردًّا عليهم، يقول ابن إسحاق: وكانوا ستين راكبًا وقد جادلوا النبي ﷺ فنزلت الآيات من الله تبين للنبي ﷺ كيفية الرد عليهم، حيث علم الله نبيه ﷺ مجادلتهم بالحسنى والرد عليهم بالبينة المفحمة المبهتة قائلًا له:

قل لهم يا محمد: إن كنتم تعتقدون أن عيسى إله لأنه خلق من أم بلا أب، فإن آدم عليه السلام خلق بلا أب ولا أم، وإن كنتم تؤلهون عيسى لأنه خلق بدون أم فأولى بكم أن تؤلهوا آدم عليه السلام لأنه أشد إعجازًا في الخلق من أمر عيسى عليه السلام أما وإنكم لا تعتقدون ذلك فبطل قولكم: إن عيسى إليه".

ومن ثم نزلت الآيات: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] فقدرة الله لا تتوقف على الأسباب والمسببات ولا ترتبط بالعلل والعلات، بل إن قدرته دائمًا بين الكاف والنون فسبحانه يقول للشيء: كن فيكون، وهذا العلم الذي علمه الله لنبيه ﷺ إنما هو علم المجادلة والمقارنة، ولهذا يتضح لنا مدى أصالة هذا العلم، فهو يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد طبقه النبي ﷺ عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد وضعا البذور الأولى لنشأة علم مقارنة الأديان، فإن هذه النشأة أيضًا ناتجة عن طبيعة الدعوة الإسلامية، التي تواجه تحديات من تلك الأديان التي سبقت الإسلام في الوجود، فكان لزامًا على المسلمين أن يواجهوا اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم من أصحاب المذاهب والفلسفات الأخرى بمناقشاتهم ومحاوراتهم ومجادلاتهم بالحسنى.

وبهذه الطريقة فإن حقائق الإسلام تظهر أمام العقول وتؤمن بها القلوب، وتظهر أمام المسلمين أن المقارنة سلاح من أهم الأسلحة لمواجهة التحديات من أصحاب الديانات الأخرى.

٢. مرحلة التدوين:

لما جاء عصر التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري، وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث، اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان، فهو بذلك علم إسلامي كباقي العلوم الإسلامية، ومن المشاهير الذين كتبوا في مقارنة الأديان: النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢ هجرية ألف كتابه (الآراء والديانات)، ويعتبر الباحثون هذا الكتاب أول كتاب في علم مقارنة الأديان. والمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية ألف كتابين في الديانات؛ الأول: (المسائل والعلل في المذاهب والملل)، الثاني: (سر الحياة). والمسيحي المتوفى سنة ٤٢٠ هجرية وكتب كتابه (درك البغية في وصف الأديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة.

وكثر بعد ذلك التأليف في هذا المجال، ومن أبرز المؤلفين الذين كتبوا في هذا المجال من يلي: أبو الحسن العامري المتوفى سنة ٣٨١ هجرية ألف كتابه المشهور بـ(مناقب الإسلام). أبو الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٢٥ هجرية ألف كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة). أبو منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية ألف كتابه (الملل والنحل) رد فيه على الملل والنحل مدافعًا عن الإسلام. ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية ألف كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل). الشهرستاني المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية ألف كتابه (الملل والنحل).

الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هجرية ألف كتابه (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل). أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري المتوفى سنة ٦٦١ هجرية ألف كتابه (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل). أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤

هجرية ألف كتابه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة). أحمد ابن تيمية المتوفى سنة ٦٢٨ هجرية ألف كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح). ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هجرية ألف كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى). الشيخ عبد الله الترجمان ألف كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب). الشيخ رحمة الله الهندي وكتابه (إظهار الحق).

هذا قليل من كثير مما ألفه القدامى في مجال الملل والنحل، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد وجدت ترجمة للتوراة والإنجيل قام بها أحمد بن عبد الله بن سلام بن خليفة، ربما كانت هناك ترجمات عربية أخرى لم تصل إلى علمنا، قام بها الذميون من اليهود والنصارى يستعينون بها في أداء عبادتهم والتفقه في دينهم، وفي عهد الخليفة المأمون عقدت مجالس للمناقشة في الأديان والمذاهب والفرق، وهذا إن دل فإنما يدل على تطور الدراسات في المقارنات بين الأديان، ولذلك يقول أحد الباحثين الغربيين: إن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى ذلك التسامح -الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى أحد- كان سببًا في أن يلحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم مقارنة الأديان.

ونشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين، ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحط من الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية لا تعصب فيها إلى نتائجها الطبيعية، وبواسطة هذا العلم دخل الآلاف والملايين في الدين الإسلامي.

٣. مرحلة الظهور والاستمرار في الوجود:

في هذه المرحلة تطور علم مقارنة الأديان تطورًا عظيمًا، وكثرت فيه الأبحاث والدراسات والمؤلفات وخاصة في القرن الثالث الهجري والرابع والخامس

والسادس والسابع والثامن، حتى القرن التاسع تجد فيه كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) ألفه عبد الله الترجمان سنة ٨٢٣ هجرية، وطبع في مطبعة التمدن في القاهرة سنة ١٩٠٤ هجرية.

٤. مرحلة الهبوط والاختفاء:

بعد قرون من النشاط والحركة تسرب الضعف إلى علم مقارنة الأديان وأدى ذلك إلى اختفائه لعدة أسباب منها:

أ. ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب وبعدد من الأطباء والوزراء من غير المسلمين، فاستطاع هؤلاء بسبب نفوذهم أن يسكتوا أصوات المتحدثين والمؤلفين في علم مقارنة الأديان؛ لطعنه في عقائدهم المنحرفة، ولذا فقد ضعف هذا العلم.

ب. زحف الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي، وهؤلاء لا يعرفون تسامحًا دينيًّا ولا مجادلة بالحسنى، فقابلهم المسلمون بالقوة فخفت صوت المجادلات والمحاورات التي يتولد منها علم مقارنة الأديان تحت صليل السيوف.

ج. غلبة الاشتغال بالفقه على الحركة العلمية في هذه المرحلة، مما أدى إلى تراجع اهتمام العلماء ودراستهم لعلم مقارنة الأديان والمذاهب.

د. تبني بعض المسلمين الاتجاه الذي كان سائدًا لدى أتباع الديانات الأخرى، وهو عدم إمكان المقارنة بين الأديان، حيث لا يعترفون بغير دينهم وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة، ودان بعض المسلمين بهذا الاتجاه وهاجموا علم مقارنة الأديان على اعتبار أن الإسلام لا يقارن بسواه، ونسي هؤلاء أن القرآن الكريم كما اتضح سابقًا هو الذي وضع جذور هذا العلم.

ه. عدم اهتمام الحكام في تلك العصور بالعلم والعلماء كما كان أسلافهم من قبل، كالخليفة هارون الرشيد والمأمون والمعز لدين الله الفاطمي وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين كانوا يكرمون العلماء.

٥. انتقال علم مقارنة الأديان إلى الغرب:

إذ كان المسلمون في عصور الضعف قد أهملوا علم مقارنة الأديان لسبب أو لآخر، فإن موقف النصارى من هذا العلم كان مختلفًا تمامًا، فقد اهتموا بهذا العلم وهذا الاهتمام يرجع إلى ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأن اللقاءات السلمية التي كانت بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس وصقلية عرفتهم بمقارنة الأديان، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون ويحاولون الانتفاع به، ثم جاء عصر الاستعمار فقرر المبشرون -في الحقيقة هم منصرون- وقرر المنصرون أن الإنسان به نزعة دينية مهما كان ماديًّا أو تظاهر باللادينية، ثم إن معرفة الداعي لدين المدعو يساعد كثيرًا في التأثير عليه، وبناء على ذلك ازداد اهتمامهم بعلم مقارنة الأديان ليكون من وسائل التبشير أو التنصير ونشر المسيحية.

كما ظهر اهتمامهم بهذا العلم بصورة ملحوظة في أوائل القرن العشرين بوجود دراسات وأبحاث ودوائر معارف كاملة عن الأديان، وفتح أقسام لهذا العلم في جامعاتهم مثل القسم الخاص بهذا المجال في جامعة بنسلفانيا بأمريكا، ووزعت هذه الجامعة المنشورات للإعلان عن افتتاح هذا القسم مع ذكر ألوان التيسيرات التي تقدم للطلاب.

ومن المستشرقين الذين لهم نشاط بارز في علم مقارنة الأديان من يلي:

١. "البارون كارادي فو" الذي عقد موازنة بين ما كتبه كل من البيروني والمسعودي عن المسيحية، ورأى أن البيروني أكثر معرفة من المسعودي بالمسيحية.

٢. "سخاو" الذي ترجم كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) للإنجليزية وطبع سنة ١٩١٠ ميلادية للمرة الثانية.

٣. "بروكلمان" و"فينان" لهما أعمال مشتركة في الموسوعة الإسلامية، ولا ننكر أن "بروكلمان" له (تاريخ الأدب العربي) وهو مجلدات كثيرة.

٤. الأب "بيناردي لابوليه" صاحب كتاب (الدراسات المقارنة للديانات).

٥. "آسين بلانيوس" نشر النص العربي لكتاب (الرد على اليهود) للرقيلي وكتاب (الرد على النصارى) لأبي القاسم القيسي مع ترجمته إلى الأسبانية في سنة ١٩٠٩ ميلادية، وتوفي هذا المستشرق سنة ١٩٤٤ ميلادية.

٦. "أرندونك" كاتب مادة ابن حزم في الموسوعات الإسلامية.

ومن دوائر المعارف في الأديان التي أصدرها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين ما يلي:

١. دائرة معارف الدين والأخلاق التي نشرها الدكتور "ستنجر" لأول مرة عام ١٩٠٨.

٢. دائرة المعارف الألمانية عن الدين في الماضي والحاضر وقد ظهرت طبعتها الأولى عام ١٩١٤ ميلادية، والطبعة الثانية ظهرت عام ١٩٢٧ ميلادية.

٣. دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين وقد ظهرت طبعتها الأولى سنة ١٩٢٧ ميلادية بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد ترجمت بعض أجزائها إلى اللغة العربية.

٤. دائرة المعارف المختصرة عن الأديان التي نشرها الأستاذ "زينر" وهو أستاذ مقارنة الأديان بجامعة أكسفورد عام ١٩٥٩.

وهناك أعمال أخرى كثيرة في الأديان غير هذه الأعمال، لا شك أنهم قد نجحوا في أعمالهم واستطاعوا جذب انتباه المسلمين، وقد أفاد المسلمون من هذه الأعمال بلا شك، إلا أننا يجب ألا ننسى أن وراء هذه الأعمال أهدافاً أخرى تهدف في حقيقتها إلى هدم الإسلام والمسلمين بوسائل لا تحصى، وقد نبهنا الله ﷻ إلى ذلك فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] والمستشرقون من اليهود والنصارى داخلون في هذه الآية الكريمة، فينبغي أن نكون على حذر عند الاطلاع على أعمال هؤلاء المستشرقين حتى لا نقع في شباكهم بدون وعي منا، لماذا؟ لأنهم يدسون السم في الدسم كما يقال.

٦. عودة علم مقارنة الأديان إلى الساحة الإسلامية:

أفاق المسلمون في العصر الحديث من غفوتهم بعد أن أهملوا هذا العلم واهتم به الغربيون، وراحوا يحاولون استعادة الزمام مرة أخرى وأن يحيوا من جديد علم مقارنة الأديان ليكون سلاحًا في الحاضر كما كان سلاحًا في الماضي، وقد قطع العلماء المعاصرون شوطًا كبيرًا في هذه الدراسات وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هذا العلم وهم يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وبدأت المؤلفات تظهر من جديد في علم مقارنة الأديان إلا أنه لم يأخذ مكانه اللائق به في معاهد العلم الإسلامية، ونرجو أن يتجه الاهتمام بصورة أكبر حتى يأخذ مكانه اللائق في الدفاع عن الإسلام ورد العدوان عنه وكشف زيف وباطل أهل الديانات والمذاهب الأخرى.

ولا شك أن الدراسة الواعية من قبل الدعاة والباحثين للخريطة العقدية للعالم المعاصر، والإلمام العميق بأسرار هذه الديانات والمذاهب والنحل، والاطلاع على مكامن ضعفها ووهنها وتناقضها وتهافتها لا شك أن كل ذلك يدفع حركة الدعوة إلى الله على بصيرة ويحركها من وجوه متعددة، وعليه فحق للمسلمين أن يفخروا ويعتزوا بهذا العلم الذي يعد ابتكارًا علميًّا لم يسبقنا غيرنا إليه، بل إن الإسلام وحده هو الذي ضمن وجود هذا العلم لما حوى من تشريع إلهي حكيم، وإن القرآن الكريم هو الذي وضع جذور هذا العلم فالمجادلة بالتي هي أحسن هي مفهوم هذا العلم، وقد دون هذا العلم في القرن الثاني الهجري كغيره من العلوم، والمؤلفات في ذلك خير شاهد ودليل، وإذ يتبين لنا أصول هذا العلم وجذوره فلا معنى إذًا للتشدق من هؤلاء المحْدثين الذين يدّعون أن هذا العلم إنما يستمد أصوله من علوم الغرب.

ونقول لهؤلاء: أيهما أقدم حضارة وأيهما وجد أولًا الإسلام بعلومه وأحكامه وآدابه وحضارته أم هذه العلوم والمعارف التي وجدت حديثًا؟ ونخلص من ذلك أن علم مقارنة الأديان علم إسلامي أصيل، أبدعه المسلمون على أسس من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أهمية دراسة علم مقارنة الأديان

١. إن علم مقارنة الأديان علم عظيم الفائدة، إذ يقدم للمفكرين المسلمين أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، ليس فقط تحديات الأديان الأخرى وإنما تحدي الحركات الإلحادية الكبرى المنتشرة في العالم أيضًا.

٢. إن الداعية الناجح لا يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتي هي أحسن إلا إذا درس ما عندهم من ديانات، ووقف على الملل والنحل التي يدين بها غير المسلمين، لذا كان من واجب الداعية ذي البصر النافذ والبصيرة أن يقف على الأمور من حوله يتبصرها ويرقبها حتى يعلم الحق من الباطل والهدى من الضلال، فإذا علم ذلك استطاع أن يدفع الباطل ويرده عن دعوته وأن يناصر الحق والصواب على المنهج القويم الذي رسمه الله ﷻ للدعاة إليه إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣. إن علم مقارنة الأديان يقدم للمسلمين معرفة قيمة عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه ومتانة حجته ويسر كتابه، ومكانته العظمى من الكتب الأخرى ووضوح عقائده وكمال شرائعه وعلو آدابه وأخلاقه، وهذا هو الذي جذب كثيرًا من أكابر علماء اليهود والنصارى إليه، حيث هالهم ضعف دياناتهم واختلال عقائدهم وتناقض كتبها وانقطاع سندها فأسلموا وكتبوا وثائق نادرة رائدة أسهمت في تنمية علم مقارنة الأديان.

٤. إن دراسة علم مقارنة الأديان واجب علمي تقتضيه الضرورة الملقاة على عاتق الدعاة إلى الله تعالى؛ إذ بهذه الدراسة يستطيع الدعاة أو غيرهم من المثقفين الذين يهتمون بمقارنة الأديان أن يعرفوا تاريخ كل دين، وما حدث به من خلل أو انحراف خلال رحلته الطويلة، وستقود هذه الدراسة إلى حقيقة مهمة هي أن المسيحية الحالية مثلًا ليست هي مسيحية عيسى عليه السلام على الإطلاق، وأن اليهودية كذلك ليست هي الرسالة الحقيقية التي نزلت على موسى عليه السلام وأن المحاولات التي جرت للانحراف بالإسلام فشلت تمامًا

وحافظ ديننا على نقائه وصفاته بفضل القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، وإن ما دخل عليه من إسرائيليات أو استشراقيات هي الآن هدف هؤلاء الباحثين للقضاء عليها.

٥. إن هذه المقارنات التي تكون بين الإسلام من جهة وكل من اليهودية والمسيحية من جهة أخرى تؤكد ثقة المسلم في دينه من مقومات الأفضلية والامتياز، أما بالنسبة لغير المسلم من أبناء الدينين الآخرين فهو طريق إلزامي له أهميته في إثبات تفوق الإسلام على هذين الدينين من دونها بعناصر الصلاحية.

٦. إن علم مقارنة الأديان سلاح للمسلمين في الحاضر كما كان سلاحًا لهم في الماضي للدفاع عن الإسلام في مواجهة أصحاب الأديان الأخرى المهاجمين له الطاعنين فيه.

وبذلك نكون قد وقفنا على علم مقارنة الأديان من حيث المفاهيم والأسباب والنشأة والتاريخ والتطور والجذور القرآنية. سائلين الله ﷻ التوفيق والقبول.

اليهودية

(نسبتها - أصولها العقائدية)

عناصر الدرس

نسبة اليهودية

هاد الرجل أي: رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: رجعنا وتضرعنا، وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أن ما كان ينزل على إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء ما كان يسمى: كتابًا، بل: صحفًا، هذا الكلام للإمام الشهرستاني في (الملل والنحل).

ويمكن أن يكون لفظ اليهودية منسوبًا إلى "يهوذا" أحد إخوة يوسف عليه السلام وإطلاقه على جميع بني إسرائيل من قبيل التغليب؛ إذ اليهود بنو إسرائيل فسموا بيهوذا أحد أبناء يعقوب، والواحد يهودي.

تعريف اليهودية اصطلاحًا:

اليهودية اصطلاحًا: هم الزاعمون بأنهم أتباع موسى عليه السلام والتاريخ الذي أطلقت فيه هذه الكلمة على هذه الطائفة غير معلوم، ويمكن القول بأنها لم تطلق عليهم في عهد موسى عليه السلام وإنما كانوا يعرفون في عهده ببني إسرائيل، ويعرفون بقوم موسى عليه السلام كما يطلق عليهم كذلك أهل الكتاب بالاشتراك مع النصارى، وتحديد الكتاب هو الذي يميز بين اليهود والنصارى، فإن أريد به التوراة كان اليهود هم المرادون بأهل الكتاب، وإن أريد به الإنجيل كان النصارى هم المرادون بأهل الكتاب، وإن أطلق عمهما معًا، وفي هذا الكلام عليه ملاحظات:

أولًا: أن سيدنا موسى عليه السلام بعث بالإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

ﭽ ﭼ ﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] لكن كلمة يهودية أطلقت على الزاعمين بأنهم أتباع موسى عليه السلام وإن أطلقت هذه الكلمة الآن أصبح يراد بها أهل الكتاب وخاصة التوراة، وإن أطلقت وأريد بها الزاعمون بأنهم أتباع عيسى عليه السلام أيضًا هم أهل كتاب نسبة لكتابهم الإنجيل، وإن أطلق اللفظ ولم يحدد توراة ولا إنجيلًا يراد به اليهود والنصارى معًا.

اليهودية: رسولها، وكتابها:

أما رسول اليهودية فموسى عليه السلام وإن شئت قل: أما رسول الإسلام فهو موسى عليه السلام لأن سيدنا موسى عليه السلام لم يبعث باليهودية ولكنه بعث بالإسلام، وقد ولد في فترة اضطهاد بني إسرائيل وذهب إلى مدين، ونودي وهو في طريق عودته من جانب الطور الأيمن، وكلف بالرسالة وأرسل إلى فرعون ومعه أخوه هارون، ولما لم يؤمن فرعون برسالته رتب الخروج مع بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، وحاول فرعون اللحاق بهم غير أنه أغرق في اليم، ونجى الله موسى وبني إسرائيل معه، وكان له مع بني إسرائيل مواقف بعد النجاة وتلقى من الله عز وجل التوراة.

ولقد سجل القرآن الكريم ذلك في أربع وثلاثين سورة، منها سبع وعشرون سورة مكية وسبع مدنية، وقد فصلت قصته في عشر مواضع، منها ستة مواضع أكثر من غيرها تفصيلًا:

قال تعالى: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ١- ٦].

وتمضي الآيات موضحة فضل الله على موسى عليه السلام بإنجائه من كيد فرعون عندما أوحي إلى أمه بوضعه في التابوت وإلقائه في اليم ليقع في يد عدو لله وله، وأعطاه سلاحًا من المحبة يعطف عليه كل من يراه ليربى بالحنو والشفقة، ولقد حفظه الله وهو في اليم وفي بيت فرعون، وسخر أخته تدلهم على كافل يكفله بعد أن امتنع عن المراضع ليعود إلى أمه ليخفف آلامها وأحزانها، وخلصه من غم القتل الذي وقع منه خطأ، وامتلأت منه نفسه أسفًا وبعد لبثه سنين في أهل مدين يتلقى وحي الله.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٢٩- ٣٥].

ويصور القرآن الكريم موقف فرعون ومن معه من رسالة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[الأعراف: ١٠٣- ١٢٨].

وتوالت العقوبات على آل فرعون حتى كانت النهاية الكبرى والعقوبة العظمى لفرعون ومن معه الإغراق في اليم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠- ١٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٧، ٧٨] وقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥، ٦٦].

وبنجاة موسى ومن معه وإغراق فرعون وملئه بدأت مرحلة جديدة في دعوة موسى عليه السلام الذي خاض مع بني إسرائيل معركة أشد وأقسى وأطول أمدًا، حيث طلبوا منه عندما رأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم إلهًا كما لهم آلهة، وفي غيبته عنهم للقاء ربه قام السامري يجمع ما يحملونه من ذهب وفضة خرجوا به من مصر ووضعوه في النار، وصاغ لهم منه عجلًا له صوت وقال: هذا إلهكم فأقبلوا عليه يعبدونه، وأخبر الله موسى بذلك فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا، وفي هذا وذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٤٨- ١٥٣].

وعَدّ الله موسى بشريعة مفصلة لمنهج الحياة والمعاملة، وقد أعطى الله موسى وآتاه الألواح والصحف والتوراة والفرقان، وكلها مكملة لبعضها وأثنى الله على موسى وتوراته: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

هذا تأصيل ملخص لقصة موسى عليه السلام مع قومه، وسيأتي فيما بعد الحديث عن التحريف في حينه، وكيف أن اليهود كانوا أعداء لله عز وجل، وكانوا أعداء للأنبياء وكانوا أعداء لسائر العقائد.

الأصول العقدية لليهودية

عاش اليهود فكريًّا وروحيًّا في داخل مجموع من نصوص العهد القديم والشريعة الشفوية أو المِشنا ثم التلمود –الحديث عن كل ذلك سيأتي تباعًا في المحاور القادمة إن شاء الله– وكان تفكيرهم في الغيبيات بعد أن تعرضوا للسبي البابلي ثم للتشتيت في الأرض على أيدي الرومان يتخذ اتجاهين محددين هما:

١. نهاية العالم.

٢. الخلاص على يد المسيح المنتظر.

ورأي "جنيبير" والقارئ لأسفار الأنبياء في العهد القديم يلاحظ أنهم كانوا يركزون اهتمامهم على مسألتين كبيرتين، كما يقول الأستاذ الفرنسي "شارل جنيبير" هما:

أ- أن الدنيا تبدو بعيدة عن الكمال بالمقارنة بما كان الله قد طالبنا به، وهذا يقتضي أن يَحدث تنسيق بقدر الإمكان بين نقص الدنيا ومتطلبات الرب، ولن يكون هذا إلا بأن ينزل الرب عقابًا صارمًا على كل الذين تركوا سواء السبيل.

ب- أن الله قد اختار إسرائيل شعبًا له، ومع ذلك فإن هذا الشعب المختار لم يكن دائمًا من حيث الاستقامة والهداية على مستوى المسئولية التي يلقيها عليه هذا الاختيار، وبالتالي فإنه لم يفلح في السيطرة على شعوب الأرض جميعًا كما كان متوقعًا، بل كثيرًا ما حدث العكس فاضطهدته شعوب الأرض جميعًا، فكيف إذًا يمكن أن يدوم هذا الوضع بالرغم من الوعود التي وعدها الرب لإبراهيم ويعقوب وموسى -عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم- وهل من المعقول تصور أن الله لا ينجز وعده! لا، فإن النبي يقول مخاطبًا الرب: ستجعل الوفاء ليعقوب والرحمة لإبراهيم كما أقسمت لآبائنا من أيام القدم.

يوم الرب:

وبالرغم ما يبدو في العالم من دنس وما يبدو من شعب الله المختار من إصرار على التفريط في عهده مع الرب، فإن الرب أخيرًا سيكون له مع الدنيا يوم عظيم يذكره النبي "عاموس" في القرن الثامن الميلادي للمرة الأولى بقوله: "ويل

للمتمنين يوم الرب لم ذاك؟ إن يوم الرب لكم ظلمة لا نور، كما إذا هرب إنسان من وجه الأسد فلقيه الدب أو دخل البيت وأسند يده إلى الحائط فلسعته حية، أليس يوم الرب ظلمة لا نورًا، بل هو ديجور لا ضياء له".

ويبدو من فحوى هذا الكلام أن عاموس لم يخترع عبارة يوم الرب، ولا الفكرة الكامنة فيها بل وجدها عقيدة شائعة بين قومه وفي عصره ولم يزد على أن نقلها منسوبة إلى أصحابها.

ويقول "جنيبير": "إنه يبدو أيضًا من هذه العبارة أن اليهود على عهد "عاموس" كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء قضيتهم بقضية الله، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع، أما "عاموس" نفسه فواضح أنه يرى أن يوم الرب سوف يمتاز بانتصار العدالة الإلهية التي سيرتعد منها الشعب الإسرائيلي نفسه رعبًا؛ بسبب ما اقترفه من جرائم وآثام".

وتبقى هذه الازدواجية حول مفهوم يوم الرب لدى الأنبياء الذين أتوا بعد "عاموس" فالنبي "أشعياء" يقول مثلًا: "ولْولوا فإن يوم الرب قريب قادم من لدن القدير، قدوم اجتياح، لذلك تسترخي كل يد ويذوب كل قلب لإنسان، فيفزعون ويأخذهم الطلق والمخاض، ويتضورون كالتي تلد ويحملق بعضهم إلى بعض ووجوههم مثل اللهيب، هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاسٍ فيه سخط وغضب مضطرم ليجعل الأرض خرابًا ويبيد منها مذنبيها".

ويرى نفس هذا الباحث الفرنسي أن يوم الرب بالمعنى الذي قصده الأنبياء معنى التهديد والوعيد والانتقام من العصاة، وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه، هذا اليوم كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرون أنه بعيد جدًّا

وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد الاسم العبري "أحارية هياميم" التي معناها آخرة الأيام أو الآخرة أو اليوم الآخر، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئًا لا على عهد موسى ولا على عهد القضاة، على الأقل في النص الموجود بين أيدينا.

وكأن اليهود بإطلاقهم اسم آخرة الأيام أو نحو ذلك لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون الذين يؤمنون بالآخرة، وبأنها قريبة جدًّا، فاليهود يسخرون كما قلنا من بعدها مما اضطر نبيهم "حزقيال" إلى مهاجمتهم بسبب ذلك في قوله: "وكان إليَّ كلام الرب قائلًا: يا بن آدم ما هذا المثل السائر بينكم على أرض إسرائيل، إذ تقولون: ستطول الأيام وتخيب كل رؤيا، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب، إني مبطل هذا المثل فلا يعودون يتمثلون به في إسرائيل، بل قل لهم: قد اقتربت الأيام وكلام كل رؤيا لأنه لن تكون من بعد رؤيا باطلة ولا عرافة مشتبهة في وسط بني إسرائيل؛ لأني أنا الرب أتكلم والكلمة التي أتكلم بها تتم ولا تؤخر من بعد، بل في أيامكم يا أيها الجنس المتمرد أتكلم بالكلمة وأتمها، يقول السيد الرب".

هذه هي الفكرة الأولى وهي فكرة يوم الرب، أما الفكرة الثانية وهي فكرة المسيح المخلص، وتأتي فكرة انتظار المخلص أو المسيح مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب أو فكرة العهد الجديد، عندئذ يتجدد أمة الله لتصبح جديرة بالله -التي هي أمة إسرائيل- وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول فيها الأحقاد بل يموت منها الموت نفسه، وفي وسط هذه الآمال المركِّزة على إسرائيل لا ينسى مروجو تلك البشارات أن يجعلوا فيها نصيبًا ما للإنسانية من غير بني إسرائيل.

يقول النبي "إشعياء" مثلًا: "وفي هذا الجبل سيصنع رب الجنود لكل الشعوب وليمة من المسمنات ومأدبة من المسمنات الدسمة مع النبيذ الصرف المروق، وفي هذا الجبل سيزيل رقعة الغطاء المغطي جميع الشعوب والحجاب الحاجب لكل الأمم، وسيبيد الموت إلى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن جميع الوجوه ويزيل عار شعبه عن كل الأرض؛ لأن الرب قد تكلم فيقال في ذلك اليوم: هو ذا إلى هنا الذي انتظرناه نبتهج ونفرح بتخليصه".

ويكاد المعلقون على أمثال تلك النصوص يتفقون على أمر واحد هو أن مبعثها إنما كان تعصبًا قوميًا ضيق الأفق شديد الحقد، وتعلقًا بفكرة الحق الإلهي في السلطة الدينية الثيوقراطية، الشديدة الغيرة وتعطشًا لمغانم مادية ضخمة، كل ذلك ينبثق من حضيض الخوف والدمار ليخلق صورة ساحرة تداعب عواطف هؤلاء الموتورين، وكما أن فكرة الآخرة لا تبدو -كما قلنا- من خلال أسفار التوراة الموسوية الخمسة بحالتها المعروفة، فإننا لا نكاد نجد شيئًا يشعر بفكرة انتظار المسيح المخلص كذلك، ولكن الباحثين واليهود منهم بوجه خاص تأولوا ذلك من خلال فقرتين في كل التوراة، مع كثير من التكلف والتعسف.

الفقرة الأولى تقول: لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من سلالته حتى يأتي "شيل" وتطيعه الشعوب.

ونحن نسأل مع الباحثين في نص العهد القديم من هو "شيل" الواقع أنه لا يوجد لهذا السؤال جواب شاف، فقد حرص بعضهم على أن يذكره كما هو دون تعليق، واعتبره بعضهم تحريفًا من الناس، وحاول أن يصحح هذا التحريف برأيه، فمثلًا نجد سعدي الفيومي من خلال ترجمته العربية يبدو أنه قرأ شلو، وهي بالعبرية معناها الذي له، الذي ينتمي إليه صاحبه، ولذلك يقول في ترجمته

العربية: "ولا يزول القضيب من آل يهوذا والراسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب".

والفرنسي "جنيبير" يرى وجهًا آخر في تصحيح هذا التحريف، فيقرأ "مشلو" بدلًا من "شيلو" ومعناها: حاكمه والمسيطر عليه، والترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا تقرأ: شاليو، ومعناها: المسالم المتمسك بالهدوء والسكون، وكلها -كما نرى- افتراضات حول نص غامض لا سبيل إلى الوصول لوجه الحق فيه، ومع ذلك فإنه بعد كل ما يمكن تصوره من تعديل أو تصحيح لا يمكن أن ينطبق على المخلص والمسيح بحال من الأحوال، فالمسألة كلها لا تعدو أن تكون حديثًا عن سبط يهوذا الذي ينتمي إليه داود وسليمان وأسرتهما الملكية الوحيدة في التاريخ اليهودي، التي كان لها صولجان ولديها حق التشريع في فترة ما، مما يرجح معه رجوع هذه الآية.

بل كل الفصل الذي وردت فيه إلى ما بعد قيام ملك داود بالرغم من نسبتها هنا إلى موسى، وهذا هو رأي "دريفر" إذ يقول: "إن الإصحاح ٤٩ سفر التكوين الذي يبارك فيه يعقوب الأسباط هو بطبيعة الحال مقحم على يد كاتب من المدرسة اليهودية اليهوية، أخذه من مصدر مستقل، فالملابسات التاريخية والجغرافية التي تشع منه هي نفس الملابسات المعروفة في عصر القضاة وصموئيل وداود، وهو العصر أخذت فيه عادة بركة شيخ القبيلة شكلها الشعري الذي نراه هنا".

والمؤلف البريطاني يوافق في ذلك الألماني "دلمان" ويتفق معهما في نفس الرأي العلامة السويسري "لوسيان جوتييه" وغيره، أما الفقرة الثانية التي وجدها بعض

الباحثين في توراة موسى، وتوهموا أنهم عثروا فيها على المخلص المسيح المنتظر فتقول العدد ٢٤ / ١٧ : إنني أراه وليس حاضرًا أبصره وليس قريبًا يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب، ويخسف كل أبناء الغرور.

والفقرة تنطوي على غموض لا يقل عن سابقتها، فالترجمة التي أثبتناها هي ما فهمته منها الحاخامية الفرنسية، أما الترجمة العربية الكاثوليكية فتثبت بدل المقطع الأخير: ويريح جميع بني شيث، على حين أن الترجمة العربية البروتستانتية تقول: ويهلك كل بني الوغى، ويترجمها سعدي الفيومي بقوله: "ويزلزل سائر بني شيث".

ومهما يكن من شيء فإن هذا الموصوف هنا يبدو جبار حربٍ منتقمًا شديد البطش، بعيدًا عما يقترن بفكرة المسيح المنتظر من الوئام والسلام، ومع ذلك فلا بد لنا من القول بأن فكرة المسيح المنتظر قد أخذت في عقلية اليهود بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها أشكالًا مختلفة جدًّا، كل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه، وطبقًا للصورة الخيالية الوجدانية التي يحلم بأن يكون عليها هذا المسيح.

تعلق اليهود بفكرة المخلص النبي إلياس إلياهو:

والذي يهمنا هنا هو الإشارة إلى تعلق اليهود بفكرة المخلص والبناء الفكري المعقد، الذي ارتبط بهذا الأمل والذي أصبح عالمًا حافلًا بحكايات كثيرة ترتبط به وشخصيات، لعل أعظمها وأشهرها وأشدها ارتباطًا بما يراه اليهود في المسيح هي

شخصية النبي إلياس، الذي يسميه اليهود "إليا التشبي" أو "إلياهو النبي" ووصفه في العهد القديم بالتشبي هو نسبة إلى موضع غامض قد يكون من أرض جلعاد التي هي بادية الشام، أما نسبه في بني إسرائيل ففيه خلاف كبير، فبعض أحبار اليهود نسبوه إلى سبط جاد وآخرون إلى سبط بنيامين، بل قيل أيضًا: إنه من الكهنة، أي: من سبط "لِيفي" الذي ينسب إليه موسى وهارون.

وأخبار معجزات هذا النبي كثيرة في العهد القديم نفسه، حيث كان معاصرًا للملك "آخاب" سابع ملوك دولة إسرائيل المنشقة في شمال فلسطين، التي كانت عاصمتها السامرة في إقليم نابلس. جاء في سفر الملوك الأول: وآخاب بن عمري مَلَك على إسرائيل في السنة الثامنة والثلاثين لآسا ملك يهوذا، وملَك آخاب بن عمري على إسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة، وعمل آخاب بن عمري الشر أمام عيني الرب أكثر من الذين قبله، وكأنه كان أمرًا هينًا أن يسلك خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ إيزابيلا ابنة أتيعل ملك صيدا زوجة، وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحًا للبعل في معبد البعل الذي بناه في السامرة، وعمل آخاب أوثانًا من الخشب، وأمعن آخاب في إغضاب الرب إله إسرائيل أكثر من الذين كانوا قبله، كان ذلك حوالي سنة ٩٠٠ قبل الميلاد.

ويبدو من حديث العهد القديم عن النبي إلياس أن هذا الرجل أخذته الغيرة على الدين والأخلاق، أمام الانحلال والفساد والكفر التي تفشت في إسرائيل، ممثلة في الملك نفسه فقام ينادي بالإصلاح، وأقسم لآخاب بالله رب إسرائيل أنه لن ينزل مطر من السماء إلى بناء على قوله هو. والظاهر أن آخاب وقف منه موقفًا عنيفًا جدًّا حتى خاف على نفسه، إذ تقول القصة إن كلام الرب جاءه قائلًا: انطلق من هنا واتجه نحو الشرق، واختبئ عند نهر كريت الذي في مواجهة

الأردن، فتشرب من النهر، وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك... وكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحًا وبخبز ولحم مساء وكان يشرب من النهر.

ثم تأتي قصته مع امرأة أرملة تعيش هي وابنها في صرفة، وهي إحدى قرى الشمال التي تسيطر عليها صيدا، كان ذلك في زمن قحط ومجاعة، وكان كل ما في بيت المرأة من الدقيق والزيت لا يكاد يكفي لصنع فطيرة واحدة، فطلب منها إيليا أن تصنع له فطيرة صغيرة وتصنع الباقي لها ولابنها، وظلت تصنع الفطائر لها ولأهلها جميعًا طيلة زمن المجاعة فلا يفرغ الدقيق ولا ينقص كوز الزيت، وفي أثناء ذلك مرض ابن الأرملة ومات فأخذه من حضنها وصعد به العلية التي كان يقيم بها، وأرقده على سريره وصرخ إلى الرب وقال: أيها الرب إلهي أكذلك قد أسأت إلى الأرملة التي أنا عندها بإماتتك ابنها، ثم تمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال: يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد لجوفه، فسمع الرب لصوت إيليا ورجعت نفس الولد إلى جوفه، فعاد إلى الحياة فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه إلى أمه، وقال إيليا: انظري ابنك حي، فقالت المرأة لإيليا: الآن علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق.

وبعد هذه الخوارق والمعجزات التي قام بها إيليا التشبي أثناء اختفائه من بطش آخاب حان الوقت الذي يتحدى فيه هذا الملك الظالم، وجاء إلى السامرة وكانت المجاعة فيها قد اشتدت جدًّا، وانقطع نزول المطر وهلك الناس والدواب، وكان الموظف الذي يدير القصر يسمى "عوبديا" وهو رجل صالح متدين لا يشارك آخاب في آرائه ولا في جرائمه فقابله إيليا وقال له: اذهب وقل لسيدك إن إيليا هنا، فلما رآه آخاب قال له: أأنت ذلك الشخص المزعج لإسرائيل؟ فقال: أنا لم أزعج إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وسيركم وراء الأصنام.

والآن أرسل فأجمع إليّ كل إسرائيل على جبل الكرمل وكذلك أنبياء البعل الأربعمائة والخمسين، وأنبياء الأوثان الخشبية الأربعمائة الذين يأكلون من مائدة إيزابيلا، فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال لهم: إلى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه فلم يجب الشعب بكلمة فقال إيليا للشعب: لقد بقيت الآن وحدي نبيًا للرب، وهؤلاء أنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلًا فليؤت لنا بثورين فيختاروا لهم ثورًا ثم يقطعوه ويجعلوه على الحطب، ولا يضعوا نارًا وأنا أيضًا أهيئ الثور الآخر وأجعله على الحطب ولا أضع نارًا، ثم تدعون أنتم باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب والذي يجيب بنار فهو الإله، فأجاب جميع الشعب قائلين: هذا كلام حسن، فقال إيليا لأنبياء البعل: اختاروا لكم ثورًا وافعلوا أولًا لأنكم كثيرون، وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارًا.

فأخذوا الثور الذي أعطاهم وقربوا ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر وهم يقولون: يا بعل أجبنا، فلم يكن صوت ولا مجيب، وكانوا يرقصون حول المذبح الذي صنعوه، فلما كان الظهر سخر منهم إيليا وقال: اصرخوا بصوت أعلى فإنه إله ولعله في محادثة أو خلوة أو في سفر أو لعله نائم فيستيقظ، فكانوا يصرخون بصوت عال وقد تجرحوا بالسيوف والرماح حسب طقوسهم حتى سالت دماؤهم، فلما فات الظهر وهم يتنبئون إلى حين إصعاد التقدمة وليس صوت ولا مجيب ولا مصغ قال إيليا لجميع الشعب: ادنوا مني فدنا جميع الشعب منه فرمم مذبح الرب المتهدم، ثم أخذ إيليا اثني عشر حجرًا بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه قائلًا: يكون اسمك إسرائيل وبنى تلك الحجارة مذبحًا باسم الرب وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من الحَب، ثم صفف الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال: املئوا أربع جرار ماء

وصبوا على المحرقة وعلى الحطب، ثم قال: ثنوا فثنوا، ثم قال: ثلثوا فثلثوا فجرى الماء حول المذبح دائرًا وامتلأت القناة أيضًا بالماء.

فلما حان إصعاد التقدمة تقدم إيليا النبي وقال: يا رب يا إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ليعلم اليوم أنك إله في إسرائيل، وأني عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور استجب لي يا رب استجب لي، ليعلم هذا الشعب أنك يا رب أنت الإله وأنك أنت رددت قلوبهم إلى رجعة، فهبطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذي في القناة، فلما رأى ذلك جميع الشعب خروا على وجوههم قائلين: الرب هو الله الرب هو الله، فقال لهم إيليا: اقبضوا على أنبياء البعل ولا يفلت منهم أحد، فقبضوا عليهم فأنزلهم إيليا إلى نهر قيشون وهناك ذبحهم.

وتتوالى معجزات هذا النبي فهو ينتظر المطر من السماء ويسير السحاب، ولكنه مع ذلك يخشى من انتقام آخاب فيهرب جنوبًا نحو أرض يهوذا، حتى يصل إلى بئر سبع وأدركه الجوع، فاضطجع في البرية ينتظر الموت وإذا بواحد من الملائكة قد جاء فلمسه وقال له: قم فكل، فالتفت فوجد عند رأسه رغيفًا وجرة ماء فأكل وشرب ثم اضطجع، فجاءه ملك الرب مرة أخرى ولمسه وقال: قم فكل فإن الطريق أمامك بعيدة، فقام فأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين يومًا وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب، وهو الجبل الذي سمع فيه موسى صوت الله، وبات في مغارة هناك فجاءه كلام الرب يقول: ما بالك هنا يا إيليا؟ فقال: إني ثرت ثورة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد نبذوا عهدك وقودوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف وبقيت أنا وحدي، وقد طلبوا روحي ليأخذوها فقال: اخرج وقف على الجبل أمام الرب فإذا الرب عابر وريح عظيمة عاتية تصدع

الجبال وتحطم الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة، وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار، وبعد النار حفيف نسيم لطيف، فلما سمع إيليا ستر وجهه بردائه وخرج ووقف بمدخل المغارة فإذا بصوت يقول له: ما بالك يا إيليا فقال: إني ثرت ثورة للرب إله الجنود، وكرر عبارته السابقة فقال له الرب: امض فارجع في طريقك نحو برية دمشق، فإذا وصلت فامسح هزائيل ملكًا على آرام، وامسح ياهو بن نمشي ملكًا على إسرائيل، وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيًا خليفة لك.

وهكذا ينطلق إيليا التشبي من دائرة النبي المحلي في مملكة إسرائيل الشمالية، لتصبح له رسالة دولية في منطقة الشرق الأوسط كلها، كما يختار نبيًّا يخلفه لهذا العمل الضخم هو اليشع الذي يسمى بالعربي اليسع وهذا ما يفسر لنا اقتران الاسمين إلياس واليسع معًا عند ذكر الأنبياء في الفكر العربي.

وأدار النبي إيليا خطته بإحكام ودقة حتى علا شأنه جدًّا، وتنبأ بهزيمة آخاب، وبأن زوجته الكافرة إيزابيلا ستقتل وتأكلها الكلاب هي وكل العصاة من إسرائيل، ومن لم تأكله الكلاب منهم فستخطفه جوارح الطير، واستمرت مملكة إسرائيل في عدائها لإيليا النبي بعد موت آخاب حتى أرسل إليه خليفته أحزيا فرقًا من جيشه تريد أن تستدرجه وتنزله عن الجبل الذي اعتصم به، كانت كل فرقة تتألف من خمسين جنديًّا عليهم قائد فيأمر إيليا السماء فترسل عليهم نارًا تلتهمهم.

وكان آخر كرامات هذا النبي هو صعوده حيًّا إلى السماء حيث يعتقد اليهود أنه موجود فيها حتى الآن: أراد الرب أن يرفع إيليا في العاصفة نحو السماء وكان إيليا قد ذهب مع اليشع من الجلجال فقال إيليا لليشع: اقعد ها هنا فإن الرب قد

بعثني إلى بيت إيل فقال اليشع : لعمر الله ولعمرك أنت إنني لن أفارقك فسارا إلى بيت إيل.

فخرج بنو الأنبياء الذين في بيت إيل إلى اليشع وقالوا له : هل علمت أن الرب في هذا اليوم سيأخذ سيدك من فوق رأسك؟ فقال : نعم قد علمت فاسكتوا ثم قال له إيليا : يا اليشع اقعد ها هنا فإن الرب قد بعثني إلى أريحا فقال : لعمر الله ولعمرك أنت إنني لن أفارقك، وأتيا أريحا، وتكرر نفس المنظر مع بني الأنبياء في أريحا ثم انتقل إلى الأردن فأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب به الماء فانفلق من هنا وهناك، وجاز كلاهما على اليبس فلما عبر قال إيليا لليشع : سلني ماذا أصنع لك قبل أن أوخذ عنك، فقال إليشع : ليكن لي سهمان من روحك، قال : قد سألت أمرًا صعبًا إن أنت رأيتني عندما أوخذ من عندك يكون لك ذلك وإلا فلا.

وفيما كانا سائرين وهما يتحادثان إذا مركبة نارية وخيل نارية قد فصلت بينهما وطلع إيليا في العاصفة نحو السماء واليشع يبصر ويصرخ : يا أبي يا أبي يا مركبة إسرائيل وفرسانه ثم لم يره بعد، فأمسك ثيابه وشقها شقين ورفع رداء إيليا الذي سقط عنه ورجع ووقف على شاطئ الأردن وأخذ رداء إيليا الذي سقط عنه وضرب الماء وقال : أين الرب إله إيليا الآن أيضًا وضرب المياه فانفلقت من هنا وهناك وعبر اليشع.

في قضية المسيح المنتظر اليهود لا يزالون إلى الآن ينتظرون المسيح المنتظر الذي يجمعهم من شتاتهم حول العالم، وهناك علامات لهذا المسيح المنتظر لم تتحقق بعد، وهي أن يرعى الأسد مع البقر ويكتفي الأسد بأكل التبن كالبقر، والأفعوان الحية تلعب مع الصبي فلا تؤذيه، وصبي صغير يسوق قطيعًا من الأسود، ومحبة حول العالم كله لن يكون هناك حروب، لن يكون هناك مجاعات، لن تكون هناك زلازل في أماكن كثيرة كما هو الآن، يعني أن العالم

سيسوده السلام ويتجمع اليهود من شتاتهم في مكان واحد حول هذا المسيح، وحيث إن هذه الشروط لم تنطبق على سيدنا عيسى ﷺ فهم لم يؤمنوا بعيسى ﷺ وكفروا به، وهم إلى الآن ينتظرون المسيح المنتظر. لذلك الخيال الشعبي اليهودي أمام فكرة المسيح المخلص.

فكرة المسيح المخلص:

اعتقد اليهود أن إيليا النبي سيأتي مبشرًا بمجيء المسيح، بل لقد قال بعضهم: إن المسيح هو ابن الأرملة الذي أعاده إلياهو إلى الحياة، وأنه سيأتي في آخر الزمان بعد أن يتقدمه إلياهو، بل يبدو أن بعض فرق اليهود قد ظنت أن إلياهو هو المسيح شيء واحد، ونشعر بذلك من خلال لهجة الإلحاح التي يرددها بعض علماء اليهود عندما يبدءون الحديث عن إلياهو فيقولون: إنه ليس هو المسيح، ولكنهم جميعًا يؤمنون بأنه سيأتي بل إنه ينزل من حين إلى حين إلى هذه الدار الفانية؛ ليطمئن على أنه ما يزال هناك يهود يقيمون الناموس والشعائر والأعياد حسبما تقرر عليهم منذ القدم.

ووجد الخيال الشعبي اليهودي في أحلك أوقاته غذاء خصبًا في سيرة النبي إيليا، فهو عند أطفال اليهود يقابل بابا نويل عند أطفال العالم المسيحي، يزورهم في المنام حاملًا لهم اللعب والهدايا، وهو ينزل من السماء ليكون ضيفًا على الأتقياء يعلمهم توراة الرب ويأتيهم بالخيرات والبركات، لذلك أقرر هنا أن الآمال كلها تعلقت بهذا المسيح المنتظر وادعى كثير من اليهود بأنه المسيح المنتظر.

ومنهم على سبيل الاختصار "ثيوداس" الذي ظهر سنة ٤٤ ميلادية فاتبعه جمهور كبير من اليهود، وكذلك "برقكبا" في القرن الثاني الميلادي حوالي سنة ١٣٠ قام اليهودي الثائر "برقكبا" بإعلان الجهاد المقدس لطرد الرومان وغيرهم من فلسطين

والاستيلاء عليها لتكون وطنًا لليهود. و"عوبديا" أيضًا المعروف باسم أبي عيسى الأصفهاني وقد عاش في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٨٥ إلى ٧٠٥ وهو من مواليد أصفهان ببلاد فارس.

وأيضًا "سيرينوس" وفي أيام عمر بن عبد العزيز من ٧١٧ إلى ٧٢٠ ميلادية ظهر مسيح آخر في سوريا اسمه "سيرينوس"، وكذلك داود الرائي، داود بن سليمان من مواليد مدينة آمد في إقليم كردستان سنة ١١٣٥ ، وكذلك "أشرإملين" في سنة ١٥٠٢ ادعى اليهودي الألماني "أشرإملين" أنه المسيح الحق، وكذلك "داود الرءوبيني" ولد حوالي سنة ١٤٩٠ ميلادية في خيبر بالقرب من المدينة المنورة وتوفي في إسبانيا سنة ١٥٣٥ ، أيضًا "شبتاي صبْي" المولود في مدينة أزمير سنة ١٦٢٦ مات في ألبانيا سنة ١٦٧٥ ، ويعقوب فرنك المولود سنة ١٧٢٦ وهو مؤسس فرقة مشهورة باسم الفرنكية.

(عقيدة اليهود في الله)

عناصر الدرس

الإلـه عنـد اليهـود: حقيقتـه، تطـور الفكـرة، وصفاتـه

أولًا: عقيدة اليهود في الله:

أبدأ حديثي باعتذار عن هذه العقيدة أو هذا التناول الطرح لتناول اليهود مبحث الألوهية بالفضائح والشنائع في شأن الإله أو في شأن معبودهم، فقد تحدثوا عن الإله حديثًا يدحضه العقل، ويمجه الذوق، ويعف عنه اللسان، وترفض سماعه الأذان، ولكن ما الحيلة ورب العزة قص علينا في كتابه الكريم من أقوالهم عن ذاته ما هو أبشع وأفظع حيث قالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، واتخذوا العجل إلهًا ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨].

من هنا تقص حكايتهم عن الله من باب الاضطرار بمعرفة باب الشر لاجتنابه وتوقيه ومن لا يعرف الشر قد يقع فيه.

ثانيًا: حقيقة الإله عند اليهود:

اضطربت عقيدة الألوهية عند اليهود اضطرابًا بالغًا، فبينما تتحدث بعض أسفار التوراة عن الإله بصفته الله الخالق المتفرد وحده بالخلق والإحياء، كما جاء في قصة بدء الخلق في سفر التكوين، تجد أن معظم الأسفار تتحدث عن الله بصفته إلهًا خاصًّا ببني إسرائيل في مواجهة آلهة أخرى في الكون، وقد أطلقوا على إلههم اسمًا خاصًّا هو: ياهوه، يعني بنو إسرائيل كانوا يستحيون أنهم يقولون: يا رب أو يا الله؛ لأنهم أقل من أن يتفوهوا بلفظ الجلالة على ألسنتهم، فكانوا

يقولون: ياهوه، وهذا ما جاء في سفر الخروج: وقال الله أيضًا لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل ياهوه أو يا هو، إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد.

وهكذا يغيرون اسم الإله من الله إلى ياهوه أو ياهو، وهو اسم لا معنى له ولا يعرف اشتقاقه على التحقيق، ويحاول الأستاذ العقاد عبثًا أن يجد له معنى أو مشتقًا فيقول: "يصح أنه من مادة الحياة ويصح أنه نداء لضمير الغائب؛ لأن بني إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيرًا له، ويكتفون بالإشارة إليه، وهذا ما أميل إليه".

وواضح أن التعليلات التي يشير إليها العقاد لا مفهوم لها؛ فما العلاقة بين لفظ هو وبين مادة الحياة؟ وإذا كان من باب ضمير الغائب هل يعقل أن ينادى الإله بضمير الغائب؟ وهل يعقل أن يكون ذلك توقيرًا له؟

الذي نعرفه أن الإنسان لا يعدل عن ذكر اسم شخص إلى الحديث عنه بضمير الغائب إلا تحقيرًا له فمن أين يأتي التوقير، وهكذا يتضح لنا أنه اسم لا معنى ولا مفهوم له، ولكن ما العلاقة بين حقيقة الله وحقيقة يا هو إله اليهود؟ الواقع أن لفظ الله ومعناه لا علاقة له على الإطلاق بيا هو إله اليهود، ذلك أن فكرتهم عنه تختلف تمامًا عن فكرة الله عند المسلمين، فهو عندهم اسم لإله خاص ببني إسرائيل وهم شعبه دون سائر الخلق، وهو إله الحرب إله الانتقام من أعداء بني إسرائيل السريع الغضب المتقلب المتغير المتجسد، أما فكرة الله عندنا فهي الألوهية العامة الشاملة، فالله هو رب العالمين لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه، رب للجميع وخالق لكل شيء ومتصف بكل صفات الجلال والجمال، ومنزه عن كل صفات النقص.

ومن هنا فإن ياهو لا يمثل صفات الإله الحق وإنما يمثل انعكاسًا لصفات اليهود وأخلاقهم، فهو ليس خالقًا لهم وإنما هو مخلوق لهم وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم، وكثيرًا ما يأتمر بأمرهم فيأمرهم بالسرقة إذا أرادوا أن يسرقوا، ويعلم منهم ما يريدونه أن يعلم وهو يميزهم عن سائر الخلق بصرف النظر عن إيمانهم أو طاعتهم، فلقد كان إلهًا لعشيرتهم وحدهم دون سائر العشائر، وما أشبه حالهم في هذا الأمر بعباد الأوثان، حيث كانت كل قبيلة تتخذ لنفسها إلهًا خاصًّا تعظمه وتسجد له. مثل: هبل ومناة واللات والعزى وغيرها من آلهة الوثنيين القدماء.

إنما أميل إلى الرأي القائل بأن بني إسرائيل كانوا في زمن يوقرون الله ﷻ ويستحيون منه، ويستحي أحدهم أن يذكر اسم الرب على لسانه فكان يقول ياهو، لكن فيما بعد ظهر التحريف وظهر التعامل مع الله ﷻ معاملة سيئة كما سيأتي فيما بعد.

ثالثًا: تطور فكرة الإله عند اليهود:

تعرضت فكرة الألوهية عند اليهود لتطور ملحوظ مرتبط بالظروف والأحوال التي مروا بها في حياتهم.

١. ففي المرحلة الأولى: تصوروا أنه إله خاص بهم أطلقوا عليه اسم إله الحرب، فهو إله إقليمي من النوع الذي يألفه الباحث في أرباب القبائل في الشرق والغرب، حيث كان لكل قبيلة إله ينصرها في معاركها ضد أعدائها، فكان ياهو هو رب الحرب المتكفل بنصرتهم، وبالتالي فهو محب لبني إسرائيل وحدهم

ومبغض لكل من سواهم، وليس عنده أي مانع أن يصنع كل ما هو ليس بأخلاقي في سبيل مصلحتهم من السرقة والقتل والغدر وغير ذلك.

٢. وفي المرحلة الثانية: تغيرت فكرة اليهود عن ياهو، وذلك حين حاقت بهم الهزائم المتوالية على أيدي الآشوريين والبابليين والفلسطينيين وغيرهم، وقد تصور اليهود أن هزيمتهم هي هزيمة لياهو نفسه وأنها دليل على قوة آلهة الشعوب الأخرى، ومن هنا شكوا في قدرة ياهو وتركوه وعبدوا آلهة الأمم المنتصرة، وهذا ما يشير إليه سفر القضاة حيث يقول: عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البلايما والعشتارات وآلهة آرام وآلهة جيروم وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه.

وجاء في سفر أرميا يقول الرب: إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها.

٣. وفي المرحلة الثالثة: حاول أنبياؤهم والمثقفون منهم أن يردوهم إلى عبادة ياهو، فأخبروهم بأن هزيمتهم لم تكن بسبب قوة آلهة الأمم الأخرى، وإنما بسبب غضب ياهو عليهم، ومن هنا عادوا مرة ثانية إلى عبادة ياهو وبنوا له الهيكل والمعبد في بيت المقدس، وكانوا يظنون أن ياهو يحل فيه وعادوا إلى سابق عهدهم بالإله الخاص المجسد المقيد بزمن خاص ومكان خاص.

٤. وأخيرًا: حلت بهم مراحل الأسر والتشرد وهدم الهيكل والمعبد وشردوا في أرجاء الأرض شرقًا وغربًا، وهنا تساءلوا أين رحل ياهو بعد هدم الهيكل هل هو مع الذين ذهبوا إلى الشرق أم مع الذين ذهبوا إلى الغرب أم مع الذين تخلفوا في فلسطين؟ وهذا ما دعاهم إلى اعتقاد أن ياهو مع كل منهم أنى كان، ومعنى هذا أن ياهو في كل مكان ومن هنا عبدوا ياهو في صورة إله عام غير مجسد وغير مقيد بمكان أو زمان.

على أن مسألة الألوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أو التعدد لم تكن عميقة الجذور في نفوس اليهود، فقد كانت المادة هي الأساس الذي سيطر على تفكيرهم قديمًا وحديثًا، ولا أدل على ذلك أكثر مما جاء في البروتوكولات من الدعوة إلى الإلحاد والمادية، وهو ما يحدث في إسرائيل الآن، حيث يربون النشء على عبادة الأرض والسجود للمادة وحدها.

رابعًا: صفات الإله عند اليهود:

ترسم أسفار التوراة للإله صورة بشرية هزيلة تجعله يتصف بصفات البشر ويتسم بأخلاقهم:

١. التجسد والتحديد:

معلوم أن الإله الحقيقي منزه عن الجسمية والحلول والتحديد، فهو لا يحده جسم ولا مكان ولا زمان ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولكن ضِيق الأفق عند اليهود جعلهم يتصورون الإله مجسدًا ومحدودًا.

ومن ذلك ما جاء في التوراة: أن الله نزل في صورة رجل مع ملكين وذهبوا إلى إبراهيم وجلسوا يستريحون من التعب، ثم غسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا، وهذا ما نص عليه سفر التكوين بقوله: وظهر له الرب عند بلوطات ممرًا -اسم مكان- وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون

قلوبكم، ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا: وهكذا نفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة وإلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقًا اعجني واصنعي خبزًا كله، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصًا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله.... ووضع هذه الأشياء قدامهم وإذا كان واقفًا لديهم تحت الشجرة أكل.

وواضح أن هذا النص ينسب لله صفات لا تليق به ومنها:

أ. التجسيد والتحديد حيث نزل في صورة رجل.

ب. الاستراحة بعد التعب.

ج. المأكل والمشرب.

ومن الأوصاف الحسية لياهو أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود سحاب ليهديهم، فقد جاء في سفر الخروج ما نصه: وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ليلًا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارًا وليلًا، ولم يبرح عمود السحاب نهارًا وعمود النهار ليلًا أمام الشعب.

ويحدثنا القرآن الكريم عن عقيدة التجسيد عند اليهود حيث ظنوا أن الإله يمكن تحديده ورؤيته كما ترى الأشياء: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥]، ولعل إلحاح اليهود في هذا الأمر هو الذي دفع موسى عليه السلام إلى طلب الرؤية ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] هذا الطلب الذي أجيب عنه موسى إجابة قاطعة ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

كما يخبرنا أيضًا أن بني إسرائيل لم تقو عقولهم على فهم حقيقة الإله كإله مجرد عن التجسيد والتحديد والرؤيا، حيث طلبوا من موسى أن يصنع لهم صنمًا يعبدوه: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟

يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٠].

٢. قصور العلم الإلهي:

يعتقد اليهود أن صفة العلم عند الإله ليست صفة انكشاف عام لكل ما كان وما يكون، وإنما هي صفة محدودة، فالله في ظنهم قد يعلم بعض الأشياء على غير وجهها الصحيح، ثم يبدو له خطؤه فيغير من خطته، ويعدل عما عزم عليه، ومن نماذج جهل الإله عندهم ما جاء في سفر الخروج: إن الله طلب من بني إسرائيل أن يرشدوه إلى بيوتهم وبيوت المصريين؛ حتى ينزل ضرباته على المصريين دونهم.

ولذلك طلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة بأن يحملوا الدم على القائمتين والعتبة العليا في البيوت. وفي هذا السفر أيضًا أن الله قد اتخذ قرارًا بعقاب بني إسرائيل ولكن موسى ناقشه وأرجعه عن قراره، وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم، يتضرع موسى أمام الرب الإله وقال: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم على وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها، فيملكونها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه.

وهكذا يبدو لنا الإله متسرعًا في قراراته يتخذ قرارًا بتعذيب بني إسرائيل، ثم يراجعه موسى ويذكره بوعود سابقة وكأن الإله قد نسي فيغير من قراره بل ويندم عليه، ومما يلفت النظر في هذا النص أن التوراة تصور موسى وكأنه أعلم من الله نفسه، وتصوره صاحب سلطان عليه يعلمه ويرشده والإله يصغي لموسى وينفذ نصائحه.

وفي سفر صموئيل ما نصه: وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلًا: ندمت على أني قد جعلت شاول ملكًا لأنه رجع من ورائي ولم يُقِم كلامي.

وهكذا تكشف لنا هذه النصوص عن أن ياهو محدود العلم معرض للوقوع في الخطأ، بينما يشير القرآن الكريم إلى أن العلم الإلهي لا حدود له ولا نهاية، فهو انكشاف تام لكل ما كان وما سيكون لا يعتريه أدنى تغيير ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨]، ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

٣. قصور القدرة الإلهية:

يعتقد اليهود أن قدرة الله محدودة متناهية لدرجة أنها قد لا تصل إلى قدرة إنسان مخلوق له، ومن ذلك ما تشير إليه التوراة المحرفة: إن الله ظهر ليعقوب وصارعه فصرعه يعقوب فتوسل إليه الإله أن يتركه فرفض يعقوب هذا التوسل، إلا بعد أن يباركه فباركه وسماه إسرائيل، إشارة إلى قوته حيث إنه كان قويًّا عن الله.

تقول التوراة عن يعقوب: ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه

قد طلع الفجر فقال له: لا أطلقك إن لم تباركني فقال له: ما اسمك؟ فقال له: يعقوب فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيائيل قائلًا: لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسي.

وهكذا يبدو الله بزعمهم محدود القدرة لا يستطيع أن يخلص نفسه من عبد مخلوق له، ويبلغ به الوهن والضعف أن يتوسل إليه أن يخلي سبيله، ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه إلا إذا باركه فقبل الله تعالى شرطه وباركه أو فقبل معبودهم شرطه وباركه، وإذا كانت القدرة الإلهية محدودة لهذه الدرجة إذًا فالله بزعمهم يتعب ويستريح من أي أعمال يعملها، والنص يقول: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل إلهًا خالقًا.

وهكذا تتحدث التوراة عن صفات الله وكأنها تتحدث عن إنسان عادي محدود القدرة يتعب ويستريح، وما أصدق القرآن الكريم حين يفند مزاعمهم فيؤكد أن القدرة الإلهية لا حدود لها ولا نهاية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] وأنه سبحانه لا يتعب ولا يكل من الخلق والتكوين ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] أي لم يمسنا تعب حتى نحتاج إلى الراحة.

هذه هي بعض صفات النقص التي ألحقها اليهود بالإله، وإلا فالتوراة شائعة بوصف الإله بما لا يليق به من الأمر بالسرقة والأمر بالقتل والسلب والنهب والظلم، وسائر ما يتنزه عنه الإله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون.

نسبة أوصاف الإنسان وصفاته ومشاعره وأفعاله إلى الله

قد أراد الله أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها وبصورة يستطيع أن يتصورها، فتكلم عن نفسه وكأنه في صورة الإنسان وكأن له أوصاف الإنسان وصفاته، وله مشاعر الإنسان وأفعاله، وذلك لأن الإنسان -ولا سيما في طور البدائي وفي عهد سذاجته الأولى- عاجز بعقله المحدود عن أن يدرك طبيعة الله الروحية الخالصة المجردة عن المادة المنزهة عن الشكل والصورة المطلقة التي لا يحدها زمان ولا مكان، فهو لا يستطيع أن يتصور الله إلا في هيئة بشرية ذات شكل وصورة وذات حدود في الزمان والمكان، كما أن لغة الإنسان التي يعبر بها عن أفكاره ومشاعره قاصرة عن أن تصور الله على حقيقته، أو تعبر عن أوصافه وصفاته التعبير اللائق بجلاله وعظمته.

وهكذا فإن الله في سبيل أن يهدي الإنسان إليه ويدله على طريق الخلاص، الذي شاءت رحمته أن ينعم به عليه تنازل فتكلم عن نفسه، وهو السيد الخالق بأسلوب الخليق بالعبد المخلوق، بيد أن اليهود لم يفهموا هذا على وجهه الصحيح، وإنما ظنوا أن إلههم كأي إله من آلهة الوثنيين المحيطين بهم، ذو أوصاف كأوصاف الإنسان وصفات كصفاته وخصال كخصاله، وله من المشاعر والأفعال ما لا يفترق عن مشاعر الإنسان وأفعاله.

١. نسبة أوصاف الإنسان إلى الله:

فمما قيل في أوصاف الله أن له وجهًا، إذ قال الله لموسى: لا تقدر أن ترى وجهي، وقال لليهود: أجعل وجهي عندكم أو ضدكم. اللاويين ٢٦/ ١٧، وقد

جاء في سفر العدد: يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمه، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلامًا. العدد ٦/ ٢٢، وجاء في المزامير: وجه الرب ضد عامل الشر. المزمور ٣٤/ ١٦، وجاء فيها: يا رب بنور وجهك يسلكون. المزمور ٨٩/ ١٥، وقيل: إن لله عينين، إذ جاء في سفر التثنية: إذا ولدتم أولادًا وأولاد أولاد وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم تبيدون سريعًا عن الأرض. التثنية ٤/ ٢٥، ٢٦، وجاء فيه: إن قسم الرب هو شعبه أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينيه. التثنية ٣٢/ ٩، ١٠، وجاء في سفر الملوك: أيها الرب إله إسرائيل .... لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك، الملوك الأول ٨/ ٢٣، ٥٢، وجاء فيه: افتح يا رب عينيك وانظر. الملوك الثاني ١٩/ ١٦، وقال الله في سفر أخبار الأيام: عيناي تكونان مفتوحتين. أخبار الأيام الثاني ٧/ ١٥ وجاء في هذا السفر بأن عيني الرب تجولان في كل الأرض. أخبار الأيام الثاني ١٦/ ١٩.

وقيل: إن لله أجفانًا، إذ جاء في المزامير: الرب في السماء كريم عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بني آدم. المزمور ١١/ ٤، ٥، وقيل: إن لله أذنين، إذ جاء في سفر العدد: وكان الشعب كأنهم يشتكون شرًّا في أذني الرب. العدد ١١/ ١، وجاء فيه: لأنكم قد بكيتم في أذني الرب. العدد١١/ ١٨، وجاء في سفر صموئيل: إلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه، صموئيل الثاني ٢٢/ ٧.

وجاء في سفر الملوك: أَمِل يا رب أذنك واسمع، الملوك الثاني ١٩/ ١٦، وقال الله في سفر أخبار الأيام: عيناي تكونان مفتوحتين وأذناي مصغيتين إلى صلاة هذا المكان. أخبار الأيام الثاني ٧/ ١٥. وجاء في المزامير: عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم، المزمور ٣٤/ ١٥، وقيل: إن لله أنفًا، إذ جاء في

سفر الخروج: يا رب... بريح أنفك تراكمت المياه. الخروج ١٥/ ٦، ٨، وجاء في سفر صموئيل: في ضِيقي دعوت الرب... صعد دخان من أنفه، صموئيل الثاني ٢٢/ ٧، ٢٩، وجاء فيه: انكشفت أسس مسكونة من زجر الرب من نسمة ريح أنفه. صموئيل الثاني ٢٢/ ١٦، وجاء في سفر أيوب: بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون. أيوب ٤٠/ ٩، وقيل: إن لله فمًا، إذ قال الله في سفر العدد: أما عبدي موسى فليس هكذا... فمًا إلى فم وعيانًا أتكلم معه، العدد ١٢/ ٧، ٨.

وقال سليمان في سفر أخبار الأيام: أيها الرب إله إسرائيل... قد حفظت لعبدك أو قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به فتكلمت بفمك وأكملت بيدك، أخبار الأيام الثاني ٦/ ١٤- ١٦، وقيل: إن لله ذراعًا، إذ جاء في سفر الخروج: يا رب بعظمة ذراعك يصمتون. الخروج ١٢/ ١٦، وجاء في سفر التثنية: فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة، التثنية ٢٦/ ٨، وجاء فيه: اذكر إذ كنت عبدًا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. التثنية ٥/ ١٥، وجاء في سفر المزامير: يا رب لك ذراع القدرة. المزمور ٨٩/ ٨، ١٣.

وقيل: إن لله يدًا، إذ قال الله في سفر الخروج: سيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر، وأخرج بني إسرائيل من بينهم. الخروج ٧/ ٥، وجاء فيه: فإنه بيد قوية أخرجكم الرب من هنا. الخروج ١٣/ ٣، وجاء فيه: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته عن أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. الخروج ٣٢/ ١١، وقال الله في سفر التثنية: إني أرفع إلى السماء يدي... التثنية ١٢/ ٤٠، وجاء في سفر يشوع: لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية. يشوع ٤/ ٢٤، وجاء في سفر القضاة: حينما خرجوا كانت يد الرب عليهم. القضاة ٢/ ١٥، وجاء في سفر أيوب: بنفخته السموات مستقرة

ويداه أبدأتا الحية الهاربة. أيوب ٢٦/ ١٣ وجاء في المزامير: قوية يدك مرتفعة يمينك. المزمور ٨٩/ ١٣.

وقال أرميا النبي: ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك. أرميا ١/ ٩، وقال: هكذا قال لي الرب إله إسرائيل خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب... فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب، أرميا ٢٥/ ١٥، ١٧، وقيل: إن لله أصبعًا، إذ جاء في سفر الخروج: ثم أعطى موسى عند الفراغ من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوب بأصبع الله. الخروج ٣١/ ١٨.

وقال موسى النبي في سفر التثنية: وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبعي الله، التثنية ٩/١٠ وقيل: إن لله رجلين أو قدمين، إذ جاء في سفر الخروج: ثم صعد موسى وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق، الخروج ٢٤/ ٩، ١٠، وجاء في سفر صموئيل: في ضيقي دعوت الرب فسمع من هيكله صوتًا... طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه، صموئيل الثاني ٢٢/ ٧، ١٠.

وجاء في سفر أخبار الأيام: وقف داود الملك وقال كان في قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطئ قدمي إلهنا. أخبار الأيام الأول ٢٨/ ٢، ٣، وقال أشعياء النبي: هكذا قال الرب: السموات كرسيّ والأرض موطئ قدمي. أشعياء ٦٦/ ١، وقيل: إن لله قلبًا؛ إذ قال الله في سفر أخبار الأيام: قد اخترت وقدست هذا البيت ليكون اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام. أخبار الأيام الثاني ٧/ ١٦، وقيل: إن لله صوتًا إذ جاء في سفر التكوين أن آدم وحواء سمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة. التكوين ٣/ ٨، وجاء في سفر التثنية: إن الرب هو الإله ليس آخر سواه من السماء أسمعك صوتًا. التثنية

٤/ ٣٥، ٣٩، وجاء فيه: فلما سمعتم الصوت قلتم: هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته، التثنية ٥/ ٢٣، ٢٤.

وجاء فيه: إن سمعت لصوت الرب إلهك... يجعلك الرب إلهًا مستعليًا على جميع قبائل الأرض، التثنية ٢٨/ ١، وجاء في سفر صموئيل: أرعد الرب من السموات والعلا أعطى صوته. صموئيل الثاني ٢٢/ ١٤، وجاء في المزامير: صوت الرب على المياه، صوت الرب بالقوة، صوت الرب بالجلال، صوت الرب يقدح لهب النار، صوت الرب يزلزل البرية، المزمور ٢٩/ ٣- ٨.

٢. نسبة صفات الإنسان ومشاعره إلى الله:

إن من صفات الله أنه مطلق لا يحده زمان ولا مكان، فهو من حيث الزمان أزلي أبدي يحيا في الماضي والحاضر والمستقبل معًا، وهو من حيث المكان لا نهائي يملأ الكون كله فهو موجود في كل مكان، ومع ذلك فقد شاء الله في تنازله ومحبته للإنسان وعطفه عليه ورغبته في هدايته، وخلاصه أن يتحدث إليه عن نفسه، وكأنه كالإنسان محدود في الزمان والمكان، فمن غير الممكن أن يمضي الزمان على الله بحيث ينسى أمرًا وقع في الماضي، ثم يتذكره في الحاضر أو يحتاج إلى من يذكره به كما هو الشأن بالنسبة للإنسان، ومع ذلك فقد جاء في سفر التكوين.

المتحدث هنا هو زكي شنوده في (موسوعة تاريخ الأقباط) الجزء الثاني، يذكر عن سفر التكوين: "ثم ذكر الله نوحًا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك، وأجاز الله ريحًا على الأرض فهدأت... إلى آخر النص. التكوين ٨/ ١، وكلم الله نوحًا وبنيه معه قائلًا: هأنا مقيم ميثاقي معكم... فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا بمياه الطوفان... وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحابًا على الأرض وتظهر القوس في السحاب

أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم، فمتى كانت القوس في السحابة أبصرها لأذكر ميثاقًا أبديًّا بين الله وبين كل نفس حية. التكوين ٩/ ٨: ١٧".

وجاء في سفر الخروج: تنهّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا... فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله، الخروج ٢/ ٢٣- ٢٥، ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأيضًا أقمت معهم عهدي بأن أعطيهم أرض كنعان... وأنا أيضًا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي. الخروج ٦/ ٢- ٥، وجاء في سفر الخروج أيضًا: فيحمل هارون أسماء بني إسرائيل في صورة القضاء على قلبه عند دخول القدس للتذكار أمام الرب دائمًا. الخروج ٢٨/ ٢٩.

وجاء في سفر اللاويين: لكن إن أقروا بذنوبهم أذكر ميثاقي مع يعقوب، وأذكر أيضًا ميثاقي مع إسحاق وميثاقي مع إبراهيم وأذكر الأرض. اللاويين ٢٦/ ٤٠- ١٢، وجاء في سفر العدد: وإذا ذهبتم إلى الحرب... تهتفون بالأبواق فتكون لكم تذكارًا أمام إلهكم. العدد ١٠/ ١- ١٠، كما أن من غير الممكن أن يكون الله في مكان ولا يكون في غيره، أو أن يكون في مكان بعينه بحيث يكون له ما هو فوقه أو تحته، أو يكون له ما هو أمامه أو خلفه أو أن نقول: إنه قائم هنا أو هناك أو جالس هنا أو هناك أو ساكن في هذا الوضع أو ذاك، أو أنه صعد أو نزل أو دخل من هذا الموضع إلى ذاك أو أنه اجتمع بفلان، أو انصرف عن فلان أو قاد جماعة من مكان إلى مكان، ومع ذلك فقد وردت كل هذه المعاني الخاصة بالإنسان منسوبة إلى الله في كل أسفار التوراة.

ومع ذلك أنه قيل: إن الله يسكن في السماء وكأنه بعيد عن الأرض، إذ جاء في سفر الخروج: فقال الرب لموسى: أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت، الخروج ٢٠/ ٢٢، وجاء في سفر التثنية: من السماء أسمعك صوته لينذرك. التثنية ٤/ ٣٦، وجاء فيه: اطلع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك. التثنية ٢٦/ ١٥، وجاء في سفر الملوك: اسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل، وأعط كل إنسان حسب كل طرقه. الملوك الأول ٨/ ٣٩، وجاء في سفر أيوب: هو ذا الله في علو السموات، السحاب ستر له، فلا يرى وعلى دائرة السموات يتمشى. أيوب ٢٢/ ١٢- ١٥، وجاء في المزامير: الرب في السماء كرسيه. المزمور ١١/ ٤.

وجاء فيها: الرب من السماء أشرف على بني البشر. المزمور ١٤/ ٢، وجاء فيها: من السموات نظر الرب من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض. المزمور ٣٣/ ١٣، ١٤، وجاء فيها: لماذا يقول الأمم: أين هو إلههم إن إلهنا في السماء. المزمور ١١٥/ ٢، ٣، وجاء فيها: إليك رفعت عيني يا ساكنًا في السموات. المزمور ١٢٣/ ١، وجاء في سفر الجامعة: الله في السموات وأنت على الأرض. الجامعة ٥/ ٢، وقيل: إن الله يسكن في الضباب، إذ جاء في سفر أخبار الأيام: حينئذ قال الرب: إنه يسكن في الضباب. أخبار الأيام الثاني ٦/ ١، كما قيل: إن الله كان ينزل في السحاب إذ جاء في سفر الخروج: فنزل الرب في السحاب فوق موسى عنده هناك. الخروج ٣٤/ ٥، وجاء في سفر العدد: فنزل الرب في سحابة وتكلم معه. العدد ١١/ ٢٥، وجاء فيه: فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم. العدد ١٢/ ٥.

وقيل: إن الله يسكن فوق الجبال والمرتفعات؛ إذ جاء في المزمور: أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني، معونتي من عند الرب. المزمور ١٢١/ ١، ٢، وجاء في سفر إشعياء: في الموضع المرتفع المقدس أسكن. إشعياء ٥٧/ ١٥، وقد قيل: إنه يسكن في جبل صهيون بالذات إذ جاء في المزامير: رنموا للرب الساكن في صهيون. المزمور ٩/ ١١، وحين كان اليهود في صحراء سيناء قيل: إن الله نزل على قمة جبل سيناء، وأمر موسى أن يصعد إليه ليكلمه هناك، إذ جاء في سفر الخروج: ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى فقال الرب لموسى: انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب. الخروج ١٩/ ٢٠، ٢١، وقال الله لموسى: اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو واسجدوا من بعيد، ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون، وأما الشعب فلا يصعد معه. الخروج ٢٤/ ١، ٢، ثم صعد موسى وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل. الخروج ٢٤/ ٩، ١٠.

وكان في الغد أن موسى قال للشعب: أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة فأصعد الآن إلى الرب؛ لعلي أكفر عن خطيئتكم فرجع موسى إلى الرب. الخروج ٣٢/ ٣٠-٣٢، وقيل: إن الله كان يسكن في خيمة الاجتماع التي أمر موسى أن يقيمها ليعبده اليهود فيها، إذ جاء في سفر الخروج: كلم الرب موسى قائلًا: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة ذهب وفضة ونحاس وجلود كباش وأطايب، فيصنعون لي مقدسًا لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته. الخروج ٢٥/ ١- ٩، هذا ما تقدمه على المذبح محرقة دائمة في أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع، حيث أجتمع بكم لأكلمك هناك وأجتمع هناك ببني إسرائيل. الخروج ٢٩/ ٣٨- ٤٣، وأخذ موسى الخيمة

ونصبها له خارج المحلة بعيدًا عن المحلة، فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع. الخروج ٣٣/ ٧.

وجاء في سفر اللاويين: فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستهم لئلا يموتوا في نجاستهم بتنجيسهم مسكني الذي في وسطهم. اللاويين ١٥/ ٣١، وجاء في سفر العدد: وكلم الرب موسى قائلًا: أوصي بني إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص، وكل ذي سيل وكل متنجس؛ لكي لا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم. العدد ٥/ ١- ٣، وجاء فيه: فوضع موسى العصي أمام الرب في خيمة الشهادة. العدد ١٧/ ٧، وجاء في سفر صموئيل: وكان لما سكن الملك داود في بيته، وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه أن الملك قال لناثان النبي: انظر إني أسكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق، فقال ناثان النبي للملك: اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك، وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلًا: اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب: أأنت تبني لي بيتًا لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسيرًا في خيمة. صموئيل الثاني ٧/ ١- ٦.

وحين كان الله يقود اليهود في صحراء سيناء كان ينتقل أمامهم في سحابة تظهر فوق خيمة الاجتماع من موضع إلى موضع، فيحملون الخيمة ويتبعون السحابة أينما تمضي، إذ جاء في سفر العدد: وفي يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الاجتماع، وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح، ومتى ارتحلت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون، وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون. العدد ٩/ ١٥- ٢٣.

وفي السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة، فارتحل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة

في برية فاران. العدد ١٠/ ١١ ، ١٢ ، فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب ، وأحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلًا ، وكانت سحابة الرب عليهم نهارًا في ارتحالهم من المحلة. العدد ١٠ / ٣٣، ٣٤، وقيل : إن الله كان يسكن فوق غطاء تابوت العهد الذي كان يسمى كذلك تابوت الشهادة ، والذي كان موضوعًا داخل خيمة الاجتماع ، إذ جاء في سفر الخروج : وكلم الرب موسى قائلًا : كلم بني إسرائيل... فيصنعون تابوتًا من خشب... وتصنع غطاء من ذهب... وتصنع كَرُّوبين -أي : ملاكين- من ذهب على طرفي الغطاء ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق... وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة ، بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل. الخروج ٢٥/ ١- ٢٢ ، وتصنع مذبحًا لإيقاد البخور... وتجعله قدام الحجاب الذي أمام تابوت الشهادة قدام الغطاء ، الذي على الشهادة حيث أجتمع بك. الخروج ٣٠/ ١- ٦.

وجاء في سفر العدد : وكلم الرب موسى قائلًا : كلم بني إسرائيل وخذ منهم عصا ، عصا لكل بيت... وضعها في خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث أجتمع بكم. العدد ١٧/ ١- ٤ ، الكلام هنا كثير فيه أن الله يجلس على كرسي ، فيه أن الله على مثال الكائن البشري ذي الجسم المحدود.

قيل : إن الله يقف. قيل : إن الله يجلس. قيل : إن الله ينزل. قيل : إن الله يصعد. قيل : إن الله يأتي ويوافي. قيل : إن الله يذهب ويمضي. قيل : إن الله يخرج ، وقيل : إن الله يحل ويرتحل في السحابة ، وقيل : إن الله يمشي ويسير ويجتاز ويعبر وقيل : إن الله يلاقي الناس ويجتمع بهم ، ونجد في التوراة عبارات تفيد تحديد مكان معين يوجد فيه الله ، بحيث يقف الإنسان أو غير الإنسان أمامه أو لديه أو عن يمينه أو عن يساره أو يصعد إليه أو ينزل من عنده ، مقتربًا إليه أو مبتعدًا عنه قيل : الإنسان يقف أمام الله.

وقيل: إن الإنسان يصعد إلى الله. وقيل: إن الإنسان ينزل من عند الله. وقيل: إن الإنسان يمكن أن يقف بحيث يكون بين الله وبين جماعة من الناس. وقيل: إن الله يتواجد مع الناس أو في وسطهم. وقيل: إن الله يكون فوق شيء ما أو يكون الشيء تحته. وقيل: إن الله موجود في وضع ما أو أنه يتكلم أو يسمع أو يتطلع من موضع ما.

وقيل: إن الله يفرح إن الله يسر إن الله يرضى إن الله يحزن ويأسف، إن الله يتضايق إن الله يغضب إن الله يندم. قيل: إن الله يغتاظ ويغير إن الله يستهزئ ويضحك مستهزئًا، إن الله يخادع إن الله يخاف، كذلك نسبة أفعال الإنسان إلى الله من مثل: إن الله يرى وينظر ويبصر ويتطلع ويفتح عينيه، ويسمع ويصغي ويتكلم ويتنسم ويشتم، ويرفع وجهه ويحجب وجهه ويمد يده ويرسل يده ويرفع يده، ويكتب ويستريح ويتنفس ويستيقظ، ويأكل ويشرب ويشتهي.

نخلص من نظرة اليهود إلى معبودهم أنهم نسبوا إليه الشبه بالبشر، وبل إنه أقل من البشر، ووصفوا إليه الظلم بأنه كذلك يقتل خمسين ألفًا بسبب تافه بسيط وهو أنهم لمسوا تابوت العهد، وبذلك ينسبون إليه الجور والظلم، وغير ذلك من الأوصاف التي لا تليق بإنسان.

(عقيدة اليهود في النبوة والأنبياء)

عناصر الدرس

مقدمة إسلامية عن الرسل والأنبياء وصفاتهم

١. نظرتهم إلى النبوة:

لكن هناك مقدمة إسلامية حتى نضع القواعد، وعلى أساسها تظهر المقارنة:

الرسل والأنبياء بصفة عامّة هم الصفوة المختارة من البشر، يختارهم الله ويصطفيهم لهداية الناس إلى طريق الحق، ومن هنا كانت النبوة والرسالة اختيارًا خالصًا لله يختص به من يشاء من خلقه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] وقال سبحانه في معرض الحديث عن بعض الرسل: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ [ص: ٤٧].

وإنما كانت النبوة اصطفاءً واختيارًا من الله؛ لأنها مسئولية كبرى، لا يستطيع أن يقوم بأعبائها إلا أولو العزم والقوة من الرجال، ومن ثَمَّ فإن الله تعالى يقول لحبيبه المصطفى ﷺ: ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] ومن هنا اقتضت حكمته سبحانه أن يجعلهم أكمل البشر خلقًا، وأفضلهم علمًا، وأشرفهم نسبًا، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثًا، وأكثرهم فطنة وعقلًا.

من أجل ذلك كان حديث القرآن الكريم عن أنبياء الله حديثًا يتناسب مع هذه المكانة الكبرى لهم: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وما تحدّث القرآن الكريم عن نبي من أنبياء الله إلّا وقَرَن الحديث بوصف الحديث

بأسمى الصفات والمواهب، فقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١] وأنه كان: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] وقال عن سيدنا إسماعيل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وهكذا كان حديث القرآن عن أنبياء الله حديثًا يتلاءم مع مكانتهم السامية، إلّا أن اليهود تحدثوا عن الأنبياء بطريقة لا تليق بهم، وهذا ما يدعونا لبيان صفات الأنبياء كما وردت في الإسلام أولًا، ثم نفصل بعد ذلك رأي اليهود في الأنبياء.

٢. صفات الأنبياء:

وضع علماء الكلام المسلمون للأنبياء صفات وشروطًا وخصائص، لا بد أن توجد مجتمعة في النبي، وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، والسلامة من العيوب المنفرة، والعصمة من الوقوع في الخطأ، ووجوب هذه الصفات للأنبياء أمر يحتمه العقل الصحيح، ذلك أنه لا يمكن أن يصدر عن النبي ما يخل بالمروءة كالكذب أو الخيانة أو الغباء، أو الوقوع في الأخطاء، أو غيرها من الصفات القبيحة؛ لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم!! ولو جاز وقوع مثل هذه الأشياء منهم لفقدت الثقة فيهم، واستحال على العقل أن يقبل كلامهم؛ لاحتمال أن يكون ما جاءوا به هو من كذبهم ومفترياتهم، وحاشا لله أن يختار أنبياء بهذه الصفات، ويلاحظ أن أهم صفة من

صفات الأنبياء هي العصمة، فهي الصفة الجامعة لكل ما ينبغي أن يوصف به النبي.

وبالمناسبة: كنت قد ناظرت بروتستانتيًا مرة من سنوات قريبة، وجادلته حول الكتاب المقدس ما يقرب من ساعة أو ساعة ونصف، وتشدد على أن العصمة في الكتاب المقدس -العهد القديم والجديد- هي ليسوع المسيح فقط، أما غيره من الأنبياء والرسل فليس لديهم العصمة، مهما كان الواحد فيهم.

والعصمة هي عبارة عن حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات، وهذه الصفة من الخصائص الذاتية للأنبياء، بمعنى: أنّ الله لم يخص بها أحدًا سواهم، والحكمة من ذلك أن الله ﷻ أمر باتباعهم والاقتداء بهم، فلو جاز وقوعهم في المعصية والآثام؛ لأصبحت المعصية مشروعة، أو أصبحت طاعتهم علينا غير واجبة، وهذا أمر مستحيل. فالأنبياء هم القادة، فكيف يأمر القائد بالفضيلة وينهى عن الرذيلة ثم يرتكب هو أنواع الفواحش والمنكرات؟ أي: كيف يجوز أن يكون نبيًّا ويكون سارقًا، أو قاطع طريق، أو شارب خمر، أو زانيًا، أو غير ذلك من القاذورات والنجاسات التي تمنع من الاقتداء بهم، إذًا لا بد أن تكون حياة النبي حياة كريمة فاضلة، حتى يكون مثلًا يحتذى لمن يدعوهم الحق.

وبعد هذه المقدمة اللازمة للحديث عن النبوات عند بني إسرائيل، والتي تعَدُّ بمثابة البلسم الشافي من السموم التي تعرض من بعد، والتي دسّها اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة عن رسل الله، بعد هذا نحاول أن نعرض لمفهوم النبوة عند اليهود، وحقيقة الأنبياء، وما يجوز وما لا يجوز عليهم من الصفات.

مفهوم النبوة عند اليهود، وصفات الأنبياء عندهم

وضّحت فيما سبق المفهوم الصحيح للنبوة والرسالة، وهو أنها: اصطفاء واجتباء واختصاصٌ من المولى ﷻ لعبد من عباده، يوحي إليه بالحق من السماء، سواء أمره بالتبليغ أو لم يأمره.

ولكن النبوة عند اليهود كان لها مفهوم آخر، فهي لا تقتصر على من اختارهم الله لذلك، وإنما تتسع لكي تشمل كل من يدّعي النبوة من الكهنة والسحرة والمخادعين والكاذبين، وهذا ما يشير إليه الأستاذ الدكتور عوض الله حجازي بقوله: وكلمة نبي في عرف اليهود واسعة المدلول، فهي تشمل الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى لرسالته، وأنبأهم بوحيه لإصلاح حال المجتمعات التي وجدوا فيها، كما تشمل الكثير من أدعياء النبوة، الذين كان منهم الساحر والمنجم والمنافق وغيرهم.

وإلى هذا يشير حزقيال بقوله: قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم، اسمعوا كلمة الرب، هكذا قال الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم، ولم يروا شيئًا، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب .... القائلون وحي الرب، والرب لم يرسلهم.

ومن هنا رأينا أسماء كثيرة لأنبياء ورد ذكرهم في التوراة منهم من ذكرهم القرآن، ومنهم من لم يرد لهم ذكر على الإطلاق، ويقسم اليهود أنبياءهم إلى قسمين: الأنبياء الكبار مثل: أشعيا، أرميا، دانيال، الأنبياء الصغار مثل: هوشع وعاموس ويونان، وفي الوقت ذاته يدّعون أن النبوة بدأت بموسى عليه السلام وانتهت بملاخي، أمّا ما كان قبل موسى من أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيسمونهم

الآباء أو البطارقة. ولا شك أن هذا التقسيم لا أساس له من الصحة، فليس هناك نبي صغير ونبي كبير، بل الأنبياء كلهم في النبوة سواء، قد يفضل بعضهم على بعض؛ كأولي العزم من الرسل، ولكن نفس التقسيم إلى كبار وصغار تقسيم مرفوض، لا يليق بمكانة الأنبياء، كما أن تسميتهم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بالآباء دون الأنبياء تسمية مرفوضة، اللهم إلّا إذا قرنت بالنبوة.

صفات الأنبياء عند اليهود:

يعتقد اليهود أنّ الأنبياء كسائر البشر، وأن كل ما يجوز على البشر من الوقوع في المعاصي وعدم العصمة من الخطأ يجوز عليهم، ومن هنا نسبوا إليهم ما لا يليق بهم من المعاصي والذنوب، سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر، ومن صفات الأنبياء عندهم: الكذب، شرب الخمر، الزنا، عبادة الأوثان، البله، الخبل، وعدم الفطانة، وغير ذلك مما لا يجوز عليهم، وباختصار: فإنهم ينسبون إليهم أكبر الكبائر دون حرج أو حياء، ولم تكتفِ التوراة بذلك، بل جعلت منهم أبطالًا للجريمة وقادةً للمعصية، والغريب أنه لم يسلم نبي من أنبياء الله من طعنهم وتجريحهم.

وسوف نوضح فيما يأتي نماذج مختصرة مما نسبه اليهود إلى أنبياء الله، مكتفين ببعض الأمثلة الصارخة، التي نسبها اليهود إلى لوط ويعقوب، وإسحاق وموسى، وهارون وداود وسليمان -عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأما غير هؤلاء مما لم يذكرهم القرآن، فلا يعنينا في قليل أو كثير ما نسبه اليهود إليهم، أمّا عن لوط نبي الله ومصطفاه، فقد نسبت إليه التوراة شرب الخمر والزنا ببناته، ونحن ننقل النص الذي ورد في التوراة كما هو؛ ليتبين للقارئ مدى افتراء اليهود على أنبياء الله، ومدى التحريف الذي لحق بالكتب السماوية لليهود

والنصارى، جاء في سفر التكوين: فصعد لوط وسكن الجبل وابنتاه، فقالت الكبرى منهما للصغرى: إن أبانا قد شاخ، وليس رجل على الأرض يستطيع أن يدخل علينا، فهلمّي نسقيه خمرًا ونضطجع معه ونقيم من أبينا خَلَفًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أبيها وهو لا يعلم عند اضطجاع ابنته ولا نهوضها، ولمّا كان الغد قالت الكبرى للصغرى: هو ذا قد اضطجعت البارحة مع أبي، فلنسقه خمرًا في ليلتنا هذه أيضًا، وادخلي فاضطجعي معه، فنقيم نسلًا من أبينا، فسقت أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أبيها، ولم يعلم عند اضطجاعها، فحملت ابنتا لوط من أبيهما، وولدت الكبرى ابنًا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى يومنا هذا، وولدت الصغرى أيضًا ودعت اسمه عمون، فهو أبو العمونيين إلى اليوم.

يا الله!! ما هذا الافتراء نبي من أنبياء الله المطهرين يشرب الخمر ثم يزني ببناته؟!! ألا على اليهود لعنة الله بما حرّفوا كتبهم، وشوهوا صورة أنبياء لهذه الدرجة، التي يأبى أخس خلق الله من البشر أن يقع فيها، إنّ الفاسقين من البشر قد يسمحون لأنفسهم بالذنوب والآثام والكبائر، ولكن لا يمكن أن يسمح واحد منهم لنفسه بالزنا ببناته، وهكذا يضع اليهود سيدنا لوطًا في أحطِّ درجات البشرية.

ويقول ابن حزم تعليقًا على نصِّ التوراة السابق: هذه فضائح وسوءات تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى، العارفين حقوق الأنبياء -عليهم السلام:

أولها: ما ذكر عن بنتي لوط عليه السلام من قولهما: ليس أحد في الأرض يأتينا فنضاجع أبانا، ونستبقي منه نسلًا، فهذا كلام أحمق في غاية الكذب، ذلك أن

نسل آدم لم ينقطع، والمسافة بين القرية التي سكن فيها لوط وبين القرية التي كان يسكن فيها سيدنا إبراهيم، لا تزيد على ثلاثة أميال فقط، إذًا هناك رجال على وجه الأرض، وعلى مسافة قريبة منهم، فما الداعي إلى هذه الفعلة الشنعاء؟

ثانيها: ما موقف نبي الله من هذه الفاحشة، فإن قالوا: لا ملامة عليه في ذلك؛ لأنه كان سكرانَ، لا يعلم من هما، قلنا: وماذا صنع حين رآهما حاملتين، ثم وهما تلدان وتربيان ولدين من الزنا.

يقول ابن حزم: هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى، وبرسله -عليهم الصلاة والسلام.

ثالثهما: أن القصة من أساسها متناقضة متهافتة مختلقة، ذلك أن التوراة ذكرت في مواضع أخرى أن سيدنا إبراهيم حين هاجر خرج بابن أخيه لوط، فكيف يتركه إبراهيم في هذه المغارة شريدًا طريدًا، وهو الذي آمَن به وتغرّب مثله، ثم أصبح نبيًّا هو الآخر، كيف يحدث له كل هذا وهو على بعد ثلاثة أميال من عمه إبراهيم، الذي تذكر التوراة أنه كان غنيًّا مفرط الغنى؟ ويقولون في توراتهم: إنه ركب في ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر؛ لحرب الذين سلبوا لوطًا وماله حتى أنقذه، فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع؟

يقول ابن حزم: ليست هذه صفات الأنبياء ولا صفات من فيه شيء من الخير، لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة، التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة، حتى ضلوا بها، ونعوذ بالله من الخذلان.

وأمّا عن يعقوب نبي الله، فقد نسبت إليه التوراة صفات خسيسة لا حصر لها، منها: الظلم وانتهاز الفرص، وأخذ ما ليس له بدون وجه حق، والمكر والاحتيال والكذب؛ حيث تروي التوراة أنّ إسحاق تزوج من امرأة اسمها

رفقة، فحملت منه، فلما كملت أيامها لتلد؛ إذ في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر، فدعوا اسمه عيسو، وأصبح بكر أبيه، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب، وكبر الغلامان، وكان إسحاق يحب عيسو، وأما رفقة فكانت تحب يعقوب، وكان الابن البكر له المنزلة الأولى في ميراث الأب، ومن هنا حاول يعقوب بكل الطريق أن يحلّ محل أخيه في البكورية، ومن هذا ما ترويه التوراة أنّ عيسو أتى يومًا ما من الحقل جائعًا مجهدًا مريضا، فطلب من أخيه يعقوب أن يطعمه، فأبى إلّا أن يتنازل عن بكوريته، وفعلًا تنازل عيسى عنها وأعطاه الطعام والشراب.

ويبين سفرُ التكوين محاولةَ أخرى ليعقوب من محاولات الاستيلاء على حق أخيه عيسو، فيقول: وجدت لما شاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر، وقال له: يا بني، إنني قد شخت، ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية، وتصيّد لي صيدًا واصنع لي أطعمة كما أحب، وائت بها؛ لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت، وكانت رفقة سامعة؛ إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدًا، وأمّا رفقة فنقلت ذلك ليعقوب ابنها، وقالت له: اذهب إلى الغنم وأحضر جديين جيدين فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، وتحضرها إلى أبيك ويباركك، فقال يعقوب لأمه: هو ذا عيسو أخي، رجل أشعر وأنا رجل أملس، وربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة، فقالت له أمه: لعنتك علي يا بني، اسمع لقولي فقط.

فذهب وأحضر الجديين، وصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة، التي كانت عندها في البيت، وألبستها يعقوب

ابنها الأصغر، وألبست يديه وملامسه وعنقه جلود الجديين، وأعطت الأطعمة والخبز إلى يعقوب، فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي، فأجاب: هأنذا، مَن أنت يا بني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتني، قم اجلس وكُلْ من صيدي لكي تباركني نفسك، فقال إسحاق لابنه: ما هذا الذي أسرعت لتجد؟ فقال: إن الرب إلهك قد يسر لي، فقال إسحاق ليعقوب: تقدّم لأجسك أنت هو ابني عيسو أم لا، فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه، وقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه؛ لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو، فقال له: أنت هل أنت هو ابني عيسو؟ فقال: أنا هو، فأكل وشرب، وقال لابنه: تقدم وقبّلني، ففعل فشمّ رائحة ثيابه، واعتقد منها أنه عيسو، فدعا له وباركه قائلًا: فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمرًا؛ لتستعبد لك الشعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيدًا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

ويستطرد سفر التكوين فيذكر أنّ عيسو عاد وصنع طعامًا، وجاء إلى أبيه، فعرف ما حدث، وطلب من أبيه أن يباركه، فقال له إسحاق: هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوقك، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستبعد.

ويلاحظ على هذا النص كثرة الكذب والتلفيق، الذي لا يمكن أن يقبله عقل، ومن هذا الكذب:

١. نسبة الخداع والمداهنة والكذب والتآمر على نبي من أنبياء الله هو يعقوب.

٢. نسبة السذاجة إلى نبي الله من أنبياء الله إسحاق؛ حيث يعطي ابنًا من أبنائه كل بركته بأكلة، ثم يحرم الآخر، ويدعو عليه بلا وجه حق، وهذه صفات لا تليق برسل.

٣. نسبة الوقوع في خطأ جسيم إلى نبي من أنبياء الله وهو إسحاق، وذلك أن الأنبياء موصولون بالسماء، ومن هنا لا يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ، حتى ولو كان كفيفًا لا يرى.

بل وتنسب التوراة إلى يعقوب ما هو أكثر من ذلك؛ حيث تدعي أن زوجته راحيل كانت وثنية تعبد الأصنام، وتدعي أن ابنًا من أبنائه هو راؤبين قد زنى ببلهة زوجة أبيه يعقوب، وأم أخوته هان ونفتالي.

وهكذا يصل إيذاء بني إسرائيل لأنبيائهم إلى هذه الدرجة، التي تجعلهم يلفقون التهم ويصنعون الأكاذيب، ويصورونهم في صورة لا تليق بهم.

وأمّا موسى عليه السلام نبي الله وكليمه على طور سيناء، فقد شوّه اليهود صورته تشويهًا شنيعًا، فقد حولوه من راعٍ لحركة تحرير الإنسان من عبادة غير الله لشخص آخر قميئًا على قدر مقاييسهم، محدودًا على قدر ضيق أفقهم، فهو يتحوّل عندهم إلى داعية من دعاة العنصرية المألوفين عند بني إسرائيل، وبعد ذلك ينسبون له من الصفات والأخلاق ما لا يجوز عليه كنبي، فقد نسب إليه اليهود أنه أمرهم بالسرقة، وسلب أموال وذهب المصريين، وهذا ما تشير إليه التوراة المنسوبة إلى موسى: حينما تمضون لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهبًا وثيابًا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين. هذا الكلام في سفر الخروج الإصحاح الثالث فقرة ٢١.

وفي سفر الخروج أيضًا الإصحاح الثاني عشر فقرة ٣٥: وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهبًا وثيابًا، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين، حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين.

قد تعرض موسى لإيذاء بني إسرائيل؛ حيث دبروا ضده مؤامرة لرميه بالزنا، وأشاعوا أنه هو الذي قتل أخاه هارون، وقد تصدى القرآن الكريم للدفاع عن موسى عليه السلام وإثبات براءته فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا روح بن عبدة، حدثنا عوف عن الحسن ومحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن موسى عليه السلام كان حييًا ستيرًا، لا يرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلّا من عيب في جلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلَا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وأنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لندبًا من أثر ضربه)).

هكذا يكشف لنا الحديث الشريف عن بعض أخطاء بني إسرائيل في حق أنبياء الله، وذلك أنهم مبرءون من العيوب المنفرة، ومع ذلك يدّعون على موسى هذه الادعاءات التي لا تليق بأنبياء الله -عليهم جميعًا من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "صعَد موسى وهارون الجبلَ، فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلته، كان ألينَ منك وأشد حياءً، فآذوه من ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته، فمروا على مجالس بني إسرائيل، فتكلمت بموته، فما عرف موضع قبره إلّا الرخم، وأن الله جعله أصمًّا أبكمًا".

وهكذا ينسب اليهود إلى موسى ما لا يجوز عليه من القتل والعيوب المنفرة.

وأمّا هارون عليه السلام فقد نسب إليه اليهود ما لا يتصوره عقل، ولا يقبله منطق، وهو الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهارون كما أخبرنا القرآن الكريم، رسولٌ من رسل الله، ونبي من أنبيائه: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٢- ٤٧].

وهكذا تتحدث الآيات عن موسى وهارون -عليهما السلام- بصفتهما دعاة لعبادة الإله الواحد، ورسلًا من عنده لهداية الناس إلى حقيقة الإله الذي يستحق العبادة، وبينما الأمر كذلك في القرآن الكريم، نجد أن التوراة المحرفة تتحدث عن هارون بصفته رجلًا وثنيًّا، يصنع الأصنام ويسجد لها من دون الله، ولا يكتفَى بذلك، بل يدعو اليهودَ إلى السجود للعجل الذهبي، وهاك نص التوراة كما ورد في سفر الخروج ٣٢/ ٦:

اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، وائتوني بها، فنزع

كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل، وصوره عجلًا مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلمّا نظر هارون بنى مذبحًا أمامه، ونادى هارون وقال: غدًا عيد للرب، فبكروا في الغد، وأصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح.

وواقعة عبادة بني إسرائيل للعجل هي واقعة صحيحة، ولكن القرآن الكريم يذكرها على حقيقتها دون زيادة أو تحريف، فيبين لنا أن الذي صنع لهم العجل هو موسى السامري، أحد المنحرفين عن رسالة موسى عليه السلام وقد ألقى على العجل قبضة من تراب، كان قد أخذها من أثر فرس جبريل حين نزل مع الملائكة لإغراق فرعون وجماعته. وقد أصبح لهذا العجل صوت يشبه خوار البقر، وزعم هذا الضال أنّ هذا العجل هو الرب، الذي بحث عنه موسى، فلم يعرف مكانه، وحذرهم هارون عليه السلام من فتنة هذا الضال، ولكنهم لم يلتفتوا إلى كلامه، وعبدوا العجلَ من دون الله، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٣: ٨٥].

ثم تحكي الآيات عن صنيع السامري فتقول: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه: ٨٨- ٩٦] وهكذا يبرئ القرآن الكريم ساحة هارون من هذا الافتراء، الذي افتراه اليهود على نبي من أنبياء الله.

وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن كُتّاب التوراة لا يرعون لأنبيائهم حرمة، ولا يرجون لهم وقارًا، ولا يتورعون أن ينسبوا إليهم أية نقيصة حتى خيانة الرسالة نفسها، التي بعثوا من أجلها.

وأما عن سيدنا داود عليه السلام فقد نسبت إليه التوراة ما لا ينسب إلّا إلى الفاجرين من البشر؛ حيث تدعي التوراة أن داود رأى امرأة جميلة، فأُغرم بها، وأمر بإحضارها، فضاجعها، وحملت منه بسيدنا سليمان، ثم دبر مكيدة لزوجها وتخلّص منه بالقتل؛ لكي يضمها إلى حريمه أو إلى نسائه.

وهذا ما يشير إليه كتابهم الذي يدّعونه مقدسًا -وما هو بمقدس- بقوله:

أرسل داود قائده يوآب وجنوده، ومن بينهم جندي اسمه أوريا، فخرّبوا بني عمون، وأما داود فأقام في أورشليم، وفي المساء قام داود عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم للطهارة من طمثها، وكانت جميلة المظهر جدًّا، فأرسل لها داود وأخذها ودخل بها، وعندما جاء موعد الطمث لم تحض، فأدركت أنها حملت من داود؛ إذ كان زوجها بعيدًا في المعركة، فأرسلت إلى داود وقالت: إني حبلَى، فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إليّ أوريا فأرسله، فسأله داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال له داود: انزل إلى بيتك واغسل رجلك، ولكن أوريا لم يذهب إلى بيته، ونام على باب الملك مع عبيد سيده، ولما عرف داود ذلك سأله عن

السبب، فأجاب أوريا إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك لا أفعل هذا الأمر، فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا أطلقك، وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب، وأرسله معه أوريا، وفي هذا المكتوب يقول داود: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيُضرب ويموت، ففعل يوآب ودفع أوريا وجماعة معه حتى دنوا من سور المدينة، ثم تقهقر عنهم فماتوا جميعًا، فلما سمعت امرأة أوريا أن بعلها قد مات ندبته، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له ابنًا هو سليمان.

ويختم الإصحاح بقوله: وأمّا الأمر الذي فعله داود فقبيح في عيني الرب.

حقيقة، إن القلم يخجل من تسطير مثل هذه الأكاذيب، ولولا أن النصوص هي الدليل الأول على انحرافهم لما لجأنا إلى هذا الهراء، الذي لا يتصوره عقل، نبي من أنبياء الله يرتكب عدة جرائم متوالية: الزنا القتل التآمر والخداع، هل هذه هي أخلاق الأنبياء، وهل هذا هو داود الذي يقول فيه القرآن الكريم: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] ويقول فيه أيضًا: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ويقول أيضًا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

هل هذا هو داود الذي كان إذا قرأ الزبور تكف الطير عن الطيران، وتقف على الأغصان والأشجار فترجع بترجيعه، وتسبح بتسبيحه، هل هذا هو داود الذي يقول عنه رسولنا الكريم ﷺ: ((أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه،

وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا))، هل يليق بهذا النبي الكريم ما نسبته إليه التوراة، ولكن كيف نستبعد عليهم ذلك، وهم الذين نسبوا لله ما هو أكثر فحشًا من كل ذلك؟

كما نلاحظ على نص التوراة ملحظًا خطيرًا، وهو أن كاتبه يحاول أن يظهر الجندي أوريّا بمظهر الرجل المثالي، مما يوحي بأن البشر العاديين أفضل خلقًا من الأنبياء، ولكن ما ينبغي أن ننبه عليه هنا: هو أن بعض المفسرين وقعوا في خطأ فاحش؛ حيث أخذوا قصص التوراة على ما هي عليه، ووضعوا قصة الافتراء هذه تفسيرًا لقول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢١: ٢٤].

وتفصيل القصة على ما ذكره المحققون: أنّ داود عليه السلام جزّأ وقته يومًا للعبادة ويومًا للقضاء ويومًا للوعظ والإرشاد، ويومًا لخاصة نفسه، فتسور عليه ملائكة في صورة البشر في يوم الخلوة والاحتجاب، وكان الحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه، فلم يشعر داود إلّا وأمامه بعض الأشخاص، ففزع منهم، وربما نوى الفتك بهم حين دخلوا عليه بلا استئذان، ولما سألوه عن الفتوى أجاب على الفَور دون أن يسأل الخصم الآخر، ولعله أدرك تسرعه في الفتوى فاستغفر الله من ذلك، فأين الهيام والغرام والحب والقتل الذي أضافته التوراة إلى داود عليه السلام خصوصا والآيات التالية أتت مفصلة وموضحة أمر هذه الفتنة وموضوعها، وهو الحكم بين الناس: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

فالفتنة لداود كانت في أمر الحُكم بين الناس بالعدل، وعدم اتباع الهوى، واتباع الهوى فيما يختص بنبي هو السير مع الانفعال الأول، وعدم التريث والتثبت مما يؤدي بالإنسان إلى الضلال.

هذه هي الفتنة وهذا هو موضوعها، وهو كما رأينا لا علاقة له بالقصص الموضوعة التي نسبها اليهود إلى داود، ونقلها بعض المفسرين دون تحقيق أو تمحيص، ألا لعنة الله على الكاذبين، ورحمة الله ورضوانه على علي بن أبي طالب الذي كان يقول: "ومَن حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدةٍ". وهذه عقوبة حد القذف مغلظة؛ لأنها في حق نبي من الأنبياء".

ونأتي إلى سليمان ﷺ: لكي نشاهد العجب العجاب في حق نبي الله ومصطفاه، وأول المصائب الكبرى ما ترويه التوراة أنّ سليمان ابن زنا، فهو ثمرة اللقاء المحرم بين داود وزوجة أوريا -كما تقدّم- وبعد ذلك تنسب التوراة إلى سليمان ﷺ من الفُحش والمعاصي ما تشيب له الأبدان، فهو يبدأ حياته في الملك بقتل أخيه أدنيا، وقتل يوآب قائد جيشه، وهو ممسك بقرون المذبح مستجيرًا، بل تروي التوراة أنّ سليمان حين تولى الملك قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم، بل وتتحدث التوراة عن مخالفات دينية كثيرة لسليمان، لدرجة أنه يسجد للأوثان، ويترك الإله الحق من أهل النساء اللاتي أغرم بهنّ، لدرجة أنه لم يكن له عمل إلّا الحب والجنس، واللعب مع نساء من مختلف الأجناس، مخالفًا بذلك تعاليم الرب، الذي أمر بعدم الزواج منهن، هذا ما يشير إليه الكتاب المقدس.

وهذا الكلام موجود في فسر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر على الفقرة ١٠ : وأحب الملك سليمان نساء غريبة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وحرونيات وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلوا إليهم وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء للمحبة، وكان له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، وأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان: أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورة، إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب كداود أبيه، فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل، الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب.

وهذا كذب وافتراء على نبي من أنبياء الله، تحدَّث عنه القرآن بكل إجلال، واحترام، وتقدير، فهو الوريث الملك عن داود عليه السلام: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦] وهو الذي سخر الله له الجن والرياح يعملون بأمره: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٥- ٣٩] وهو الذي آتاه الله حكمًا وعلمًا: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] إلى آخر الآيات الكريمة.

(عقيدة اليهود في الوحي (١))

عناصر الدرس

العهد القديم "التوراة"

هي كتاب الله الذي أنزله على سيدنا موسى عليه السلام ويعني بالعبرة الإرشاد والهداية، وقد جاء القرآن مصدقًا على ذلك بقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] ويطلق على التوراة الكتاب كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢] ويطلق عليها أيضًا الألواح والصحف والفرقان والضياء والذكر، يقول تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ويقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩] ويقول أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وتلك المسمّيات التي أطلقها القرآن الكريم على ما أنزل على سيدنا موسى، يرى بعض العلماء أنها إطلاقات لمسميات مختلفةٍ، وأن الألواح أعطيها موسى عليه السلام قبل التوراة، بينما يرى بعضهم أن الألواح هي التوراة، وأنها إطلاقات لمسمى واحد، ويرى آخرون أن الألواح مشتملة على التوراة، بمعنى أن التوراة بعض من الألواح. والرأي الراجح أنّ الصحف والألواح وغيرها من إطلاقات أسماء متعددة للتوراة، كما أطلق الحق سبحانه على القرآن الكريم فُرقانًا وهدًى، وتنزيلًا وكتابًا، ونورًا وذكرًا، وغير ذلك، وتطلق التوراة حقيقة على أسفار موسى الخمسة، ومجازًا على بقية أسفار العهد القديم.

محتويات العهد القديم:

يختلف تبويب وترتيب الأسفار المقدسة عند اليهود عمّا هو عليه عند النصارى، وقد أشار العهد الجديد -الإنجيل- إلى تقسيم العهد القديم إلى قسمين الناموس والأنبياء، في مَتى ١١/ ١٣ و٢٢/ ٤٠، وفي أعمال الرسل ٣٤/ ١٥، ومرة أخرى إلى ثلاثة أقسام: موسى، والأنبياء، والمزامير. لوقا ٣٤/ ٤٤، وربما كان ذلك على سبيل التعميم.

أمّا اليهود فقد قسموا كتبهم المقدسة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهي أسفار موسى الخمسة الأولى من العهد القديم، وهو ما يطلق عليه التوراة أو الشريعة وهي:

١. سفر التكوين أو الخلق: وعدد إصحاحاته خمسون، وفيه الحديث عن نشأة الكون وتدرج الحياة؛ حيث اشتمل على قصة خلق العالم وتكوينه، وخلق الله النور ثم الماء، ثم فصل الله بين ماء أعلى وماء أسفل، فكانت السماء والأرض والليل والنهار والطيور والدواب، ثم الحديث عن خلق آدم عليه السلام وذكر خطيئة آدم وقصة نزوله من الجنة، ثم الحديث عن نوح عليه السلام وقصة الطوفان، كما تضمّن الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وأخبار ذريته حتى يعقوب ويوسف عليه السلام ومجيء بني إسرائيل إلى يوسف واستقرارهم في مصر، وينتهي بالحديث عن موت سيدنا يوسف عليه السلام.

٢. سفر الخروج: وعدد إصحاحاته أربعون إصحاحًا، وتتناول قصة بني إسرائيل في مصر واضطهادهم، ثم الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام وحواره مع فرعون، وتفاصيل قصته كاملة حتى خرج بهم من مصر، ومن ثَمّ سمِّي بسفر الخروج لتناوله ذلك، كما تضمّن الحديث عن الوصايا العشر والتشريعات والتعاليم

الدينية الخاصة بإله بني إسرائيل ياهوه وتابوت العهد، وما حدث من بني إسرائيل في غيبة موسى عليه السلام.

٣. سفر اللاويين أو الأحبار: وعدد إصحاحاته سبع وعشرون، وهو نسبة إلى لاوي أحد أبناء يعقوب عليه السلام وقد كان سبطه هو المنوط به حفظ التعاليم وخدمة الهيكل، واشتمل هذا السفر على كثير من شئون الطقوس والأعياد والنذور والطهارة والأطعمة المحرمة، وكذا الأنكحة المحرمة، وفيه الحديث عن كثير من العادات والأوامر الدينية.

٤. سفر العدد: وعدد إصحاحاته ست وثلاثون، وتسميته بذلك تعود لإطاره العام؛ لأنه يشتمل على عدد الأسباط وتقسيمهم، وعدد الذكور منهم، وترتيب منازلهم حسب أسباطهم، وعدد جيوشهم وأموالهم، كما اشتمل على الحديث عن سيرة بني إسرائيل وهم في برية سيناء، وكذا الحديث عن التعاليم الكهنوتية والاجتماعية والدينية.

٥. سفر التثنية: وعدد إصحاحاته أربع وثلاثون سفرًا، وفيه الإعادة والتكرار لما تحدث عنه سفر اللاويين عن الحلال و الحرام والأحكام والشريعة للتثبُّت، ومن ثمَّ حوى عرضًا تفصيليًّا للوصايا العشر والأحكام وتعاليم الشريعة وطقوس الكهنة والأعياد المشروعة، والحديث عن الأخلاق، وينتهي بذكر وفاة موسى في جبل مؤاب.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء، ويقع في سبعة عشر سفرًا، وهم الأنبياء الأولون من أنبياء بني إسرائيل، ويحتوي كل سفر على التعاليم التي نادى بها النبي الذي ينسب إليه السفر، ويتسم هذا القسم بالإنذار بهلاك الدولة، وعدم تحقق آمال أبناء صهيون، كما تحدث عن بعض الوقائع التاريخية لبني إسرائيل في أرض

كنعان وفلسطين، وتأسيس دولتهم ونحو ذلك. والأنبياء الذين ذُكروا في هذا القسم يقسمّهم الكتاب المقدس إلى الأنبياء الأولين وهم: يشوع والقضاة وصموئيل الأول و الثاني والملوك الأول والثاني، والأنبياء المتأخرين، وينقسمون إلى الأنبياء الكبار أشعياء أرمياء حزقيال، والأنبياء الصغار وهم هوشع ويوئيل وعامور وعوبديا، ويونان وميخا وناحوم، وحبقوق وصفنيا وحجي، وزكريا وملاخي.

القسم الثالث: الكتب أو الأسفار الشعرية والتعليمية، وهي أسفار تتعدد فيها الموضوعات، ويغلب عليها الطابع الديني وهي:

١. سفر المزامير: وسمِّي بالمزامير نسبة إلى الآلة الموسيقية التي يستعملها المنشدون عند تلاوتهم لشيء من هذا السفر، ويشتمل على مجموعة من الترانيم الدينية والقصص والأساطير، ويقع في مائة وخمسين مزمورًا، ينسب معظمها إلى داود عليه السلام والبعض الآخر إلى سليمان وموسى -عليهم السلام-.

٢. سفر أيوب: وعدد إصحاحاته اثنان وأربعون، ويتناول قصة سيدنا أيوب عليه السلام وصبره على اختبارات الله له.

٣. سفر الأمثال: ويقع في إحدى وثلاثين إصحاحًا، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والأمثال المتفرقة مختلفة الأسلوب.

٤. سفر نشيد الأنشاد: وهو أسلوب غزلي رمزي، وقد شكك بعض الكتاب في سند هذا السفر وقداسته؛ لما في أسلوبه من الركاكة والابتذال.

٥.سفر الجامعة: وهو يدعو إلى الزهد في الدنيا.

٦.سفر راعوث.

٧.سفر المراثي.

٨.سفر أستير.

٩.سفر دانيال.

١٠. سفر نحمية

١١. سفر عزرا.

١٢. سفر أخبار الأيام الأول.

١٣. سفر أخبار الأيام الثاني.

وقد أشار الكتاب المقدس إلى أنّ هذه الأسفار قد رتِّبت هكذا بالنسبة إلى زمن كتابتها.

أما المَسيحيون فقد قسموا العهد القديم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أسفار موسى الخمسة.

القسم الثاني: الكتب التاريخية: ويقع في اثني عشر سفرًا، وهذا القسم تاريخي يصور بشكل تفصيلي المسار التاريخي للشعب اليهودي، بدءًا من يوشع بن نون، وحتى عصر السبي والضعف الذي أدى إلى تفرقهم في ممالك الأرض تحت حكم الفرس واليونان والرومان والفراعنة.

القسم الثالث: الأسفار الشعرية: وعددها خمسة أسفار، وهي: أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد.

والأسفار التسعة والثلاثون السابقة هي مجموع أسفار العهد القديم طبقًا للأصل العِبري.

وهناك أسفار أخرى وتسمَّى الأسفار الخفية، جاءت زائدةً في الترجمة السبعينية، وهي سفر طوبيا والحكمة والمكابيين الأول والثاني والثالث والرابع، ويهوديت والكهنوت ونشيد الأطفال الثلاثة وسوزان، وسفر بل والتنين، وأسفار عزرا الثلاثة، وزيادات في سفر دانيال.

جدول يتضمن عدد أسفار وإصحاحات وأعداد وكلمات العهد القديم:

أسماء الأسفار، عدد الإصحاحات، الأعداد، الكلمات:

- سفر التكوين: الإصحاحات ٥٠، الأعداد ١٥٤٢، الكلمات ٢٠٩٦٧.
- سفر الخروج: الإصحاحات ٤٠، الأعداد ١٢٢٤، الكلمات ١٦٧٧٣.
- سفر اللاويين: عدد الإصحاحات ٢٧، الأعداد ٨٥٩، الكلمات ١٢٠٧.
- سفر العدد: الإصحاحات ٣٦، الأعداد ١٣٨٨، الكلمات ١٦٨٥٢.
- سفر التثنية إصحاحات ٣٤ الأعداد ٩٦٤ الكلمات ١٤٨٧٤.
- سفر يوشع ٢٤ إصحاح العدد ٦٧٧ الكلمات ١٠٣٨٥ كلمة.
- سفر القضاة عدد الإصحاحات ٢١ الأعداد ٦٨١ الكلمات ١٠٢٨١.
- سفر راعوث عدد الإصحاحات ٤ الأعداد ٨٥ الكلمات ١٣٦٤.
- سفر صموئيل الأول ٣١ إصحاح الأعداد ٨٠٦ الكلمات ١٣٩٨٠.
- سفر صموئيل الثاني الإصحاحات ٢٤ الأعداد ٦٩٧ الكلمات ١١٤٦٠.

- سفر الملوك الأول إصحاحات ٢٢ الأعداد ٨١٦ الكلمات ١٣٥٤٨.

- سفر الملوك الثاني الإصحاحات ٢٥ الأعداد ٧٢٠ الكلمات ١٢٨٧٣.

- سفر أخبار الأيام الأول الإصحاحات ٢٩ الأعداد ٩٤٢ الكلمات ١١٨٣.

- سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦ إصحاح الأعداد ٨٢٢ الكلمات ١٤٥٤٢ كلمة.

- سفر عزرا ١ الإصحاحات ١ الأعداد ٢٨٠ الكلمات ٤١١٧ كلمة.

- سفر نحميا ١٣ إصحاح الأعداد ٤١٦ الكلمات ٥٦٣٢.

- سفر أستير الإصحاحات ١ الأعداد ١٧٦ الكلمات ٣٢٦٨.

- سفر أيوب الإصحاحات ٤٢ الأعداد ١٠٩٩ الكلمات ٩٣٧٥.

- سفر المزامير الإصحاحات ١٥٠ الأعداد ٢٤٣٩ الكلمات ٢١٩٠٢.

- سفر أمثال سليمان الإصحاحات ٣١ الأعداد ٩١٧ الكلمات ٧٧٩٠٧.

- سفر الجامعة الإصحاحات ١٢ الأعداد ٢٢٢ الكلمات ٣٢٣٣ كلمة.

- سفر نشيد الأنشاد عدد الإصحاحات ٨ الأعداد ١١٧ الكلمات ١٣٥٤.

- سفر نبوة أشعياء الإصحاحات ٦٦ الأعداد ١١٩٠ الكلمات ١٨٥٧٣.

- سفر نبوة أرميا ٥٢ إصحاحًا الأعداد ١٣٦٤ الكلمات ٢٢٨١٢.

- سفر مراثي أرميا الإصحاحات ٥ الأعداد ١٥٣ الكلمات ١٧٦١.

- سفر نبوة حزقيال الإصحاحات ٤٨ الأعداد ١٢٥٣ الكلمات ٢٠٠٥١.

- سفر نبوة دانيال الإصحاحات ١٢ الأعداد ٣٥٨ الكلمات ٦١٩١.

- سفر نبوة هوشع الإصحاحات ١٤ الأعداد ١٩٧ الكلمات ٢٥٩٨.

- سفر نبوة يوئيل الإصحاحات ٣ الأعداد ٧٣ الكلمات ١٠٣٣.

- سفر نبوة عاموس الإصحاحات ٩ الأعداد ١٤٦ الكلمات ٢٢٣١.

- سفر نبوة عوبديا الإصحاحات ١ الأعداد ٢١ الكلمات ٣١٨.

- سفر نبوة يونان الإصحاحات ٤ الأعداد ٤٨ الكلمات ٧٤١.

- سفر نبوة ميخا الإصحاحات ٧ الأعداد ١٠٥ الكلمات ١٥٧٢.

- سفر نبوة ناحوم الإصحاحات ٣ الأعداد ٤٧ الكلمات ٦٢٤.

- سفر نبوة حبقوق الإصحاحات ٣ الأعداد ٥٦ الكلمات ٧٤٣.

- سفر نبوة صفنيا الإصحاحات ٣ الأعداد ٥٣ الكلمات ٨١٤.

- سفر نبوة حجي الإصحاحات ٢ الأعداد ٣٨ الكلمات ٦٣٣.

- سفر نبوة زكريا الإصحاحات ٢ الأعداد ٣٨ الكلمات ٦٣٣.

- سفر نبوة زكريا الإصحاحات ١٤ الأعداد ٢١١ الكلمات ٣٣٢٧.

- سفر نبوة ملاخي الإصحاحات ٤ الأعداد ٥٥ الكلمات ٩٠٨.

فيكون الإجمال ٣٩ سفرًا، ٩٢٩ إصحاحًا، ٢٣٢٤٨ الأعداد الداخلية للإصحاحات ٣٢٢٥٩٧ كلمات.

والسامريون لا يسلمون من أسفار العهد القديم إلا بسبعة كتب، وهي الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ وهي ما يطلق عليها التوراة أو الناموس، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة، وتخالف نسخة توراتهم، ويسمونها التوراة العبرانية، نسخة توراة اليهود ويؤمن بها نصارَى البروتستانت حاليًا.

لغة التوراة، وترجمات العهد القديم

من المفيد التعرُّف على رحلة النص للعهد القديم ؛ حتى نكون على بينة من أمره أثناء نقد أسفاره فيما بعد ، وبيان مدى التأثير و التأثر المصاحب للترجمة.

ويستلزم ذلك الحديث عن أمرين :

الأول : لغة التوراة.

الثاني : العهد القديم.

بيان الأمر الأول : لغة التوراة :

تجدر الإشارة إلى أن المتصفح للتوراة والقرآن يجد أن الله ﷻ قد أمر موسى وهارون -عليهما السلام- بإنذار فرعون ودعوته إلى توحيد الله ، وإرسال بني إسرائيل مع موسى ، تقول التوراة : "وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون .... فساق الغنم إلى وراء البرية ، وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة .... ثم قال : أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب .... فالآن هلمّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" ، ويقول الله ﷻ في القرآن الكريم آمرًا سيدنا موسى وهارون : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء : ١٦ ، ١٧]، كما يجد المتصفح أيضًا أن ثمة حوار دار بين موسى وفرعون ، وقد أشار كلٌّ من التوراة والقرآن إليه أيضًا ، تقول التوراة : "وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالَا لفرعون : هكذا يقول الرب إله إسرائيل : أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية ، فقال فرعون : من هو الرب حتى أسمع لقوله" إلى آخر هذا النص الوارد في سفر الخروج الإصحاح الخامس ١ / ٣.

ويشير القرآن إلى ذلك الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، وبين موسى والسحرة، فيقول الله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦- ٢١] إلى آخر الحوار مع فرعون. أمّا الحوار مع السحرة: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٨- ٤٣].

إلى نهاية الحوار الذي دار في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

وعليه، فهل لغة التوراة اللغة العبرية التي هي لغة اليهود الأصلية، بناء على ما هو متعارف عليه في تاريخ الأديان، من أن كل رسول جاء بلسان قومه ليبين لهم، مصداقًا لقول الحق تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾؟ [إبراهيم: ٤] أم أنّ لغة التوراة اللغة المصرية القديمة؛ استنادًا إلى الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، وموسى والسحرة، واللغة التي كان يتكلم بها فرعون والسحرة هي المصرية القديمة، فهي اللغة المشتركة بينهما؟

وفي حقيقة الأمر، فإن لغة ذلك الحوار وإن كانت المصرية القديمة، إلّا أنها لا تكفي دليلًا على أن لغة التوراة هي المصرية القديمة، وعليه فإن الرأي القائل بأن لغة التوراة هي اللغة العبرية، هو الأقوى والأرجح، وذلك لما يلي:

أولًا: إن مهمة سيدنا موسى الأساسية قائمة على ركيزتين، أولاهما: دعوة فرعون وقومه إلى توحيد الله، وإرسال بني إسرائيل مع موسى كما أشارت التوراة والقرآن إلى ذلك، ورغم أن لغة الدعوة التي توجه بها موسى إلى فرعون وقومه، كانت هي المصرية القديمة، إلا أن ذلك لا يعني أن موسى رغب عن لغته ولغة قومه الأصلية وهي العبرية القديمة، وهم بطبيعة الحال يحافظون على القومية، وعدم الذوبان في الأمم الأخرى، وعليه فإن موسى عليه السلام وجه الدعوة إلى فرعون باللغة المشتركة بينهما، وقد عاش موسى في مصر وتعلم المصرية القديمة، وحاور فرعون وقومه بها، إلا أن ذلك كان قبل أن يجاوز موسى البحر، وقبل نزول التوراة، وذهاب موسى لميقات ربه.

ثانيًا: بعد أن هلك فرعون ومن معه، وخرج بنو إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، وهي الركيزة الأولى في مهمته، بدأ سيدنا موسى في تنفيذ مهمته الأساسية، وهي الركيزة الثانية بتعليم بني إسرائيل طريق الله وهدايتهم إليه، وكان ذلك بعد أن خرج موسى من مصر وذهب لميقات ربه على الجبل المقدس، وتلقى الألواح هناك، كما أشارت إلى ذلك التوراة والقرآن؛ حيث تقول التوراة: "في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر..... وأما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل ..... ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلًا: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض". سفر الخروج الإصحاحات ١٩، ٢٠.

إلى نهاية التعاليم السماوية التي تنادي بالوحدانية والتي جاء بها موسى من عند ربه ليعلمها قومه.

ثم تقول التوراة: "فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين". سفر الخروج الإصحاح ٣٢/ ١٥: ١٧.

ويشير القرآن الكريم إلى مكان وزمان نزول التوراة أيضًا، فيقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٥].

ومن ثمَّ، فإن سياق القصة يدل على أن التوراة نزلت دفعة واحدة بعدما ذهب موسى لميقات ربه، وكان ذلك بعد نجاته وقومه من آل فرعون، الأمر الذي جعل موسى عليه السلام يتوجه إلى قومه بالتعليم والتوجيه والموعظة، وسياق القرآن واضح في ذلك، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥] ويقول تعالى أيضًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] وأيضًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠- ٢١].

ثالثًا: أنّ القرآن الكريم وهو الكتاب المصدِّق لما بين يديه من الكتاب والمهيمن عليه، نسب تحريف التوراة إلى اليهود أهل اللغة العبرية، لا إلى المصريين أهل اللغة المصرية، كما أضاف التوراةَ إليهم، وأسماهم أهل الكتاب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] وهذا يعني أنّ التصرُّف في النصِّ بالزيادة أو النقص إنما يكون لأهل لغة ذلك النص، ومعروف أنّ اليهود هم أهل النص ولغتهم العبرية، كما أضاف القرآن إلى التوراة حين خاطبهم بيا أهل الكتاب، أي: أنهم أصحاب كتاب سماوي نزل عليهم ولهم، وكما أخبر القرآن واقتضت سنة الأديان أن كل نبي إنما يأتي بلسان قومه، فمن ثمَّ فإن لغة التوراة هي العبرية، فالعبرية لغتهم والتوراة كتابهم وسيدنا موسى عليه السلام من أنبيائهم.

وقد أخبر القرآن أنهم أوتوا الكتاب ؛ حيث يقول الله سبحانه في القرآن: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١] وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] ومن ثمَّ فالكتاب بلغتهم، وهذا يقوي أنّ لغة التوراة هي العبرية ؛ لأنها ارتبطت باليهود وارتبط اليهود بها، ولا زالت التوراة وكتبهم المقدسة مكتوبة بها، ومن اللغة العبرية القديمة ترجم العهد القديم إلى اللغات الأخرى.

بيان الأمر الثاني: ترجمات الكتاب المقدس:

يترجم الكتاب المقدس إلى اللغات المعروفة لمنفعة الذين يجهلون اللغات الأصلية، أو الذين يعرفونها جزئيًّا، أما ترجمات العهد القديم التي وُجدت قديمًا كما يستعملها اليهود فهي:

١. الكلدانية: وتسمى هذه الترجمة ترجومات، وإليها يشار في سفر نحميا ؛ حيث يقول السفر: "واللاويين أفهموا الشعب الشريعة، والشعب في أماكنهم، وقرءوا في السفر في شريعة الله ببيان، وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة". سفر نحميا إصحاح٨ – ٧/ ٨، وهذه الترجمة توضح كيف كان اليهود يفهمون بعض الجمل المستعصية على الفهم الآن في الكنيسة.

٢. اليونانية السبعينية: وقد قام بترجمتها اثنان وسبعون عالمًا من علماء اليهود تحت رعاية بطليموس في لادلفوس، عام ٢٨٥ قبل الميلاد، ولذلك دعيت بالسبعينية، وهي التي كانت مستعملة في أيام المسيح عليه السلام وقد استشهد كتاب

العهد الجديد وآباء الكنيسة الأُوَل بآياتها، إما حرفيًّا أو حسب المعنى، وهي التي ترجمت إلى اللاتينية، وكان اليهود يزعمون أن الله أوحى بكلمات هذه الترجمة للعلماء الذين قاموا بها، ولكن عندما أخذ المسيحيون يستشهدون بآياتها ضد العادات والتعاليم اليهودية التي كانت سائدةً في عصرهم، عاد اليهود إلى الأصل العبراني، وأهملوا هذه الترجمةَ التي تُرجمت في أماكن كثيرة بالمعنى لا بالحرف، وهي تتضمن اليوم كتب الأب كريفا، التي لم تكن في الأصل العبراني.

ويرى الفيلسوف اليهودي فيلون ٢٠ أو ٣٠ إلى ٥٤ قبل الميلاد، أن ترجمة العهد القديم خاصة الترجمة السبعينية، هو الأمر الأساسي في ترجمة الشريعة اليهودية، وهذا عمل لم يأخذوا فيه لحاجة اليهود أنفسهم، بل لرغبة اليونان في معرفة هذه الشريعة، وإذا نحن -والكلام لفيلون- إزاء أقوى عمل لجعل الشريعة عالمية.

وهناك ترجمات أخرى يونانية موجودة في بعض المتاحف، وأخرى لم يبقَ منها إلا آثار تدل عليها، والأسفار الخمسة السامرية ليست ترجمة، بل هي نص عبراني مكتوب بحروف سامرية.

أما الترجمات القديمة التي صنعت خصيصًا لأجل المسيحيين فهي:

١. الترجمة السريانية الدياتسرون:

وقام بها تتيان تلميذ يوستنانوس.

أ. السريانية القديمة: وانتشرت هذه الترجمة انتشارًا واسعًا في القرن الثاني الميلادي.

ب. الشيطا -أي: البسيطة- وقد ترجم العهد القديم إلى السريانية في القرن الثاني والثالث للميلاد.

ج. الترجمة الفيلكسونية الهرقلية: وقام بها أسقف سوريا المدعو فيلوكسينيس عام ٥٠٨ ميلادية، ونقحها توما الهرقيلي عام ٦١٦ ميلادية، مستعينًا بمخطوطات كثيرة من مدينة الإسكندرية.

د. الترجمة السريانية الفلسطينية: ويرجع أصلها إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للميلاد.

٢. الترجمة اللاتينية:

أ. الترجمة القديمة: وجدت حوالي أواخر القرن الثاني للميلاد؛ لأنها كانت منتشرة كثيرًا في شمالي أفريقيا، وأن ترتليانوس من ١٥٠ إلى ٢٢٠ ميلادية كان يعرف أقسامًا كثيرة منها، وقد استعملها أيضًا أسقف قرطاجنة ليبريانوس، من ٢٠٠ إلى ٢٥٨ ميلادية بكثرة، أما العهد القديم ففيها فقد ترجم من الترجمة السبعينية اليونانية وليس من العبرانية.

ب. الفلجاتا أو الشعبية: وقام بها إيرونيموس ٣٤٠ إلى ٤٢٠ ميلادية، وأوجد ترجمة لاتينية موحدة، وذلك بمقابلتها باللغة اليونانية عام ٣٨٤ ميلادية، وكذلك ترجمتين للمزامير بمقابلتها بالترجمة السبعينية، وقد انتقل إيرونيموس إلى دير في بيت لحم عام ٣٨٧ ميلادية؛ حيث ترجم العهد القديم عن اللغة العبرانية رأسًا، مستعينًا ببعض الأساتذة اليهود، وهكذا بدأ عمل في الترجمة عام ٣٩٠، وأنهاه عام ٤٠٥ ميلادية.

٣. الترجمة القبطية:

ظهرت هذه الترجمة بلهجات كثيرة أشهرها الصعيدية والبحيرية، ولكن البحيرية هي التي قبلتها الكنيسة، وقد اكتملت عام ٦٠٠، و٦٥٠ ميلادية.

٤. الترجمة الحبشية:

وقام بها كرمنتيوس، الذي كرسه اسنايوس بطريرك الإسكندرية أسقفًا على الحبشة، أو أنها تمت تحت إشرافه، ويقال بأن الذين قاموا بالترجمة الحبشية القديسون التسعة الذين هربوا من سوريا إلى مصر بعد مجمع خلق دونية، بسبب عقيدتهم بالطبيعة الواحدة، وقد نقحت هذه الواحدة في القرن الرابع عشر للميلاد.

٥. الترجمة الغوطية:

وقد نقل الكتاب المقدس إلى اللغة الغوطية عام ٣٥٠ ميلادية، وقام بذلك الأسقف ألفيلاس، ولم يترجم أسفار صموئيل الأول والثاني ولا الملوك الأول والثاني؛ لأنه ادعى أنه من الخطر وضع هذه الأسفار بين أيدي الشعب الغوطي بسبب الروح الحربية الموجودة فيها.

٦. الترجمة الأرمينية:

وقام بها إسحاق البطريرك ٣٩٠ إلى ٤٢٨ ميلادية، ويقال: إن مسروب مخترع الأبجدية الأرمينية ٤٠٦ ميلادية، قام عام ٤١١ بمساعدة أحد الكتبة اليونانيين على ترجمة الكتاب المقدس من اللغة اليونانية، وابتدأ من سفر الأمثال.

٧. الترجمة الجرجانية.

٨. الترجمة السلافية:

وقد تمت في القرن التاسع للميلاد على يد كري لوس ومتيديوس.

٩. الترجمة العربية:

لقد وجدت ترجمات جزئية للكتاب المقدس إلى العربية قبل الإسلام، ثم وجدت بعد الإسلام، وانتشاره خارج الجزيرة العربية ترجمات كثيرة، منها ترجمة كان يستعملها نصارى الشرق، ومنها ترجمة قام بها يوحنا أسقف أشبيلية في أسبانيا عام ٧٢٤ ميلادية، وقد اكتشفت حديثًا مخطوطات لأجزاء من الكتاب المقدس في مكتبة دير القديسة كاترين، بعضها يرجع إلى القرن الثامن الميلادي، والآخر إلى القرن التاسع الميلادي، وقد ترجم إسحاق فالكيز عام ٩٤٦ ميلادية في قرطبة أسبانيا إنجيل لوقا إلى العربية، ونقل سعدي جون أو سعيد الفيوم أو سعدي الفيومي ٨٩٢ إلى ٩٤٢ العهد القديم، من العبرانية إلى العربية؛ لمنفعة يهود المشرق وقد طبع الكتاب المقدس، طُبِعَ باللغة العربية في مجموعة باريس المتعددة اللغات عام ١٦٤٥ ميلادية، وفي مجموعة لندن عام ١٦٥٧ ميلادية، وفي روما ١٦٧١ ميلادية، تحت إشراف هيئة كان يرأسها الأسقف سركيس بن موسى الرزيّ. أما الترجمات العربية المستعملة الآن فقد تمت في بيروت في ١٨٦٠ ميلادية، والعهد القديم في عام ١٨٦٥ ميلادية في بيروت أيضًا، ويحتوي على تسعة وثلاثين سفرًا.

وما برح علماء أهل الكتاب وجمعيات الكتاب المقدس دائبين على ترجمة الأسفار المقدسة لديهم، حتى فاقت ترجمها الألف ومائة لسان ولهجة، ومن الترجمات العربية الحديثة تلك التي قام بها أحمد فارس الشدياق قبل أن يسلم، وطبعت عام ١٨٥٧ ميلادية، والترجمة التي قام بها عالي اسميث، وأكملها كرنيليوس فانديق بمعاونة بطرس البستاني، ونصيف اليازجي، والشيخ يوسف الأسير، وطبعت عام ١٨٦٥ ميلادية، وقد قام الآباء دومنيكان في الموصل بترجمة تمت وطبعت ١٨٧٨ ميلادية، وترجمة الآباء اليسوعيين عام ١٨٨٠ ميلادية، وتقوم جميعات الكتاب المقدس بإعداد ترجمة جديدة، وألفت لها لجنة من ٦٥ عالمًا.

هذه هي رحلة النص المقدس، عندما استقرأناها عبر التاريخ لنتعرف على ما وصل إليه النص عبر حركات الترجمات الترجمة في العصور والثقافات والمذاهب المختلفة أثناء نقده فيما بعد.

عوامل الحفظ في الأمة اليهودية وعدم اتصال السند

وحتى يكون القارئ على بينة من هذه الرحلة الطويلة التي أنهكت النص، وعملت حركة التأثير فيه عملها، فهل ما يسمى بالعهد القديم أو التوراة له سند إلى الوحي المعصوم، ويتمشى مع أصول الدين والعقل، أم طغت ظلمة الأهواء على نور الوحي الإلهي، الذي كانت تتسم به توراة سيدنا موسى عليه السلام وانقطع سندها، فلم يتوفر لها عوامل الحفظ والبقاء، فضلًا عن معارضة التوراة الحالية لأصول الرسالات الإلهية، وكذا المسلّمات العقلية؟ هذا ما سيتضح فيما يلي:

أولًا: عوامل الحفظ في الأمة اليهودية وعدم اتصال السند:

إن التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام وهي وحي معصوم من عند الله لهداية بني إسرائيل، وإنارة طريق الحياة لهم وفق قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] وقوله أيضًا: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وعن عدد الألواح فقد قيل: اثنان، وقيل: سبعة، وقيل: عشرة، أمّا عن نوعية الألواح، فقد قيل: إنها من زبرجد، وقيل: إنها من زمرد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب، وقيل: من حجر الجبل الذي تجلّى الله لسيدنا موسى عليه، وقيل: من حجر جاء به سيدنا جبريل عليه السلام من الجنة.

وقد اعتمد المفسرون هنا على نصوص التوراة في هذا الشأن، منها ما ورد في سفر الخروج: "وقال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم، فقام موسى ويشوع خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله، وأيضًا فانصرف موسى ونزل من الجبل، ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيها من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين" الخروج ٣٢/ ١٥، ١٦.

ومنها أيضًا: "ثم قال الرب لموسى: أنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين" الخروج ٣٤/ ١.

ومن ثَمّ فقد قام سيدنا موسى عليه السلام بواجب الهداية والإرشاد، والخروج ببني إسرائيل من وهدة الوثنية إلى نور التوحيد والتنزيه المطلق، رغم ما عاناه من

رغبتهم في الانغماس في مظاهر الوثنية، من نحو عبادة العجل وطلبهم منه أن يجعل لهم إلهًا آخر، وهذه الرغبة ظلت كامنة في أعماق نفوسهم وصدورهم، تراودهم في الظهور ما وجدت إلى ذلك سبيلًا.

فلما قضى موسى نحبه -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- وكان مقررًا أن تحفظ التوراة عن طريق الكتابة والإيداع في التابوت، لا عن طريق رواية الحفاظ الثقة جيلًا عن جيل، فلذلك عاب عليهم القرآن الكريم عدم حفظ التوراة عن طريق الكتابة والإيداع: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

فعوامل حفظ التوراة لم تتوفر للأمة اليهودية بعد سيدنا موسى عليه السلام حيث وقع التابوت أداة حفظ التوراة في أيدي الفلسطينيين عندما انهزم بنو إسرائيل، فأخذه الفلسطينيون ووضعوه بجانب منهم، ثم جعل صموئيل علامة استحقاق طالوت للملك استرجاعه التابوت من أيديهم، فرجع التابوت وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ثم عندما سكن داود أورشليم نُقِلَ التابوت إليها، فبقي هناك إلى أن بني الهيكل، كما ورد في سفر صموئيل الثاني ٦/ ١: ١٥، وسفر أخبار الأيام الأول ١٥/ ٢٥: ٢٩، ووضع التابوت فيه كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ٥/ ٢: ١٠، ثم وضع منسي تماثلًا منحوتًا، وأزال التابوت من مكانه، كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٣/ ٧، غير أن يوشيا سمّاه تابوت العهد، ثم يقول قاموس الكتاب المقدس: "ولم يكن التابوت في الهيكل الثاني، غير أننا لا نعلم هل أخذ عندما نهب البابليون أورشليم أو اختفى ثم فقد"، إلا أن سفر صموئيل الأول ٤/ ١١، ١٨ يقرر أخذه فيقول: "وكانت الضربة عظيمة جدًّا، وأخذ تابوت الله".

وأيما كان الأمر فالنتيجة واحدة وهي فقدان التابوت بإقرارهم أنفسهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقوله أيضًا: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

فإشارة القرآن الكريم وسياق القصة يؤكدان فقدان التابوت ومعظم ما فيه، فلم يبق فيه إلا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وليس كل ما ترك.

وبعد سيدنا سليمان تعرّض الهيكل للهدم والنهب والتدمير مرتين؛ الأولى على يد المصريين في عد رحبعام بن سيدنا سليمان، كما ورد في سفر الملوك الأول، وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء" سفر الملوك الأول ١٤/ ٢٥. فانقطع سند التوراة، ولم يبق لها أثر حتى جاء عهد الملك يوشيا بن أمون، ٢٩ إلى ٥٩٨ قبل الميلاد.

وفي العام الثامن عشر من حكمه ادّعى الكاهن حلقيا أنه وجَد مخطوطة لسفر التثنية، ومجموعة من الشرائع، وكان ذلك بعد موت سيدنا سليمان بثلاثة قرون، والذي لا يتفق مع العقل، هو أن يوشيا كان مهتمًّا هو وبطانته بترويج الملة الموسوية، ولكنه مع ذلك ما رأى أحدًا، ولا سمع وجود نسخة التوراة إلى سبعة

عشر سنة من سني حكمه، فإذا ما ادعى حلقيا الكاهن وجود نسخة التوراة وأعطاها شافان الكاتب، فلا يعتمد على هذه النسخة، ولا على ادعاء حلقيا؛ لأن الهيكل هدم مرتين، ثم جعل بيت الأصنام، وسدنة الأصنام كانوا يدخلونه كل يوم، وما سمع أحدٌ إلى سبعة عشر عامًا، مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد في البحث عنها، فالعجيب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد، فهذه النسخة من مخترعات حلقيا لّما علم من رغبة الملك في اتباع الملة الموسوية، فجمع الروايات التي وصلت إليه، وكان إلى هذه المدة في جمعها وتأليفها، ثم نسبها إلى سيدنا موسى عليه السلام ومثل هذا العمل كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود، ومع ذلك لم يعمل بهذه النسخة إلّا إلى ثلاث عشرة سنة، وبعدها لم يعلم حالها.

والثانية -أي: التدمير الثاني- كان على يد بختنصر؛ حيث كان المجيء الأول له إلى فلسطين ٦٠٥ قبل الميلاد، والحادثة الأولى التي حدث فيها تخريب منه كانت في عام ٥٩٧ قبل الميلاد، عندما جاء إلى القدس واستولى على الهيكل وسائر محتوياته، كما جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤/ ١٢: ١٦، وأما الحادثة الثانية لبختنصر، والتي كان فيها مملكة يهوذا نهائيًّا، فكانت في سنة ٥٨٧ أو ٥٨٦ قبل الميلاد، وفي هذه الحادثة ضاعت للمرة الثانية التوراة التي كتبها حلقيا، وانعدمت هي وجميع كتب العهد العتيق التي كانت مصنفةً قبل هذه الحادثة.

ثم بعد ذلك سمح كورش الفارسي سنة ٥٣٩ قبل الميلاد بعودة اليهود من السبي البابلي إلى أورشليم، فعادوا وقاموا ببناء الهيكل، وكتب عزرا التوراة مرة أخرى على زعمهم، فتح انتيوكس عام ١٦١ قبل الميلاد، أنتيوكس ويكتب: أنخيوس، أنطيوكس، وهو اسم لعدد ملوك رومانيين الذين حكموا سوريا، والملك المقصود

هنا هو أنتيوخس الرابع، ويقال له: أنتيوكس أبي فانس بن أنتيوخس الثالث، وخليفة أخيه سلوقس الرابع، وقد حكم سوريا من سنة ١٧٥ إلى ١٦٣ قبل الميلاد، وأراد أن يحقق ديانة اليهود.

فتح أنتيوكس عام ١٦١ قبل الميلاد أورشليم، وأحرق نسخ كتب العهد العتيق، وأمر أن من عنده نسخة منه أو يؤدي رسم الشريعة يقتل وتعدم تلك النسخة، فأعدمت في هذه الحادثة جميع النسخ التي كتبها عزرا.

كما وقع على اليهود حوادث أخرى جسيمة، منها حادثة تيتوس الروماني عام ٧٠ ميلادية، فإذا كان خراب أورشليم على يد بختنصر في عام ٥٨٦ قبل الميلاد قد قضى على اليهودية كدولة، فإن خرابها على يد الرومان قد قضى عليهم كأمة؛ حيث شردهم في بقاع الأرض، فإذا علمنا أن سيدنا موسى عليه السلام أرسل إلى قومه حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأن تدوين التوراة سواء كان المدون حلقيا أو عزرا، فإن التدوين ظهر متأخرًا عن سيدنا موسى عليه السلام بقرون عدة، بل إن هناك أسفارًا كتبت بعد عزرا مثل سفر دانيال، فهذا يدل على انقطاع السند، وعدم توافر عوامل الحفظ للتوراة.

(عقيدة اليهود في الوحي (٢))

عناصر الدرس

تعارض العهد القديم مع أصول الرسالات الإلهية والمسلمات العقلية

إنّ الرسالات الإلهية مِن ألفها إلى يائها تقوم على أصول عامة تتفق وتحقق الهدف الذي جاءت من أجله، ومن أهم هذه الأصول الإيمان بإله واحد، منزه عن النقص في الذات والصفات والأفعال، وكذا الإيمان برسله جميعًا، وعدم نسبة الفحشاء إليهم؛ لأنهم أرسلوا لدعوة الناس إلى الحق ومكارم الأخلاق، وهذا شأن التوراة قبل انقطاع سندها وتحريفها؛ حيث كانت كتاب هداية وإرشاد، وقد عرض القرآن الكريم أصول هذه الديانة عرضًا مستوفيًا في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

لكن اليهود حرَّفوا التوراةَ فجاءت متعارضةً مع أصول الرسالات الإلهية، وفوق ذلك فهي مليئة بالانحراف والتعارض، تبعًا لانتماء كتَّابها والأشخاص الذين تطبَّق عليهم، ولهذا فلا تجد لها وحدة تجمعهم.

وسنورد بإيجاز نماذجها من تعارضها مع أصول الرسالات الإلهية، وحقائق كل دين فيما يتعلق بالله ورسله، الذين هم عناصر الوحي المعصوم، فإذا ما ثبت هذا التعارض من واقع كتبهم تبين بما لا يدع مجالًا للشك أنها لا تمت للوحي المعصوم بصلة؛ لأن ما هو من عند الله لا تضارب فيه؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

أولًا: فيما يتعلق بالله، وقد سبق الكلام عن هذه الجزئية، وأنوه هنا إلى أنّ اليهود من واقع كتبهم المقدسة لديهم تصور مريض عن الله لا يتفق وحقائق الرسالات الإلهية وبدهيات العقل، ويصور سيدنا موسى عليه السلام نفسياتهم المريضة، واستعدادهم للانحراف في الاعتقاد، فيقول لهم: "الرب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًّا غير حكيم" سفر التثنية ٣٢/ ٦، ويصفهم بأنهم جيل أعوج ملتو. سفر التثنية ٣٢/ ٥، وأنهم جيل متقلّب ولا أمانة فيهم، إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. سفر التثنية ٣٢/ ٢٠ : ٢٨، وأنهم يعصونه دائمًا: لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا، وعصيتم قول الرب، وحين أصعدكم الرب قائلًا اصعدوا وامتلكوا الأرض التي أعطيتكم، عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم. سفر التثنية ١/ ٦٢ والإصحاح ٩/ ٢٣، ٢٤.

وإذا كانت هذه هي شهادة كتابهم ونبيهم عليهم، فإن القرآن الكريم صدّق على هذه الشهادة، فأوضح فساد معتقدهم في الإله، وذكر نسبتهم الولد إليه تعالى؛ حيث يقول: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وطلبهم من موسى إلهًا آخر حين قالوا له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٩: ١٤٠] بل إنهم عبدوا إلهًا آخر، ويقرر القرآن ذلك فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

ومن هذه النفوس المريضة جاء تصورهم لله على النحو التالي:

١.نسبة التعب والإعياء إليه: فقد ورد في سفر التكوين: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله. سفر التكوين ٢/ ٢، ٣. فوصف الله بالتعب لا يمت للوحي المعصوم بصلة؛ لأنه يستحيل أن يصف الله نفسه بذلك، ولقد وردت قصة الخلق هذه في القرآن الكريم وكونها في ستة أيام بعيدة عن هذا الكفر والضلال، فيقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] وقوله: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥].

٢.نسبة الأكل والتلذذ بالطعام إليه: تذكر التوراة أنّ الضحايا المحرقة يرتاح لها الله، وينتعش من رائحة الدخان المنبعث منها، وفي القرآن الكريم رد على هذا الضلال؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

٣.نسبة الحزن والأسف والندم إليه: فتصف التوراة الإله بالانفعالات النفسية المختلفة؛ حيث تقول: فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسّف في قلبه. التكوين ٦/ ٦، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه. الخروج ٣٢/ ١٤، وكل هذا لا يليق بواجد الوجود وهو الله سبحانه؛ حيث إن أصول الدين والمسلمات العقلية يوجبان له كل كمال يليق بذاته المقدسة، وكمالات الله لا تتناهى ولا يحصيها العبد.

٤.نسبة الظلم إليه –وحاشاه–: إن رسالات الله تصفه بالعدل بينما تصفه مصادر اليهود المحرفة بالظلم والجور؛ حيث يأخذ الآباء بذنوب الآباء؛ حيث تقول التوراة: أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع. سفر الخروج ٢٠/ ٥ وأيضًا سفر العدد ١٤/ ٨ وأيضًا سفر التثنية ٥/ ٩، و١٧/ ٢٦ وسفر اللاويين ١٠/ ١٧. والقرآن الكريم ينفي ذلك الضلال؛ حيث يقرر أن: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، ومن ثَمّ فإنّ سياق التوراة وكذا القرآن وشهادتهما يدلان على أن تصور اليهود لله ﷻ تصور جاهلي مادي قائم على التجسيم والتشبيه بالصفات البشرية، مما يدل على أنه مستقى من مصادر شتّى، اختلط فيها نور الوحي المعصوم بظلمة الأهواء والثقافات البشرية، الأمر الذي يتعارض مع أصول الرسالات الإلهية والمسلمات العقلية في نظرتهم لله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٣، ٤٤].

ثانيًا: فيما يتعلق برسل الله، لقد أخبرنا الله ﷻ أنّ رسله مصطفون أخيار، مفضلون على البشر، ويتوفر لهم بعد الاصطفاء الإلهي الكمال البشري، لكن اليهود شذوا عن هذه الأصول؛ حيث وصفوا الأنبياء بالقتل والزنا والشرك وحب النساء، ونسبت التوراة إلى هارون الشرك بصناعته العجل لقومه كما تقدّم.

لكن الحقيقة الأنبياء والرسل بشر مكرمون، واليهود من الذين ردوا إلى أسفل سافلين بما كسبت أيديهم، الأمر الذي يؤكد استقاء توراة اليهود لا توراة موسى من مصادر شتّى لا تمت للوحي المعصوم بصلة، وما بقي من توراة موسى في توراة اليهود إلّا بصيص نور من الوحي قد غطي بظلمة الإضافات البشرية.

مـن المصـادر لـدى اليهـود: التلمـود

التلمود: اسم عبري معناه تعليم. عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة، مع بعض الآيات أو الفقرات من الكتاب المقدّس، واليهود يزعمون بأنّ هذه التقاليد أعطيت لموسى عليه السلام حين كان على الجبل، ثم تداولها هارون ولآل عازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح عليه السلام حتى جمعها الحاخام يهوذا وكتبها، واليهود مدينون في هذا العمل إلى الرباني يهوذا بن سيمون بن جامليل، من ١٣٥ إلى ٢١٧ ميلادية، ففي توليه منصب البطريق، وبواسطة المجلس الأعلى في الجليل، عمل على جمع الروايات والشروح الشفوية، سواء منها ما وضع في عهده أو قبله، أي: يوحنا كما يسميه البعض، أو خارج فلسطين، وكانت تسمّى مشنا يهوذا، وبعد ذلك سميت التلمود، أي: الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وديانته وآدابه.

ولم يتفق علماء اليهود على أمر فيما بينهم بخصوص تلك الروايات الشفوية، نظرًا لنزعاتهم الشخصية، فدونه كل منهم بطريقته الخاصة بحسب فلسفته وانتماءاته الدينية، وفي عصور مختلفة، الأمر الذي أدى إلى تضارب نصوصه، إلى أن قام يهوذا هاناسي بتدوين نسخة معتمدة خالية من التناقض، وكان ذلك بين أعوام ١٩٠ إلى ٢٣٠ ميلادية، ثم دُوّنت في صورتها الختامية في نهاية القرن الخامس الميلادي على يد الحاخام جوسي، وكان جوسي أول من أطلق عليه الآمِر أو الملقّن من حاخامات اليهود، وأما من جاءوا بعده فكانوا يسمون أصحاب الرأي؛ إذ كان عملهم قاصرًا على الاستنباط مما سبق.

محتويات التلمود:

يتكون التلمود من المشنا، بمعنى: الموضوع الأصل المتن، ومن الجمارا، بمعنى: الإكمال الإنهاء الإنجاز الشرع، وفي تعريف لكلمة المشنا، أيضًا في تعريف لكلمة الجمارا. المشنا: مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة، وكان اليهود وما زال يعتبرونها مصدرًا من مصادر التشريع، يأتي في المقام الثاني بعد التوراة مباشرة، ويظنون أنها ترتفع هي أيضًا إلى سيدنا موسى عليه السلام بالرغم أن التوراة الحالية لا تربطها بموسى إلا علاقة ضعيفة جدًّا، ولذلك فإنهم يسمونها المشنة التوراة الشفوية.

وكلمة الجمارا تعني: التكملة النهاية الخاتمة، وهي لغة من الفعل جمر ومضارعه يجمر، ويأتي هذا الفعل إما متعديًا بمعنى: أكمل، أنهى، أوصل الأمر إلى نهايته، كما يأتي لازمًا بمعنى: انتهى كمل تمّ، مثل: خلص يا رب لأنه قد انقرض التقي. مزامير ١٢/ ٢، ومثل: لينتهي شر الأشرار وثبت الصديق، فإن فاحص القلوب والكلى الله البار. مزامير ٧/ ٩، وقد يتعدى الفعل بنفسه إلى مفعوله دون مساعدة، وقد يتعدى بمساعدة حرف الجر على أو الظرف بعد، وفي هذه الحالة يخرج عن معناه الأصلي ليفيد معنًى جديدًا: هو يدافع عن يحمي كما في أصرخ إلى الله العلي إلى الله المحامي عني، ومثل: الرب حامي عني، وقد أطلقت هذه الكلمة لتؤدي معنى اصطلاحيًّا تعارف عليه أحبار اليهود، واستخدم منذ عصر الشراح ٢١٩ إلى ٥٠٠ ميلادية حتى الآن؛ حيث يطلق على أقسام وفصول التلمود التي تتضمن أقوال الشراح بقصد تفسير وتوضيح وتوسيع ما جاء في المشنا، وأصبح اسمًا يطلق على التلمود كله، فإذا قيل: الجمارا، فالمقصود محتويات التلمود كله.

أولًا: المشنا: وهو الجزء الرئيس والأساس للتلمود كله، وتقع في ثمانمائة ورقة، موزعة ست مجلدات، مقسّمة إلى ثلاث وستين بحثًا، والأقسام الستة الرئيسة والتي تسمى سدرين بمعنى أحكام هي:

١. الزراعة أو البذور، وتسمى زيداثم، ويشتمل على إحدى عشرة رسالة تتحدث عن النظم والقوانين المتعلقة بالزراعة بالتفصيل، فيذكر زراعة الحقول والحدائق، والعناية بها، سواء كانت مثمرة أو لا، ويربط هذه الأعمال بالعبادة اليومية، ويبين حق الفقراء في الحصاد، ويتحدث مع ذلك عن حمد الله بعد الطعام، وصيغ التبرك التي تتلَى في أوقات مختلفة

٢. الفصول أو المواعيد أو الأعياد: ويسمى موئيد بمعنى الأيام المقررة، ويشتمل على اثنتي عشرة رسالة تتحدث عن تبجيل يوم السبت والعبادة فيه، وعن مواعيد الصيام والأعياد والاحتفالات، كما تتحدث عن التقويم اليهودي.

٣. النساء ويسمّى تاشيم على سبع رسائل، تعرض قوانين الزواج والطلاق والجوانب الجنسية العامة، وواجبات وحقوق كل من الرجل والمرأة تجاه الآخر، وقوانين الإرث والنذور.

٤. الجروح والجنايات: وتسمّى تزكين بمعنى الأضرار، ويشتمل على عشر رسائل، تتناول المدينة والحياة العامة، وجزاء كل عدوان، ورعاية الحقوق، وحقوق الوالدين، ونظم التقاضي والقضاء، والحديث عن مجمع السبعين اليهودي السنهدرين، الذي يعتبر المحكمة العليا، وصبغ بالصبغة الدينية في تشريعاته، كما شمل الحديث عن نظم التجارة والسياسة والاجتماع.

٥.المقدّسات: وتسمى كوداشيم، بمعنى الأشياء المقدسة، وتشتمل على إحدى عشرة رسالة، وهي مخصصة للحديث عن الضحايا والقرابين، وشئون الهيكل، وتنصيب رجال الدين، وواجباتهم والحديث عن الذبائح والأطعمة.

٦.الطهارات: وتسمّى توهوروت أو توهاروت، ويشتمل على اثنتي عشرة رسالة، تتحدث عن التطهر والنجاسة، والطاهر والنجس في الإنسان والحيوان، والأشياء التي تستعمل وما يجوز أكله من الحيوان وما لا يجوز.

هذا وتوجد رسائل تلمودية أخرى أضيفت إلى التلمود، ورسائل أخرى صغيرة أضيفت إلى الطبعات الحديثة، كما أن هناك سفرًا يسمى ميداتش، فيه إضافات وقصص وأحكام جمعت بعد إتمام التلمود، وربما أضيفت ويضاف غيرها طبقًا لمسلتزمات العنصرية اليهودية في كل وقت، وربما ينقص منه أيضًا طبقًا لصالحها العنصرية، أو المصالح العنصرية السياسية، ولعل أقوى شاهد على ذلك تلك الطبعات التي صدرت منه بعد سنة ١٦٣١ ميلادية، ومحذوف منها الأجزاء الصريحة المهاجمة للمسيح ولنصارى اليوم، ويوجد في أقسام المشنا تضارب واضح، مما يدل على أنها كونت من روايات عديدة ومتفرقة، وفي عصور مختلفة، وقد كتبت المشنا بلغة عبرية حديثة خالية من الرقة والعواطف والخيال، وفيها أثر من اليونانية واللاتينية، وإنما كتب التلمود بالعبرية؛ لأن الغرض الأساسي منه أن يكون هو المادة التي تجمع شتات اليهود على مختلف طبقاتهم وأماكنهم، كما أن التلمود هو الذي شكل يهودية التلمود، وهم يهود ليسوا من نسل إسرائيل، والذين يمثلون تسعة أعشار يهود العالم.

ثانيًا: الجمارا: أضاف الربانيون والأحبار والمعلمون الروايات الشفهية الأقل شهرة، وكذا الروايات التي استبعدها يهوذا من المشنا، بالإضافة إلى بعض الأحكام الشرعية والإجابات عن المشاكل التي عرضت بعد تدوين المشنا، ومن ثم خرجت الجمارا كشرح للمشنا وزيادة؛ حيث حوت أحكامًا ليست في المشنا، ولم تجمع الجمارا إلا بعد ثلاثمائة ٣٠٠ عام من اكتمال المشنا، وكتبت باللغة الآرامية، واستمرت الإضافات والشروح للتلمود بعد أن استغلقت تعاليم ومفاهيم المشنا على الفهم، الأمر الذي أدى إلى ظهور نسختين من التلمود هما:

١. التلمود الأورشليمي: نسبةً إلى أورشليم، أورشليم مدينة مقدسة لدى اليهود والنصارى والمسلمين، ومعنى الاسم: أساس السلام، أو أساس الإله شاليم، وتسمى أيضًا معدن العدل، والمدينة مدينة القدس، المدينة المقدسة، بيت المقدس، المقدس، والقدس الشريف.

إلا أنه لا يعتمد به في معظم الأحوال -التلمود الأورشليمي- نظرًا لغموضه واختصاره الشديد، وبعده عن العمق المنطقي والشمول الجامع الذين يتميز بهما تلمود بابل، كما أن معظم أحبار اليهود لا يرجعون إليه إلّا فيما لم يذكر في البابلي، وأحيانًا يستخدم تلمود أورشليم للترجيح بين رأي ورأي كلاهما ذكر في البابلي، وتلمود أورشليم يختلف عن تلمود بابل في لغته؛ حيث إن لغة تلمود أورشليم عبرية، تتخللها عبارات بالآرامية الغربية، أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية، وفيه عبارات عبرية وعربية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية، أما بالنسبة للجمارا، أما المتن أو المشنا فهو بالعبرية في كليهما.

٢. التلمود البابلي: نسبة إلى بابل بالعراق، وأساسه مشنا يهوذا، بالإضافة إلى الشروح والإضافات التي كتبها الأحبار خاصة الحاخام آبار أريكا ١٧٥ إلى ٢٤٧

ميلادية، واليهود يعتمدون عليه اعتمادًا كليًّا، وهو المراد عند الإطلاق، وقد كُتب واليهود في ظل الأمن والأمان والحرية التامة في بابل، واليهود عامة تعتبر التلمود أوفى مرجع للتعاليم اليهودية، عباداتٍ ومعاملاتٍ وأخلاقًا، فهو يعد مصدر التشريع لكل ممارسات اليهود، وهو مع التوراة يعدّان المصدرين الأساسيين للفكر اليهودي، بل إن اليهود تركوا أقوال الله في توراة موسى عليه السلام واتخذوا أقوال أحبارهم في التلمود من دونها، وصدق الله؛ إذ يقول عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

يقول الحاخام رسكي: التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى.

وبالتلمود خرج إلى الوجود يهوديتان؛ يهودية التوراة ويهودية التلمود، العنصرية القومية السياسية التي ترى أن الشعب اليهودي يجب أن ينعم بكل الخيرات الخارجية والجسدية؛ بما أنه هو الذي يعمل بشريعة الله على أحسن ما يكون العمل، وأن العالم بالشريعة اليهودية لا ينتظر أن يكون بل كان فعلًا إنه لا توجد مدينة الآن لا تعظّم السبت.

وهكذا أنزل اليهود التلمود منزلةَ القداسة عندهم، وجعلوا منه مصدرًا رئيسًا للفكر والعقيدة؛ حيث أعطوه سندًا دينيًّا إلى موسى عليه السلام واعتبروا أن مخالفة شريعة موسى عليه السلام خطيئة قد تغتفر، أما مخالفة التلمود فعقابها القتل.

من تعاليم التلمود:

إن المتصفح لتعاليم التلمود يستطيع أن يحلل النفسية اليهودية الصهيونية، ومطامعها، ويكشف خفاياها؛ حيث يسمح التلمود لليهودي أن يعامل جاره

اليهودي بقواعد تخالف ما يتعامل به مع غير اليهودي، فالمتتبع للتلمود وتعاليمه يستطيع أن يكتشف أعماق الفكر اليهودي، وما يدبره لغير اليهود من الشعوب، ونظرة الصهيونية للمعتقدات الدينية.

ولمعرفة خطر التلمود على الإنسانية والأديان، نقرأ من هذه التعاليم التلمودية ما يلي:

أولًا: الله ﷻ في رأي التلمود:

يصور التلمود الله بصورة لا تمت للدين والعقل بصلة؛ حيث يجلس الله تعالى ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، ولم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل، ومن ذلك الوقت لم يرقص مع حواء، وقد اعترف بخطيئته في هدم الهيكل، فصار يبكي، ويمضي ثلاثةَ أرباع الليل يزأر كالأسد قائلًا: تبًّا لي؛ لأني أمرت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي، وتسقط من عينه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما، وتضطرب المياه وترجف الأرض، وحين يغضب يستولي عليه الطيش، إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يحله من يمينه.

ثانيًا: الملائكة في نظر التلمود:

الملائكة قسمان: من لا يطرأ عليه الموت وهو الذي خلق في اليوم الثاني، ومن يطرأ عليه الموت وهو قسمان أيضًا: من يموت بعد زمن طويل وهو الذي خُلق في اليوم الخامس، ومن يموت في يوم خلقه بعد أن يرتل الله ويقرأ التلمود ويسبح التسابيح، وهو الذي خلق من النار، فهؤلاء الملائكة يأتون إلى عالم الوجود بسرعة، كما يخرجون منه بسرعة، ولهم وظائف فميخائيل للمياه، وجبرائيل للنار وإنضاج الأثمار.

ثالثًا: الشياطين في رأي التلمود:

خلق الله الشياطين يوم الجمعة، حين خيم الفسق، ولم يخلق لهم أجسادًا ولا ملابس؛ لأن يوم السبت كان قريبًا، ولم يكن لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك، والشياطين على جملة أنواع، فبعضهم خلق من مركب مائي وناري، وبعضهم من الهواء، وبعضهم من الطين، وبعضهم من نسل آدم؛ لأن آدم بعد أن لُعِنَ جامع اثنتين من نساء الشياطين، فجامعهما فولدتا الشياطين، وأن آدم كأن يأتي شيطانة اسمها ليليت، فولدت له شياطين، وأن حواء أيضًا ولدت شياطين بسبب نكاحها من ذكور شياطين.

رابعًا: أرواح اليهود وأرواح غيرهم في التلمود:

تتميز أرواح اليهود بأنها أعز على الله من باقي الأرواح؛ لأنها جزء من الله، وأن أرواح غير اليهود إنما هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، ونطفته كنطفتها، وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة بدل روحه الأصلية، ويؤمن اليهود بتناسخ الأرواح، فيقول التلمود: إن اليهود الذين يرتدّون عن دينهم بقتلهم يهوديًّا، تدخل أرواحهم بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذب عذابًا أليما مداه اثنا عشر شهرًا، ثم يعود ثانية وتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين، وأخيرًا تعود إلى جسد اليهود بعد تطهيرها، وهذا التناسخ فعله الله رحمة باليهود؛ لأنه أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية، والجنة نصيب اليهود دون سواهم، والنار نصيب المسلمين؛ لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم، وقد صور القرآن الكريم ذلك وسجله عليهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

واليهود هم الطبقة الممتازة؛ حيث إن الإسرائيلي معتبر عند الله أفضلَ من الملائكة، فإذا ضرب أمي كل مَن سوى اليهودي إسرائيليًّا، فكأنه ضرب العزة الإلهية، والأمي يستحق القتل، والتلمود يعتبر الأجانب كالكلاب، ويجيز التلمود لليهودي أن يغش الكفار، وهم كل مَن سوى اليهود، وأن ينافقهم والأرض ملك لليهود، ولهم حق التسلط عليهم، فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عندهم، بل هو استرداد أموالهم، ولليهودي الحق في الاستيلاء عليها، ويفسرون ما جاء في وصايا سيدنا موسى عليه السلام من نحو: لا تسرق لا تزني، فيقولون: إن موسى لم يقل لا تسرق مال الأمي، بل نهَى عن سرقة القريب أي: اليهودي، حتى إذا قال موسى: لا تسرق، فإن السرقة غير جائزة من الإنسان، فيعتبرون الإنسان بأنه هو اليهودي، وأما الخارجون عن دين اليهود فكل ما يفعل بهم جائز.

هذه هي القاعدة المتبعة في القضايا بين اليهود وغيرهم، بل إن رد مال الأمي المفقود منه ممنوع على اليهودي؛ حيث جاء في التلمود أنّ الله لا يغفر ذنبًا ليهودي يرد لأمي ماله المفقود؛ لأنهم كفرة ووثنيون، ومن ثَمّ فالربا مباح معهم، والقرض يكون على شرط الربا المرة بعد المرة، حتى يعجز عن السداد، فيضطر إلى التنازل لليهودي عن أمواله وممتلكاته، وما ذلك إلّا أننا أبناء الله وأحباؤه - اليهود يعني- ومن ثَمّ فليس علينا في الأميين سبيل، وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] وقوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

هذه بعض تعاليم التلمود، التي يزعم اليهود أن لها سندًا دينيًّا إلى موسى عليه السلام ثم إلى الله؛ لأنه هو الموحي بها إلى موسى، وهو على الجبل بزعمهم، ويتناسون أبناء القردة أنّ الله لا يأمر بالفحشاء و المنكر، وحاشا سيدنا موسى أن يورّث قومه هذا الضلال، ولكنهم قوم يجهلون كما وصفهم سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ويتضح جهل اليهود وكذبهم في نسبتهم هذا الضلال إلى سيدنا موسى عليه السلام فيما يلي:

أنه من وضع الحاخامات في عصور مختلفة، لا من أقوال سيدنا موسى؛ حيث يقول الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون: منذ أيام معلمنا موسى عليه السلام حتى حاخامنا المقدس يهوذا هاناسي، لم يتفق أحد من أحبار اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية، باسم القانون الشفوي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه؛ لينقلها شفاهةً إلى شعبه، الأمر الذي أدى إلى وجود تضارب في أقسام التلمود، مما يدل على أن أشياء أضيفت في وقت متأخر، لم تكن منسقة مع ما سبق.

فلو كانت من سيدنا موسى ما وجد فيها اختلاف؛ لأن شأن الرسل الهداية لا الاختلاف والفرقة، كما أن مضمون التلمود ودعوته إلى الهدم والتدمير لغير اليهود تنفي عنه صفة القداسة، وقد عاب القرآن الكريم عليهم ذلك بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

البروتوكولات الصهيونية

كذلك في القداسة عندهم بعد التوراة وبعد التلمود تأتي البروتوكولات الصهيونية:

وهي من مصادر الفكر والسلوك اليهودي، ما يسمّى بروتوكولات حكماء صِهيون، وهي مجموعة من الوثائق، تضمنتها محاضرة طويلة استغرقت عدة جلسات ألقاها ساسة اليهود؛ ليستأنس بها في كل ما يقدمون عليه ويسعون إلى تنفيذه من خطط سرية وعلنية؛ لاستعباد العالم كله، تحت حكم ملك من نسل داود لقيام مملكة إسرائيل كبرى المتسلطة على العالم، فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولهم وتأييدها، وهي في جملتها مؤامرة شريرة، خرجت من قلوب مريضة لاحتواء البشرية لصالح اليهود، وأمام هذا الهدف فإن البروتوكولات تعد بؤرة الاهتمام الرئيس عندهم، والقانون الملزم لديهم وأساس مستقبلهم، ومن ثم فإنهم يقدرونها وينظرون إليها نظرة إجلال وتقديس لا تقل عن التوراة والتلمود.

محتوى البرتوكولات:

يشرح ساسة اليهود منهجهم في عرض خططهم فيقولون: سنكون صرحاء ونناقش دلالة كل تأمّل، ونصل إلى شروح وافية للمقارنة والاستنباط، وعلى هذا المنهج سنعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم، وجاءت هذه السياسة العامة للبرتوكولات في إطارين: المداد الجوييم أو بالأميين مَن عدا اليهود، ومعنى

الكلمة عندهم: البهائم والأنجاس، والكفرة والوثنيون، يعني: مَن ليس من اليهود يُعدّ عندهم كالبهيمة وكالنجس وكالكافر والوثني.

جاءت هذه السياسة العامة للبرتوكولات في إطارين:

الأول: يبحث في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم بإقامة المملكة الكبرى.

الثاني: موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا هم سادة العالم وأصحاب السلطة عليه، ومن هنا عملت البرتوكولات على إعداد الشعب اليهودي للسلطان، وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار عن طريق استنزاف ثروات العالم، ونشر المذاهب الهدامة عن طريق الجمعيات السرية والمحافل الماسونية وأنديتها المختلفة؛ كوسائل لنشر الإباحية والبعد عن القيم الإلهية والإنسانية، فإذا ما تحقق لهم الهدف، وتكوّنت الحكومة اليهودية العالمية، وانتصروا، فسيقومون مملكة استبدادية تحكم العالَمَ، ويكون مقرها أورشليم، ويتحقق ذلك إمّا بسقوط كل الحكومات، أو بإحكام السيطرة على الحكومات التي لم تسقط بعد.

وهذا هو المنهج الذي جاءت البرتوكولات في إطاره والتي تتلخص فيما يلي:

البرتوكول الأول: خير النتائج ما ينتزع بالقوة والعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية، وأن قانون الطبيعة هو أنّ الحق يكمن في القوة، والسياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خطتنا ألّا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد، والقوة المحصّنة هي المنتصرة في السياسة، وسوف ننتصر ونستعبد الحكومات جميعًا،

تحت حكومتنا العليا، لا بهذه الوسائل فحسب، بل بصرامة عقائدنا أصلًا، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون في كبح كل تمرد.

البرتوكول الثاني: يلزم لغرضنا ألّا تحدث أي تغييرات إقليمية عقب الحروب، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم، وسنختار من بني العامة رؤساء إداريين، ممن له ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نقيم للأمميين وزنًا، ولا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح داروِن وماركس ونيتشه، قد رتبناه من قبل، وأن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة، التي نحصل بها على توجيه الناس.

البرتوكول الثالث: إننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية، شعار شعبنا دورتها، ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحقد والبغضاء، التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيدًا كل مَن يصدون عن سبيلنا، وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أي: تشتغل الغوغاء كي ما نحطّم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا، وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا.

البرتوكول الرابع: إن خبرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأمميين، بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا.

البرتوكول الخامس: إننا سننظم حكومة مركزية قوية؛ لكي تحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا، وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة، كما لو كانوا أجزاء كثيرة جدًّا في جهاز، ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية يسمح بها

للأميين، وبذلك يعظم سلطاننا، نحن أقوياء جدًّا، وإن الحكومات لا تستطيع أبدًا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن تتدخل فيها سرًّا، فبحكمنا فليحكم الملوك؛ لأننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية إننا شعبه المختار.

البرتوكول السادس: نبدأ سريعًا بتنظيم احتكارات عظيمة؛ لتستغرق خلالها دائمًا الثروات الواسعة للأميين.

البرتوكول السابع: إن ضخامة الجيش وزيادة القوة البوليسية الضروريتان لإتمام الخطط، وكل جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا، يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعدوات المتبادلة، فبهذه الوسائل سنتحكّم في أقدار كل الأقطار بالقدرة على خلق الاضطرابات، كما نريد مع قدرتنا على إعادة النظام، ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على تلك الدولة، التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا، ولكن إذا غرض هؤلاء الجيران، فقرروا الاتحاد ضدنا، فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية، يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأميين بما يقال له: الآراء العامة، التي دبرناها نحن في الحقيقة من قبل، متوسلين بأعظم القوى وهي الصحافة، وأنها جميعًا لفي أيدينا إلّا قليلًا، لا نفوذَ له ولا قيمةَ يعتد بها.

البرتوكول الثامن: يجب أن نأمن كل الآلات التي قد يوجهها أعداؤنا ضدنا، إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين، والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير.

البرتوكول التاسع: إنّ الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي: الحرية والمساواة والإخاء، وبها سنمسك الثورَ من قَرْنيه؛ وحينئذٍ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلّا قوتنا، وإنني أستطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون في الحكم والمقررون للعقوبات، وأننا نقضي بإعدام مَن نشاء ونعفو عمن نشاء، ونحن أولو الأمر الأعلون في كل الجيوش، ونحن نحكم بالقوة القاهرة، إن لنا طموحًا لا يحد، وشرهًا لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس، إننا مصدر إرهاب بعيد المدى، وإننا نسخّر في خدمتنا أناسًا من جميع الأحزاب والمذاهب، ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين، وجعلناه فاسدًا متعفنًا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون بها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة.

البرتوكول العاشر: إن الحكومات والأمم تقنع في السياسة بالجانب المبهرج الزائف من كل شيء، فكيف يُتاح لهم الوقت لكي يختبروا بواطنَ الأمور في حين أن ثوابهم الممثلين لهم لا يفكرون إلا في الملذات؟ إننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على تشييد الصرح الجديد الذي وضعناه نحن تصميمًا، وحينما ننجز انقلابنا السياسي سنقول للناس: لقد كان شيء يجري في غاية السوء، ونحن الآن نمحق سبب آلامكم؛ حينئذٍ سيحملوننا على أكتافهم، ويومئذٍ لن نكون حائرين في أن ننفذ بجسارة خططنا التي سيكون دميتنا مسئولًا عنها، لكي نصل إلى هذه النتائج سندبر اختبار أمثال هؤلاء الرؤساء، ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة، أو صفقة أخرى سرية مريبة، إن رئيسًا من هذا النوع سيكون منفذًا وافيًا لأغراضنا؛ لأنه سيخشى التشهير.

(عقيدة اليهود في الوحي (٣))

عناصر الدرس

بقيــة بروتوكــولات حكمــاء صــهيون

البرتوكول الحادي عشر:

إن مجلس الدولة سيفصّل ويفسر سلطة الحاكم، وإن هذا المجلس سيكون المجمع الذي يصدر أوامر القائمين بالحكم، وها هو ذا برنامج الدستور الجديد الذي نعده للعالم، إننا سنشرّع القوانين، ونحدد الحقوق الدستورية وننفذها بهذه الوسائل:

١.أوامر المجلس التشريعي المقترحة من الرئيس.

٢.التوسل بأوامر عامة وأوامر مجلس الشيوخ ومجلس شورى الدولة، والتوسل بقرارات مجلس الوزراء.

٣.والتوسل بانقلاب سياسي حينما تسنح اللحظة الملائمة، سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء أردناه، وأننا لن نسمح لهم بأي حال من الأحوال أن يشاركونا في سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم على أي شيء بدافع الخوف، وسينتظرون في صبر تطورات أبعد، إنّ الأميين غير اليهود كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب عن الحظيرة، فتغمض عيونها عن كل شيء، وإلى هذا المصير سيدفعون، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع، ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة، ليس لدينا أكثر من أن نبني على هذه الأسس لكي نصل إلى أهدافنا.

البرتوكول الثاني عشر:

إنّ كلمة الحرية سنحددها هكذا: الحرية هي حق عمل ما يسمح به القانون، وذلك لسبب بسيط، هو أن القانون لن يسمح إلا بما نرغب نحن فيه، وسنعامل الصحافة على النهج الذي نجعلها تقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحيانًا بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية، التي ربما تكون ضرورية لمقصدنا، وستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة، وسنتمكن من السيطرة على الصحابة ووكالات الأنباء، وشركات النشر والإعلان والتوزيع، والمطبعة وأدواتها، والكتاب والمفكرين، حتى لا تفلت من بين أصابعنا وسيلة من وسائل القوى المحركة للرأي العام تحت ستار حماية الأمن والصالح العام.

البرتوكول الثالث عشر:

إنّ الحاجة يوميًّا إلى الخبز ستكره الأميين على الدوام إكراهًا على أن يقبضوا ألسنتهم، ويظلوا خدمنا الأذلاء، وسنحاول أن نوجّه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة، التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحريرية، ولا يوجد عقل واحد بين الأميين يستطيع أن يلاحظ أنّه في كل حالة وراء كلمة التقدُّم يختفي ضلال وزيغ عن الحق، حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا، نحن شعب الله المختار، وحين نستحوذ على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى، التي كانت تحير الإنسانية لكي ينطوي النوع البشري في النهاية تحت حكمنا المبارك.

البرتوكول الرابع عشر:

حينما نمكّن لأنفسنا فنكون سادة الأرض، لن نسمع قيام أي دين غير ديننا، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، هذا وسنعكف أيضًا على

الحقائق الباطنية للتعاليم الموسوية، التي تقوم عليها كل قوتها التربوية، وسنصور الأخطاء التي ارتكبها الأميون في إداراتهم بأفضح الألوان، وسنبدأ بإثارة شوري لازدراء نحو منهج الحكم السابق، وسنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التي عذبت الإنسانية قرونًا كثيرة، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية، وسيقوم علماؤنا الذين رُبّوا لغرض قيادة الأميين بإلغاء خطط ورسم خطط وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة والأفكار التي تلائمها.

البرتوكول الخامس عشر:

سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حين نحصل نهائيًّا على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية المفاجئة، ولكي نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة، سننفذ الإعدام بلا رحمة في كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا، وستكون قرارات حكومتنا نهائية، ولن يكون لأحد الحق في المعارضة.

البرتوكول السادس عشر:

سنبيد العمل الجمعي في مرحلته التمهيدية، أي: أننا سنغير الجامعات، ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة، التي تتولى لجان يهودية الإشراف عليها.

البرتوكول السابع عشر:

سنعمل على إفساد ذمة المحكمة، وقد اعتنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأميين غير اليهود في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار

برسالتهم، وإن نفوذ رجال الدين ليتضاءل شيئًا فشيئًا، إننا سنقبض على الجهاز الاجتماعي للدولة، وسنعرف كل شيء بدون مساعدة البوليس الرسمي، ولن يكون التجسس عملًا شائنًا.

البرتوكول الثامن عشر:

إن من أدواتنا الفعالة الاغتيالات السياسية، وسنثير اضطرابات تهكمية بين الشعب، وسنكره الحاكمين على الاعتراف بضعفهم، بأن يتخذوا علانية إجراءات بوليسية خاصة، وإن حراسة الملك جهارًا تساوي الاعتراف بضعف قوته.

البرتوكول التاسع عشر:

إننا سنحرّم على الأفراد أن يصيروا منغمسين في السياسة، والاشتغال بالسياسة قاصر على اليهود، أما غير اليهود فلا حق لهم، ومن يخالف ذلك يعرّض نفسه للسجن؛ لأن الثورة ليست أكثر من نباح كلب على فيل.

البرتوكول العشرون:

سيكون حاكمنا مالكًا لكل أملاك الدولة، وسيكون فرض الضرائب التصاعدي على الأملاك، هو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية، وسنعمل على إفلاس الدولة غير اليهودية بالقروض، حتى نستنزف ميزانيتها، ومن ثمّ نتحكم في سياستها حتى تنتهي إلى الإفلاس، رغم كل المجهودات الشاقة لرعاياها التعساء.

البرتوكول الحادي والعشرون:

لقد استغللنا الإداريين وإهمال الحاكمين الأميين؛ لكي نجني ضِعفي الماء الذي قدمناه قرضًا إلى حكوماتهم، أو ننجي ثلاثة أضعافه، سوف نؤدي بالدولة إلى مزيد من القروض الخارجية، كما سنلعب بأسعار الأسهم والسندات في البورصات المالية، وأنتم تستطيعون أن تتصوروا أي قوة هكذا ستصير عند ذلك.

البرتوكول الثاني والعشرون:

في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة، وأعني بها الذهب، ففي خلال يومين نستطيع أن نسحب أي مقدار منه من حجرات كنزنا السرية، وهذا برهان على أن حكمنا هو إرادة الله، إن سلطتنا ستكون جليلة مهيبة؛ لأنها ستكون قديرة، ولن يجرؤ أحد على الاقتراب كي يسلبها ولو خيطًا من مقدرتها.

البرتوكول الثالث والعشرون:

إن الأمم لا يخضعون خضوعًا أعمى إلّا للسلطة الجبارة، وستقوم الجمعيات السرية والهيئات المختلفة في الوقت المناسب بهدم النظم التي نرغب في هدمها، وإشاعة الفوضى تحت لواء الحق والحرية، وهذه الأفكار قد دمّرت كل النظم الاجتماعية، مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل، وحينئذٍ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم: صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك.

البرتوكول الرابع والعشرون:

إن أسلوبنا لصيانة الدولة سيشتمل على المبادئ ذاتها، التي سلمت حكماءنا مقاليد العالم، أي: توجيه الجنس البشري كله وتعليمه، وسيختار ملك اليهود

من نسل داود، وأن أعضاء كثيرة من نسل داود سيعدون ويربون الملوك وخلفاءهم، وإذا مرض ملكنا أو فقد مقدرته على الحكم، فسيكره على تسليم مقاليد الحكومة إلى من أثبتوا بأنفسهم من أسرته أنهم أقدر على الحكم، ولن يعتلي العرش قبل أن يتثبت حكماؤنا من قوته العقلية، إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي الخارج من بذرة إسرائيل، ما يطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه، إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت.

وما سبقت الإشارة إليه إنما هو إيجاز لمحتوى البرتوكولات الصهيونية، والتي تمثّل مع سابقتها التلمود الداء اليهودي الذي عانت البشرية ولا تزال من مرارته، الأمر الذي يتطلب معه الاعتماد على الدواء القرآني، وعدم الخوف من الداء الذي فتك باليهودية الحقة، وخرج من رحمه اليهودية المحرفة؛ لأنّ كتابنا فيه الدواء المتمثل في الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق، فالتعاليم الإلهية المبثوثة في القرآن، أوضحت أن اليهود سيمكرون بالمسلمين ما دام المسلمون متمسكين بدينهم بهدف أن يتركوه.

يقول المولى ﷻ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] فلو تمسكنا بديننا لما فعلت بنا شيئًا تعاليمُ التلمود أو البرتوكولات، فاليهود هم اليهود قديمًا وحديثًا، فقديما كادوا لحضرة النبي ﷺ وللمسلمين الأوائل حيث خاطبه ربه سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله أيضًا: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨٢].

ثم أمرنا بعدم اتخاذ اليهود أولياء وعدم موالاتهم، وعدّ من يتولاهم من الظالمين، وأخبر الله ﷻ النبي ﷺ أنه إن أعرض عنهم فلن يضروه شيئًا؛ لقوله

سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢] وقول المولى ﷻ: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ٤٢].

فالقرآن الكريم أفصح عن نفسية اليهود، وأنهم: ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٦٢] وأيضًا طمأنَ النبي ﷺ والمسلمين من مخططاتهم، وذلك بصبرهم وتقواهم حسب قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وذلك لا يعني أن ننام نحن، ونعيب عليهم يقظتَهم؛ لأن القرآن أيضًا أمرنا الله فيه بقوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وبعد هذا الإعداد والصبر والتقوى، سنقول لهم ولتلمودهم وبروتوكولاتهم: ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٩] لأنّ غيظهم وكيدهم للأمم لن يرفع من خِستهم ودناءتهم، وقد سجل القرآن الكريم مزاعمهم، وأوضح بطلانها؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨] ودحض زعمهم في قوله: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠] ورد على زعمهم باختصاصهم بالجنة: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ

نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾

[البقرة: ١١١].

ومن ثمَّ فإنَّ مزاعم الفكر الديني اليهودي ومصادره لا أصلَ لها أمام حقائق الدين، والعلم، والتاريخ والعقل.

وهناك أمر أحب أن أنبه إليه قبل أن أترك هذه الجزئية، وهي أن هذا الكتاب الذي يدّعون أنه معصوم ومقدّس وموحًى به، كيف يدعون عصمة كتابهم وقدسيته إذا كان هو نفسه يشهد بغير ذلك؟ فهناك أسفار مفقودة يتكلم عنها الكتاب، فقد ضيعها اليهود، سواء قصدًا أم عمدًا، ولم يحفظوا كلمة الله.

الأسفار الضائعة والمفقودة

١. سفر حروب الرب: وقد جاء ذكره في العدد ١/ ١٤.

٢. سفر ياشر: وقد جاء ذكره في يشوع ١٠/ ١٣، وصموئيل الثاني ١/ ١٧.

٣. سفر أمور سليمان: جاء ذكره في الملوك الأول ١١/ ٤١.

٤. سفر مرثية إرميا على يوشيا ملك أورشليم: أخبار الأيام الثاني ٣٥/ ٢٥.

٥. سفر أمور يوشيا: أخبار الأيام الثاني ٣٥/ ٢٥.

٦. سفر مراحم يوشيا: أخبار الأيام الثاني ٣٥/ ٢٥.

٧. سفر أخبار ناثان النبي: أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩.

٨. سفر أخيا النبي الشيلوني: أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩.

٩.وسفر رؤيا يعدو الرائي: وجاء ذكره في أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٩.

١٠. سفر أخبار جاد الرائي: وقد جاء ذكره في أخبار الأيام الأول ٢٩/ ٢٩: ٣١.

١١. سفر أخبار أيام ملوك يهوذا: ورد ذكره في ملوك الثاني ٢٤/ ٥، ٢١/ ٢٥.

١٢. سفر تاريخ إسرائيل ويهوذا: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٢٧/ ٧.

١٣. سفر تاريخ عدو النبي: ذكر في أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١٥، ١٣/ ٢٢.

١٤. سفر تاريخ شمعيا النبي: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١٥.

١٥. سفر كتاب إشعيا النبي عن الملك عوزيا: ذكر في أخبار الثاني ٢٦/ ٢٢.

١٦. سفر تاريخ الملوك: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٢٤/ ٢٧.

١٧. سفر أخبار الأنبياء: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٣٣/ ١٩.

١٨. سفر الرب: ورد ذكره في أشعياء ٣٤/ ١٦.

١٩. سفر تاريخ ياهو بن حناني: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٢٠/ ٣٤.

٢٠. سفر تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٣٦/٨.

٢١. سفر سنن الملك: ورد ذكره في صموئيل الأول ١٠/ ٢٥.

٢٢. سفر أخبار أيام ملوك إسرائيل: ورد ذكره في ملوك الأول ١٤/ ١٩، و١٦/ ٥، ١٦/ ١٤.

٢٣. سفر شريعة الله: يشوع ٢٤/ ٢٦.

٢٤. سفر توراة موسى: يشوع ٨/ ٣١.

٢٥. سفر شريعة موسى: يشوع ٢٣/ ٦.

٢٦. سفر أخبار الأيام: ورد ذكره في نحميا ١٢/ ٢٣.

٢٧. سفر يسوع: اتسالونيكي الثانية ١/ ٨.

٢٨. سفر أخبار صموئيل الرائي: أخبار الأيام الأول ٢٩/ ٢٩.

٢٩. سفر حياة الخروف: رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٣/ ٨، ٢١/ ٢٧.

٣٠. كتاب العهد لموسى عليه السلام: الخروج ٢٤/ ٧.

٣١. سفر تاريخ المخلوقات: ملوك الأول ٤/ ٣٢ ولم أعثر عليها، وكاتب هذا الكلام هو علاء أبو بكر في كتابه (البهريز) الجزء الأول.

٣٢. رسالة بولس إلى أهل اللاذقية: ورد ذكرها في كلوسي ٤/ ١٦.

٣٣. رسالة بولس الأولى إلى أهل فيلبي: ورد ذكرها في فيلبي ٣/ ١ الموجودة في العهد الجديد. انظر (العهد الجديد) بولس باسيم هامش صفحة ٧٧١.

٣٤. رسالة لبولس إلى أهل كورنثوث: ورد ذكرها في كورنثوث الثانية ٧/ ٨.

٣٥. وتقول دائرة المعارف الكتابية كلمة أبو كريفا: إنّ هناك رسالة مفقودة إلى الكورنثيين، ففي كورنثوث الأولى ٥/ ٩ يذكر الرسول -يعني: بولس- رسالة إلى الكورنثيين، يبدو أنها قد فقدت.

س٢ فقل لي بالله عليك، أنت تعلم أنّ التحريف يكون بالنقص أو الزيادة، أو الحذف والتبديل، أو الطمس والتحوير، فإلى أي من هؤلاء الثلاثة ينتمي فقدان

هـذه الكتـب، كتـب كاملـة مفقـودة، يعـني: أكثـر مـن ٣٥ كتـاب أو ٣٥ سـفر مفقودين في الكتاب المقدس؟

س٣ ما معنى أن ينزل الرب كتابًا ويشير فيه إلى كتاب آخر كمرجع يرجع إليه العلماء والدارسون، ولا وجود لهذا الكتاب، وما رأيكم في ذلك؟

س٤ هل تعلم أن معنى هذا إمّا أن يكون الرب كاذبًا ومضللًا أو ناسيًا، أو لا يدري أن هذه الكتب غير موجودة وأخطأ بذكرها؟ وسبحانه عن ذلك، لا يقول بهذا عاقل من أهل الأرض، نعرف تعليقكم على ذلك.

س٥ وهل تعلم أنه بعدم وجود هذه الكتب التي ذكرها الرب كمرجع للدارسين في الكتاب المقدس، أنه لا يعنيه هذا الكتاب لا من قريب ولا من بعيد، وتركه في أيدي أناس يعلم أنهم غير أمناء، قتلوا أنبياءه وسبوا الإله نفسه ووصفوه بأفظع الصفات، وذلك ليقيم عليهم الحجة في الآخرة، ولعلمه كذلك أنه سينزل كتابًا آخر سيكون هو نفسه حفيظًا عليهم، وهو القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وهذا ما قاله بولس أيضًا: لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذٍ يبطل ما هو بعض، كورنثوث الأولى ١٣/ ٩، فمَن هو ذلك الكامل الذي تكون رسالتُه كاملةً لجميع الأمم؟ من هو الذي لم تترك رسالته صغيرة أو كبيرة إلا وتكلم عنها؟ من هو ذلك الكامل الذي شملت رسالته كلَّ الأنبياء السابقين؟ وحتى لو لم يحرفوا كلمة الرب، فقد كانت مؤقتة وينتظر النبي الكامل بشريعته التي ستنسخ تعاليمَ تلك الشريعة، فالعهدان إذًا كلاهما مؤقت.

س٦ انظر إلى التحريف الذي كان منتشرًا وقتها، انظر كم كتاب وكم رسالة قد تمَّ تأليفها على غير المألوف أو المشهور عند لوقا، الأمر الذي دفعه لكتابة هذه

الرسالة، وتفكر في هذه النصوص، ثم بين لي رأيك بعد أن تسأل أهل العلم من القساوسة والأساقفة، وتقارن ما ترجمته الكنيسة في نصوص ترجمة فانديك لإنجيل لوقا ١ / ١ : ٤، وبين الترجمة الحديثة التي اعتمدتها الكنيسة المصرية؛ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء، معاينين وخدامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاو ثلوسيوس؛ لتعرف صحة الكلام الذي علمت به. لوقا ١ / ١ : ٤.

ونص الترجمة الحديثة التي تسمّى الترجمة العربية المبسطة، والتي كانت توزعها المكتبات المسيحية في معرض القاهرة للكتاب هو؛ إذ حاول كثيرون أن يؤرخوا للأحداث التي حصلت فيما بيننا وهي الأحداث التي نقلها إلينا الأشخاص الذين كانوا شهود عيان لها منذ البداية، وخدامًا يعلنون رسالة الله للناس، وحيث إني قد تحققت من كل شيء بدقة رأيت أن أكتب إليك يا صاحب السعادة ثاوفلس وصفًا متسلسلًا لتلك الأحداث منذ البداية؛ لكي تتيقن من أن ما تعلمته صحيح.

ويمكنك بكل هدوء مقارنة النصين كالآتي:

١. ترجمة الشرق الأوسط فانديك والترجمة العربية المبسطة، ترجمة الشرق الأوسط فانديك تقول: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة. والترجمة العربية المبسطة تقول: إذ حاول كثيرون أن يؤرخوا للأحداث. فبينما تجد نص فانديك يؤكد أن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة غير حقيقية تحريفًا لما أثر عندنا، بينما تجد أن الترجمة المبسطة قد غيّرت المعنى من تأليف إلى تأريخ، ومن أنهم قد أخذوا بالتأليف إلى أنهم حاولوا، التي تثير الجدال، فقد يكون قد حاولوا ولم يفلحوا، وهكذا يتعاملون مع الكتاب ثم يدعونه مقدسًا.

٢.كما في الرسائل كلها أيضًا متكلِّمًا فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضًا لهلاك أنفسهم. بطرس الثانية ٣/ ١٦.

٣.لكن هدد الله من يحرّفون كلامه ومن يأتي بشيء من عنده وينسبه لله، ولم يتعهّد مطلقًا بحفظه، وإنني أشهد لكل من يسمع ما جاء في كتاب النبوة هذا، إن زاد أحد شيئًا على ما كتب فيه يزيده الله من البلايا التي ورد ذكرها، وإن أسقط أحد شيئًا من أقوال كتاب النبوءة هذا يسقط الله نصيبه من شجرة الحياة، ومن المدينة المقدسة، اللتين جاء ذكرهما في هذا الكتاب. رؤيا يوحنا ٢٢/ ١٨.

وينسب إلى يسوع إلغاؤه لكل الأنبياء قبله؛ إذ اتهمهم بالسرقة واللصوصية، وأمثال هؤلاء ليسو بأنبياء ولا عصمة لأقوالهم، كما أن خرجت أفعالهم عن عصمة الله، وبالتالي يكون قد قام بإلغاء كتبهم وأقوالهم أيضًا: جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم. يوحنا ١٠/ ٨. فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذب لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ. رومية ٣/ ٧.

فلك أن تتخيل أن صدق الله لا يزداد إلا بالكذب، فهل فكرت لماذا؟ وهل فكرت كيف يطلق على الكاذب رسولًا؟ وكيف يكون هذا الكاذب قدوة لك ولذرية لك من بعدك؟ هل كلمة الرب صعبة الفهم والاستيعاب لدرجة أنه يرسل كاذبًا ليكسب الناس لديه بالكذب؟ وإن كان الكذب من الآفات الأخلاقية التي سيحاسب عليها العبد في الآخرة، فكيف يقترفها الرب نفسه؟ أو يشجع عليها بإرساله نبيًّا كاذبًا ويوافقه على نشر تعاليمه بالكذب؟

ويقول طامس أنكلس الكاثوليكي: اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتاب المقدس ليست بأقل من عشرين، وفي الحقيقة هم أكثر من ثلاثين كما ذكرت.

س٧ كيف يستحفظ الرب أنبياء لصوص وكذبة ونجسة على كلمته؟ أنبياء كذبة ونجسة فكيف يكون كلامهم وحي الله؟ لأنهم من الصغير إلى الكبير، كل واحد مولع بالرب؛ من النبي إلى الكاهن، كل واحد يعمل بالكذب. أرميا ٨/ ١٠، فكيف تثقون بعد ذلك في كلام أنبيائكم وكهنتكم إذا كان علام الغيوب قد وصفهم بالكذب، أي: يقولون ما لم يقله الرب ويدعون أنه منزل من عنده، أليس هذا دليلًا على التحريف؟ أليس هذا أكبر دليل على سحب الثقة من هذا الكتاب وهؤلاء الأنبياء؟ فأترك شعبي وأنطلق من عندهم؛ لأنهم جميعًا زناة خائنين يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض. أرميا ٩/ ٣،

ألا يذكر هذا النص قرار الله بسحب شريعته من هذا الشعب، وعدم جعل النبوة في نسلهم بسبب ما اقترفوه من الزنا والكذب، فقد سحب الله ثقته منهم، فكيف تقنعني أنا اليوم بالثقة فيهم وفي كتاباتهم وأقوالهم، ولماذا تحذون حذو بني إسرائيل في إنكار نسل إسماعيل، فقال الرب لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي، لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم، برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر، قلوبهم هم يتنبأون لكم. أرميا ١٤/ ١٤.

مَن هم هؤلاء الكذبة حتى نستثني كتاباتهم من الكتاب المقدّس حتى يكون اسم الكتاب على ما يسمّى؟ هل هي كتابات الزناة من الأنبياء أمثال داود؟ صموئيل الثاني ١١، ولوط؟ تكوين ١٩/ ٣٠ : ٣٨، ويهوذا ويعقوب... إلى آخره. أم هل هي كتابات سليمان الذي عبد الأوثان؟ الملوك الأول ١١/ ٩، ١٠، أم هي

كتابات نبي الله إبراهيم وأبي الأنبياء الذي يتهمه الكتاب المقدس بالتربح من عرض زوجته وشرفها وشرفه؟ تكوين ١٢/ ١١ : ١٦ ، أم هل هي كتابات أنبياء لصوص أمثال يعقوب، نبي الله الذي يتهمه الكتاب المقدس بالكذِب على أبيه وسرقة البركة والنبوة من أخيه كما تقدّم؟ تكوين ٢٧ ، ولم يكتف بذلك بل نهب بهائم وغنيمة سكان عاي قد نهبها لنفسه حسب قول الرب. يشوع ٨/ ٢٧ ، وموسى الذي يتهمه الكتاب المقدس بسرقة ذهب المصريين عند خروجهم من مصر. خروج ٣/ ٢٢ وأيضًا خروج ١٢/ ٣٥ : ٣٦ تعالى الله عما تقولون علوًّا كبيرًا.

لأننا نعلم بعض العلم، ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل؟ فحينئذٍ يبطل ما هو بعض. كورنثوث الأولى ١٣/ ٩.

فمَن هو ذلك الكامل الذي تكون رسالته كاملة لجميع الأمم؟ من هو الذي لم تترك رسالته صغيرة أو كبيرة إلا وتكلم عنها؟ من هو ذلك الكامل الذي شملت رسالته كل الأنبياء السابقين، وحى لو لم يحرفوا كلمة الرب فقد كانت مؤقتة؟ وينتظر النبي الكامل بشريعته التي ستنسخ تعاليم تلك الشريعة العهدان، إذًا كلاهما مؤقت؛ لأن الأنبياء والكهنة تنجّسوا جميعًا، بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب. إرمياء ٢٣/ ١١.

وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة، تنبأوا بالبعل، وأضلوا شعبي إسرائيل. إرمياء ٢٣/ ١٣.

بل قال الرب عن أنبياء بني إسرائيل: إنهم أنبياء للضلالة والكذب، أي: أتباع الشيطان لو كان أحد وهو سالك بالريح والكذب يكذب قائلًا: أتنبأ لك عن الخمر والمسكر لكان هو نبي هذا الشعب. ميخا ٢/ ١١.

وينسب إلى عيسى عليه السلام القول: جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم. يوحنا ١٠ / ٨.

وهذه الفقرات الكتابية تدفع أي عاقل إلى تجاهل هذا الكتاب، ويفعل كما يقول برناردشو: أن يضعه في خزانة حديدية ولا يفتحه أبدًا.

س٨ من أدلتنا على تحريف الكتاب المقدّس، أنّ هذا الكتاب ليس كتاب الله منها، وليست كلها استشهادات قام بها كتبة الأناجيل من عند أنفسهم ونسبوها للكتاب المقدس، يقول متى: وأتى وسكن في مدينة يقال لها: ناصرة؛ لكي يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصريًّا، فأين كتاب الأنبياء الذي ذكر فيه هذا؟ وهل ما زالت تطلق عليه الكتاب المقدس؟

س٩ بولس وضع آراء شخصية تمامًا في الكتاب، واعترف أنها ليست من وحي الله، فلماذا تعتبرها الكنيسة من وحي الله؟ هل سألت عن ذلك من قبل؟ آراء شخصية وخطابات شخصية كتبها بولس لأشخاص ما، فلماذا اعتبرت من وحي الله؟ وما الحِكمة منها؟

١. إذًا من زوج فحسن يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن، المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيًّا، ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد، في الرب فقط ولكنها أكثر غبطة، إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أني أنا أيضًا عندي روح الله. كورنثوث الأولى ٧/ ٣٨: ٤٠.

٢. وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكني أعطي رأيًا كمن رحمه الرب أن يكون أمينًا، فأظن أن هذا حسن بسبب الضيق

الحاضـر أنـه حسـن للإنسـان أن يكـون هكـذا. كورنثـوث الأولى ٧/ ٢٦: ٢٥.

٣. وأما الباقون فأقول لهم: أنا لا الرب، إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها، والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه. كورنثوث الأولى ٧/ ١٢ : ١٣.

٤. ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا. غلاطية ٥/ ٢ وهو نفس الأمر الذي أدانه فيه التلاميذ وكفروه بسببه.

س١٠ بولس ينوي أن يشتي في نيقوبوليس، فهل هذا من وحي الله؟ حينما أرسل إليكم أرتيماس أو تيخيكس: بادر أن تأتي إلى نيوكوبوليس؛ لأني عزمت أن أشتي هناك. تيتوس ٣/ ١٢ فما هو الهدف التربوي ليوحي الرب إليكم المكان الذي سيستخدمه بولس مشتى له؟ وإذا كان ذكر ذكرها مهمًا لهذه الدرجة، فلماذا لم يذكر الكتاب مشاتي التلاميذ أيضًا؟

س١١ كتب بولس خطابات شخصية تمامًا يسلم فيها على معارفه وأحبابه، فهل ينزل الرب كتابًا فيه سلامات وتحيات وقبلات شخصية؟ أيها الأخوة سلموا لأجلنا، سلموا على الإخوة جميعًا بقبلة مقدسة، أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الإخوة القديسين. سالونيكي الأولى ٥/ ٢٥ : ٢٧.

وأيضًا: أوصي إليكم بأختنا فيبي، التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخاريا؛ كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم؛ لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا، سلموا على بريسكله

وأكيله العاملين معي في المسيح يسوع، الذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، الذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضًا جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما سلموا على أبينتوس حبيبي، الذي هو باكورة أخائيا للمسيح، سلموا على مريم الذي تعبت لأجلنا كثيرًا، سلموا على أندرونوكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي الذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي، سلموا أنبلياس حبيبي في الرب، سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح، وعلى استاخيس حبيبي، سلموا على أبلس المزكَّى في المسيح، سلموا على الذين من أهل أرستوبولس، سلموا على هورديون نسيبي، سلموا على الذين هم من أهلي ناركسوس الكائنين في الرب إلى آخره.

الدواء الإلهي الذي جاء به الإسلام لليهود وللإنسانية

بعد هذا التطواف بالتوراة ومكانتها ومكوناتها لدى اليهود، وكذا التلمود ومكانته ومكوناته عندهم، والبرتوكولات وكيف استثمرها اليهود في القضاء على الأميين، الذين هم من غير اليهود، واستغلال ثروات البلاد لتحقيق مطامعهم وأهدافهم، وصيرورة جميع البلاد وخيراتها تحت أملاكهم، نرجع ونقول لهم:

عليهم أن يصغوا إلى الدواء الإلهي الذي جاء به الإسلام في صورته الخاتمة على سيدنا محمد ﷺ أن يتركوا آثار قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثير، وضلوا عن سواء السبيل، وليس لهم عذر بظهور خاتم الأنبياء ودعوته إياهم للإيمان به؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وبكتاب نزل عليه ناسخ لما سبقه، ومصدق له

ومهيمنًا عليه، وفق قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] ونداء القرآن لهم صباح مساء: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فليصغوا إلى هذا النداء الإلهي، فالله يقبل توبة التائبين: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

ومن ثَمّ، فإنّ هذه الصفحات السابقة إنما هي نصيحة أقدمها إلى أهل الكتاب بعامةٍ، ولليهود بصفة خاصة، رجاءَ أن تزول عن عيونهم غشاوة التقليد الأعمى، وعن قلوبهم قسوة الكفر والفساد، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

وبعد، فيمكن تخليص ما سبق أن السلوك اليهودي ينبع من مصادر الفكر الديني المقدس عندهم، وأن هذا التمسك بالفكر الديني هو الذي يحفظ عليهم كيانهم الخاص بهم، إن اليهود شأن كل الأمم لهم مصادر دينية، كانت قبل تحريفها دواء لانحراف السلوك، بعد تحريف مصادر الفكر الديني المنزَّل من عند الله على سيدنا موسى عليه السلام التوراة، أصبحت المصادر المقدسة للفكر والسلوك اليهودي هي الداء الذي اكتوى بناره بقية الشعوب المجاورة لليهود، حتى استفحل هذا الداء ليشمل خطأ الاعتقاد في الله والرسل والملائكة.

تضاربت الفرق اليهودية فيما بينها واختلفت مبادؤها، مما يدل على أنها جميعًا تستقي فكرها من مصادر متضاربة وغير معصومة؛ حيث استبدل اليهود الذي هو أدنى بالذي هو خير في الاعتقاد والفكر والسلوك، لا ريب في أن إدراك ذلك له شأن في التعامل معهم اليوم، ونحن في مفترق الطرق، على اليهود إن كانوا

بحق متبعين لأنبيائهم، أن يصغوا إلى الحق المبين، الذي جاء به سيد المرسلين في خاتم الكتب وأوحدها حفظًا، والذي تكفل الله بحفظه وهو القرآن الكريم، وأن يكفوا عن سلوكهم الإجرامي الذي يستمدونه من مصادرهم المحرفة، وأن يفتحوا أعينهم للنور الذي جاء به الإسلام؛ حتى يخرجوا من دائرة: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين: ٥].

على اليهود أن يرجعوا إلى القرآن الكريم المعصوم من كل خطأٍ، والذي تكفّل الله ﷻ بحفظه، ووعد بصيانته ورعايته، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وأن يرجعوا مرة أخرى الألفاظ التي حذفوها من الكتاب المقدّس المتعلقة بسيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا محمد ﷺ وهي مادة الحمد، كلمة "البارقليط أو الفارقليط" التي تخص أحمد أو محمدًا، حذفوا كل هذه المسميات وكل الإشارات التي تتناول سيدنا رسول الله ﷺ قاموا بحذفها.

وقد أخبر القرآن الكريم عنهم أنهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٦- ٩].

(عقيدة اليهود في الوعد بالأرض (١))

عناصر الدرس

مقدمة عن: تاريخ بني إسرائيل، وموقفهم من هذه الأرض

لكي نصل إلى قضية الوعد بالأرض يلزمنا أن نعيش في مقدمة أو تمهيد قد يطول؛ لأنه ضروري في الوقوف على تاريخ بني إسرائيل وموقفهم من هذه الأرض، فأقول -وبالله التوفيق-:

المنطقة التي نشأت فيها اليهودية هي أرض فلسطين وما جاورها من بلاد؛ وهي: مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، وهي منطقة لا تعدو أهميتها إلى ثروتها المادية فهي تعد من أفقر مناطق العالم، ولكن تعود أهميتها إلى موقعها الجغرافي الممتاز، فهي تربط بين شمال العالم وجنوبه وبين شرقه وغربه، وهي تربط بين قارات العالم القديم الثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوربا، كما أن أرض فلسطين تعتبر قلب العالم العربي، فهي تربط بين البلاد العربية الآسيوية الواقعة شرقًا، والبلاد العربية الأفريقية الواقعة غربًا، كما أن فلسطين تشترك معها في الحدود أربع دول عربية هي: لبنان، وسوريا، والأردن، ومصر.

وهذا لا يتوفر لأي بلد عربي آخر، مما جعل لفلسطين أهمية خاصة في التاريخ العربي والسياسة العربية، أما عن التاريخ العمراني لهذه المنطقة فقد كان الفينيقيون من أوائل من استوطنوا هذه المنطقة، وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد، وهاجر الفينيقيون من شبه الجزيرة العربية بسبب القحط والجدب، واستقروا في المنطقة المعروفة حاليًا باسم لبنان، وقد اشتهر الفينيقيون بالملاحة والتجارة البحرية والهندسة المعمارية، ثم قدم بعد ذلك الكنعانيون حيث هاجروا من الجزيرة العربية حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وأقاموا غرب نهر الأردن في المنطقة الواقعة بين ذلك النهر وساحل البحر الأبيض المتوسط، وأطلق على هذه الأرض اسم أرض كنعان نسبة إليهم.

ثـم هـاجر بعـد ذلـك حـوالي سـنة ١٢٠٠ قبـل الميلاد إلى هـذه الأرض -أرض كنعان- إحدى القبائل من جزيرة كريت بـالبحر الأبيض المتوسـط، واسـم هـذه القبيلـة فلسـطين، وأقامـت هـذه القبيلـة مـع الكنعـانيين في أرض كنعـان بـين يافـا وغزة، وتم التصاهر والتزاوج بين القبيلتين، ونشأ عـن ذلـك عنصر جديد يغلـب عليه الـدم العربي الكنعـاني، وغلـب أمـم فلسـطين على هـذه المنطقة فأصبحت تسـمى أرض فلسـطين، أمـا الآراميـون فقـد هـاجروا مـن أرض العـراق بعـد أن غصـت بالمهـاجرين مـن الجزيـرة العربيـة، وكانـت أرض العـراق وفـيرة الخـيرات والثمرات مما دفع بكثير من سكان الجزيرة العربية إلى الهجرة إليها؛ تحت ضغط الجدب والقحط والجوع، فامتلأت أرض العراق بالمهاجرين مما دفع الآراميين إلى الهجرة منها، واستقر الآراميون في أرض سوريا واتخذوا من دمشق عاصمة لهم، وعملـوا بالزراعـة والتجـارة، ويعـرف الآراميـون في الكتـب المقدسـة عنـد اليهـود باسم السوريين.

وهناك قبائل أخرى هـاجرت هـي أيضًـا مـن أرض العـراق، واسـتقرت شـرق نهـر الأردن وجنـوب البحـر الميـت، وكونـت ممالـك عَمُـون ومُـؤاب وأَدُوم، وكانـت مـؤاب أكثرهـا حضـارة فعملـت بالزراعـة، وأقامـت المـدن العظيمـة، وأمـا أدوم فكانت أقلها مدنية وحضارة فعملت بـالرعي، وكانـت تمتـد حتـى خلـيج العقبـة، وأما عمـون فكانـت وسـطًا بـين البـداوة والحضـارة، فبعضـها كـان يعمـل بـالرعي والبعض الآخر كان يعمل بالزراعة.

وكانت مدين شمالي الجزيرة العربية، وكانت لها صـلات بكـل مـن مصـر وأرض كنعـان والجزيـرة العربيـة، ولجـأ إليهـا موسـى عليه السلام خوفـًا مـن بطـش فرعـون بـه، وكانت مدين تعد آنذاك الباب الذي يصـل بـين الصـحراء العربيـة وأرض فلسـطين وما جاورها، وكانت مصر وبابل آنذاك من الدول العظمى ومـن أكثرهـا حضـارة

ومدنية، وكانت المنافسة بين هاتين الدولتين على قدم وساق والحرب بينهما لا تكاد تنقطع، وكانت أرض كنعان ميدان هذه المعارك، وتأثرت هذه المنطقة بهذه الحروب فالذي يكون له النصر يسيطر على أرض كنعان، وتكون له السيادة عليها.

وقد تغلب الرعاة العماليق الهكسوس على مصر فترة من الزمن تمتد من سنة ٢٠٩٨ قبل الميلاد إلى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد، وهم ينحدرون من أصل عربي، وزحفوا على مصر تحت ضغط القحط والجدب اللذين أصابا الجزيرة العربية، منتهزين فرصة ضعف الأسرة الثالثة عشرة المصرية، وكونوا أربع أسر من الأسر التي حكمت مصر، واستمر النضال بين الهكسوس وبين أمراء طيبة الأقصر المصريين، الذين كانوا يحاولون استعادة سلطانهم على البلاد حتى تمكن أحمس من طرد الهكسوس، وتأسيس الأسرة الثامنة عشرة المصرية، وأكمل تحتمس الثاني ما بدأه أحمس، واستولى على فلسطين وسوريا، وضعف نفوذ بابل في تلك البلاد.

وعاش بنو إسرائيل في مصر في عهد الهكسوس، وتمتعوا برعايتهم فلما عادت مصر إلى الحكم الوطني بدأ موقف بني إسرائيل بمصر يضعف، حتى خرجوا منها في صحبة موسى عليه السلام.

ومن القبائل التي هاجرت إلى هذه المنطقة العبرانيون، وكلمة عبراني تطلق على إبراهيم عليه السلام وبنيه، واختلف في سبب هذه التسمية فقيل: إن أحد أجداد إبراهيم عليه السلام كان يطلق عليه اسم عابر فنسب العبرانيون إليه. جاء في نسب إبراهيم في سفر التكوين أنه إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام.

وقيل: إن السبب في هذه التسمية يعود إلى عبور إبراهيم لنهر الفرات عند هجرته من العراق، والأقرب إلى الصحة أن سبب هذه التسمية يعود إلى أن العبرانيين كانوا من البدو الرحل، الذين لا يستقرون في مكان بل كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر، ويعبرون المكان ولا يستقرون فيه، فأطلق عليهم اسم العبرانيين لذلك، وبعد أن تحضر العبرانيون وأقاموا المدن والقرى وهجروا حياة البداوة والتنقل، أخذوا يأنفون من هذه التسمية التي تذكرهم بماضيهم البدوي، وأطلقوا على أنفسهم اسم بني إسرائيل.

وقد نشأ إبراهيم في أرض العراق، وكان أبوه آزر يصنع الأصنام. جاء في سفر التكوين أن اسم أبيه تارح، ونحن نصدق ما جاء في القرآن ونكذب ما جاء في سفر التكوين؛ بسبب ما لحقه من تحريف، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن آزر هو الاسم العربي وتارح هو الاسم العبري كما في يحيى ويوحنا، وكان أبوه آزر يصنع الأصنام وكان قومه يعبدون هذه الأصنام، وهداه الله إلى دين الحق -دين التوحيد- فثار على قومه وعلى عبادتهم، واضطر تحت ضغط اضطهاد قومه إلى الهجرة من العراق ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط وبعض الأقارب والأتباع، ونزلوا أولًا بأرض سوريا ثم رحلوا بعد ذلك إلى أرض كنعان: أرض فلسطين، وعملوا بالرعي وبعد فترة من الوقت، وبسبب الجدب والقحط هاجر إبراهيم عليه السلام ومعه زوجه سارة إلى مصر وكان تحت حكم الهكسوس.

وتذكر الروايات أن ملك مصر رأى سارة وأعجبته فأحب أن يستأثر بها لنفسه، ولكن حين أراد الاقتراب منها أصابه اضطراب عصبي، فأعادها إلى زوجها بعد أن أهداها أميرة مصرية كانت أسيرة لديه في حروبه مع أمراء طيبة المصريين، وهذه السيدة هي هاجر وكانت سارة عقيمًا لا تلد، فعرضت على زوجها

إبراهيم أن يتزوج من هاجر لعل الله يرزقه منها بغلام، وولدت هاجر إسماعيل، ثم بدأت الغيرة تدب في قلب سارة فطلبت من إبراهيم أن يبعد عن وجهها الغلام وأمه، فأخذهما إبراهيم إلى موضع بيت الله الحرام بمكة، وكانت أرضًا بلقعًا لا حياة فيها ولا زرع ولا ماء، وهناك في هذا المكان المنقطع تركهما إبراهيم وعاد وهو يقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وبعد أربعة عشر عامًا من ولادة إسماعيل أراد الله ﷻ أن تلد سارة المرأة العقيم من زوجها إبراهيم الطاعن في السن، فأنجبت إسحاق الابن الثاني لإبراهيم، وأنجب إسحاق ولدين وهما: عيسو ويعقوب، ويعقوب هذا هو الملقب بإسرائيل، وأنجب اثني عشر ولدًا هم الأسباط، وهم:

١.من ابنت خاله "ليئة": "رؤبين" "شمعون" "لاوي" ومن نسله موسى عليه السلام ويهوذا، ومن اسمه أخذت كلمة اليهود "يساكر" "زبولون".

٢.من ابنت خاله "راحيل": يوسف، بنيامين.

٣.من ذو الفتى جارية "ليئة": جاد وأشير.

٤.من "بلهة" جارية "راحيل": "دان" "نفتالي".

وهؤلاء الاثنا عشر ولدًا هم الأسباط، ويطلق عليهم وعلى نسلهم اسم بني إسرائيل، أما إسماعيل ولد إبراهيم من هاجر المصرية، فقد بقي بمكة حتى شب وترعرع وصاهر قبيلة جرهم إحدى القبائل العربية اليمنية، التي أقامت في هذا المكان، وتعلم منهم اللغة العربية ومن نسله جاء العرب المستعربة، وتجدر

الإشارة هنا إلى أن العبرانيين -وهم إبراهيم ونسله- ينتمون إلى الجنس السامي، الذي ينتمي إليه أيضًا العرب والأشوريون، وموطن الساميين الأول هو بلاد العرب الوسطى والشمالية، وهاجر جماعة منهم إلى بلاد بابل بأرض العراق، فأقاموا فترة من الزمن ثم هاجروا في مراحل مختلفة من التاريخ، فاتجه بعضهم نحو الشمال والبعض الآخر نحو الجنوب، أما من بقي من الساميين في بلاد العرب فهم أجداد الشعب العربي، وأما من هاجر منهم إلى أرض العراق حيث ازدهرت هناك الحضارات القديمة، ثم هاجروا بعد ذلك وانتشروا في آسيا وفي أرض فلسطين فهم الآشوريون والإسرائيليون.

ونحب أن نشير أيضًا إلى أن كلمة عبراني تطلق في الأصل على إبراهيم عليه السلام ونسله، ومنهم العرب المستعربة أولاد إسماعيل بن إبراهيم، ومع ذلك فنحن نلاحظ أن كلمة عبراني إذا أطلقت فإنما يراد بها بنو إسرائيل فقط دون العرب من بني إسماعيل، مع أنهم في الأصل عبرانيون أيضًا لأنهم من نسل إبراهيم أيضًا فما سبب ذلك؟ نحن نرى أن سبب قصر التسمية بالعبرانيين على بني إسرائيل فقط دون بني إسماعيل ينحصر فيما يلي، وهذا الكلام للأستاذ الدكتور صفوت حامد مبارك في كتاب (مدخل لدراسة الأديان):

١. "إن بني إسرائيل هم الذين أقاموا فترة من الزمن في موطن العبرانيين الذي هاجر إليه إبراهيم عليه السلام وهو أرض كنعان، أما بنو إسماعيل فقد انقطعت الصلة بينهم وبين بني عمومتهم؛ حيث أقاموا في مكان ناءٍ بعيد في قلب الجزيرة العربية وهو مكة وما جاورها، فأهملت نسبتهم إلى العبرانيين.

٢. إن بني إسرائيل حافظوا على دين إبراهيم دين التوحيد لفترة من الزمن، أما بنو إسماعيل فلم يلبثوا أن أهملوا هذا الدين وعبدوا الأوثان إلا قليلًا منهم.

٣.إن بني إسرائيل هم الذين احتفظوا بلغة العبرانيين، أما بنو إسماعيل فقد هجروها إلى لغة أخرى هي اللغة العربية".

بهذه الأسباب مجتمعة أصبحت التسمية بالعبراني مقصورة على بني إسرائيل فقط دون بني إسماعيل من العرب.

اللغة العبرية:

سبق بيان أن إبراهيم عليه السلام قد هاجر من أرض العراق بسبب اضطهاد قومه؛ إذ كانوا يعبدون الأصنام بينما هو يدعوهم إلى الإله الواحد، وقد هاجر إبراهيم ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط وبعض الأقارب والأتباع، ومعهم مواشيهم وأغنامهم وإبلهم، وتمت هذه الهجرة عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد أو عام ١٧٥٠ قبل الميلاد على خلاف بين المؤرخين.

وهاجر إبراهيم عليه السلام ومن معه أولًا إلى أرض سورية موطن الآراميين، ثم اتجهوا جنوبًا حتى استقروا بأرض كنعان، ورحلة كهذه لا بد أن تكون قد استغرقت عدة أعوام؛ إذ لم يكن لهم هدف معين سوى هروبهم من عبدة الأوثان، وكانت معهم أغنامهم وإبلهم فكانوا يتوجهون حيث الكلأ والمرعى والماء، ويتنقلون من مكان إلى مكان طلبًا لذلك، ورحلة كهذه جديرة بأن تستغرق أعوامًا وأعوامًا، فكان المهاجرون يلتقون في هجرتهم بقبائل متعددة لكل منها لغتها ولهجتها، فكانوا يأخذون كلمة من هنا وكلمة من هناك، حتى أصبحت لهم لغة جديدة مستقلة اقتبسوها من اختلاطهم بالقبائل المتعددة، التي مروا بها أثناء رحلتهم.

وهذه اللغة هي عبارة عن لهجة آرامية قريبة الشبه باللغة العربية، لها قواعدها الخاصة بها، وسميت هذه اللهجة باللغة العبرية، وأقدم النصوص المعروفة بهذه اللغة يعود إلى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، وانقرضت هذه اللغة حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد، انقرضت كلغة تخاطب بينهم وحلت محلها اللغة الآرامية، ولكن العبرية بقيت حينًا لغة الكتابات الدينية لا يستعملها سوى الكهنة، ثم أصبحت الآرامية لغة الكتابة الدينية أيضًا، ثم أصبحت السيادة للغة اليونانية حيث كتبت بها أسفار العهد الجديد ما عدا إنجيل متى، حيث يرجح الباحثون أنه كتب أولًا بالآرامية، ثم ترجم إلى اللغة اليونانية.

عزلة العبرانيين:

لوحظ على العبرانيين بعد هجرتهم إلى أرض كنعان أن لهم طابعًا خاصًّا بهم، هو طابع العزلة، فكانت القبائل المهاجرة يختلط بعضها ببعض، وتنشأ بين أفرادها علاقات المصاهرة والمعاملة، أما العبرانيون فكانوا منطوين على أنفسهم يعتزلون القبائل الأخرى ولا يختلطون بهم، ويقيمون من حولهم سياجًا لا يسمحون لغيرهم باختراقه، فما سبب هذه العزلة؟ إن سبب هذه العزلة يعود إلى أمرين:

١. اختلاف العقيدة:

فكان العبرانيون يؤمنون بالإله الواحد، بينما من حولهم من الشعوب يعبدون الأصنام أو الكواكب، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، حيث يقول على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤٨] فكان اختلاف العقيدة سببًا في اعتزال العبرانيين لمن حولهم من الشعوب.

٢. اختلاف العقلية:

فكان العبرانيون من البدو الرحل، ولم تكن لهم حضارة ولا مدنية ولا ثقافة ولا علوم ولا معارف، شأن البدو في كل زمان، بينما كان جيرانهم قومًا متحضرين ذوي علوم ومعارف، فعقلية هؤلاء تختلف عن عقلية أولئك، ومن ثم كانت الهوة عميقة بين الطائفتين، ولذا عاش العبرانيون في عزلة عن جيرانهم، وأصبحت العزلة طابع العبرانيين على اختلاف العصور حتى بعد زوال الأسباب التي كانت تدعوهم إلى العزلة، فهجر العبرانيون دين التوحيد وأصبحوا كجيرانهم من حيث العقيدة، ومع ذلك بقوا في عزلتهم.

وقد تحضر العبرانيون وهجروا حياة البداوة وأصبحت لهم معارف وثقافات وعلوم، فكان جديرًا بهم بعد زوال الفوارق بينهم وبين من حولهم أن يضعوا نهاية لعزلتهم، ولكنهم استمروا فيها وأصبحت هذه العزلة هي الطابع الذي يميزهم عن غيرهم من الناس على مدى التاريخ، فخالط العبرانيون أجناسًا متعددة وعاشوا بين شعوب كثيرة مختلفة العادات والطبائع، والعبرانيون هم هم أينما حلوا، يتجمعون ويتكتلون وينطوون على أنفسهم ويصنعون لأنفسهم مجتمعًا خاصًّا مغلقًا عليهم، أو بعبارة أخرى يقيمون لأنفسهم دولة داخل الدولة، هكذا كانوا في مصر يوم قدموا إليها في زمن يوسف ﷺ وهكذا كانوا في جميع البلاد التي هاجروا إليها في العراق في المغرب في اليمن في أوربا في أمريكا، هم هم هؤلاء القوم الانعزاليون، وهم يرون في هذه العزلة مكمن قوتهم وصلابتهم.

وترتب على هذه العزلة عدة نتائج خطيرة أهمها:

١. أن العبرانيين بني إسرائيل اليهود ترسبت في أعماقهم عقدة الشعور بالاضطهاد، وهو مرض نفسي يصيب المنطوين على أنفسهم عندما يبالغون في الانطواء، فعزلة العبرانيين الطويلة المدى أصابتهم بهذه العقدة، فهم ينظرون إلى من حولهم على أنهم أعداء لهم يتحينون الفرص للانقضاض عليهم، ولذا فهم يحذرون من حولهم ويتشككون فيهم ولا يطمئنون إليهم، فهم يعيشون دائمًا في خوف ورعب محرومين من الشعور بالأمن والاطمئنان، وهذا يدفعهم إلى معاداة جميع الناس وتدبير المؤامرات والتخطيط من أجل أن يكونوا هم دائمًا المتفوقين، وبيدهم تصريف شئون العالم حتى يأمنوا غيرهم.

وهذا يفسر كثيرًا من تصرفات بني إسرائيل على مدى التاريخ، وخاصة موقفهم من قضية فلسطين، وهو موقف يقوم أساسًا على خيال مريض، كما يفسر محاولاتهم المستمرة للقضاء على القوميات والأديان حتى يحطموا جميع القوى، ولا تبقى قوة سواهم، كما يفسر نشرهم للدعوات والمذاهب الإباحية والإلحادية القضاء على معنويات الشعوب، وليس سرًّا أن الماركسية والماسونية وراءهما أصابع بني إسرائيل، وأيضًا أضف إلى ذلك جمعية شهود يهوه العالمية ومركزها في أمريكا، وأيضًا جمعية الأدفنتست السبتيين، وجمعية المرمون وغيرها من الجمعيات الهدامة المخربة للأديان.

٢. إن العبرانيين لا يشعرون بأي ولاء للوطن الذي يستضيفهم، بل ولاؤهم دائمًا لمجتمعهم الخاص ولشعبهم الخاص المجتمع اليهودي، وهذه ظاهرة تطبع سلوك العبرانيين أينما حلوا تجاه الشعوب التي تؤويهم، فهم دائمًا لا يحسون بأنهم ينتمون إلى هذه الشعوب، فإذا حلت بهؤلاء نازلة أو أصابتهم ضائقة أو هاجمهم

عدو لم يسهم العبرانيون في تخفيف آلامهم، وتضميد جراحهم، كأن الأمر لا يعنيهم، والموقف يختلف فيما لو نزل البلاء بأي عبراني في أي مكان، عندئذ يسارع الجميع لنجدته ومواساته في مصيبته.

بنو إسرائيل في مصر

في القرن السابع عشر قبل الميلاد كانت مصر تحكم حكمًا أجنبيًّا، إذ كانت مقاليد الأمور فيها في يد الرعاة العماليق الهكسوس، الذين حكموا مصر من سنة ٢٠٩٨ قبل الميلاد إلى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد، وكونوا أربع أسر هي: الأسرة الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة، وحدث آنذاك أن يوسف عليه السلام وهو أحد أبناء يعقوب الاثني عشر، وأحبهم إليه وآثرهم لديه قدم على مصر عبدًا رقيقًا، بعد أن عثرت عليه قافلة تجارية ملقى في بئر نتيجة مؤامرة دبرها إخوته؛ حسدًا له على منزلته عند أبيهم، واشتراه رئيس الشرطة في مصر -عزيز مصر- ثم أدخل السجن على أثر مؤامرة دبرتها له امرأة العزيز.

والقصة معروفة أوردها القرآن الكريم في سورة يوسف، وفي السجن تعرف يوسف عليه السلام إلى ساقي الملك، وكان قد دخل هو أيضًا السجن نتيجة مؤامرة، ورأى في منامه رؤيا فسرها له يوسف عليه السلام وتحققت كما فسرها، ثم خرج الساقي من السجن ونسي أمر يوسف، وكان يوسف قد طلب إليه إن هو خرج من سجنه وعاد إلى عمله في قصر الملك أن يذكر قصة يوسف للملك، ومرت الأيام ونسي الساقي أمر يوسف، حتى رأى الملك في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، وعجزت حاشية الملك عن تفسير الرؤيا، وهنا تذكر الساقي أمر يوسف فذهب إليه في سجنه

وقص عليه الرؤيا ففسرها له يوسف: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

[يوسف: ٤٧- ٤٩].

وأفرج الملك عن يوسف وعينه رئيسًا لخزائن القوت في مصر، وهو شبيه بوزير التموين في العصر الحديث، وكان ذلك في عهد الأسرة السادسة عشرة، ثم جاء إخوة يوسف إلى مصر بعد أن حلت المجاعة بأرض الكنعانيين، وكان وقعها شديدًا على يعقوب وبنيه، فأرسل أبناءه إلى مصر طلبًا للقوت، ودخلوا على يوسف فعرفهم وهم له منكرون، إذ كانوا يعتقدون أنه هلك في البئر، وأنه حتى لو خرج من البئر حيًّا، فلم يكن من المتصور أن يصل إلى هذا المنصب المرموق، وطلب منهم يوسف أن يعودوا إلى أرضهم فيحضروا أخًا لهم من أبيهم، وبالحيلة تمكن يوسف من استبقائه معه في مصر، ثم عاد إخوة يوسف مرة أخرى إلى مصر طلبًا للطعام، وفي هذه المرة عرفهم يوسف بنفسه، ثم طلب منهم أن يحضروا أباهم يعقوب وجميع أفراد أسرته إلى مصر، فقدم يعقوب وأولاده وأحفاده بنو إسرائيل إلى مصر وكانوا سبعين نفسًا، وأسكن فرعون مصر أرض جاسان وهي تقع بإقليم الشرقية.

ولأن حكام مصر آنذاك كانوا من غير المصريين، فقد أخذوا يحاربون بني إسرائيل على حساب أهل البلاد من المصريين، كما هي عادة الحاكم الأجنبي في كل زمان ومكان، يقرب الأجانب ويبعد أهل البلاد، وهكذا بينما كان المصريون يقومون بأشق الأعمال من فلاحة الأرض وبناء المساكن والمعابد، وهم في الوقت نفسه لا يحصلون على الكفاف إلا بشق الأنفس، كان بنو إسرائيل معتمدين على صداقة

الحاكم الأجنبي وتأييده، منعمين مدللين يحصلون على خيرات مصر، وقد حرم منها أهل البلاد، ويقومون بأعمال غير شاقة ولا مضنية كالرعي وصياغة الذهب والفضة والتجارة فيهما، وهي أعمال سهلة وتدر الربح الوفير والخير الكثير.

تولد عن هذا الوضع الشاذ شيء من الحقد والمرارة في نفوس المصريين، وأخذوا يربطون بين هؤلاء الدخلاء والحاكم الأجنبي الدخيل، ويحملون للجميع في نفوسهم كرهًا وبغضًا، غير أن الهكسوس أصدقاء بني إسرائيل لم يلبثوا أن طردوا من مصر، بعد أن تمكن أحمس أحد أمراء طيبة المصريين من أن يهزمهم ويجليهم عن البلاد، ويقيم حكمًا وطنيًّا مصريًا خالصًا ويؤسس الأسرة الثامنة عشرة، غير أن التاريخ لا يذكر أن أحمس قد آذى بني إسرائيل أصدقاء الهكسوس، فكان كل همه آنذاك أن يتخلص من الهكسوس ويحطم قوتهم، فلما استقر الحكم الوطني في مصر، وقامت الأسرة التاسعة عشرة بدأ المصريون يظهرون حذرهم من بني إسرائيل، وعداءهم لهم، وذلك لعدة أسباب:

١. محاباة الهكسوس أعداء المصريين لبني إسرائيل وتقريبهم لهم على حساب الشعب المصري، مما ولد الحقد في نفوس المصريين على هؤلاء الدخلاء، غير أن هذا الحقد لم يظهر أثره إبان حكم الهكسوس، فلما جلا هؤلاء عن البلاد واستقر الوضع نهائيًّا بمصر لمصلحة الحكم الوطني أخذ هذا الحقد يعلن عن نفسه.

٢. بعد جلاء الهكسوس تغير الوضع بالنسبة لبني إسرائيل، فلم يعودوا هؤلاء المنعمين المدللين، بل حرموا من امتيازاتهم وطلب منهم الحكام المصريون أن يشاركوا المصريين أعمالهم من فلاحة الأرض وتشييد المباني، وهي أعمال شاقة لم يألفوها فبدءوا يتمردون ويدبرون المؤامرات ويشعلون الثورات، مما دفع الشعب والحكام إلى معاداتهم واضطهادهم.

٣. حياة العزلة التي ألفوها، وقد أصبحت هذه العزلة تثير مخاوف المصريين وقلقهم، بعد أن كانت في بداية الأمر لا تشغل بالهم، إذ كان بنو إسرائيل حين قدموا إلى مصر أقلية ضئيلة جدًّا لا تتجاوز السبعين نفسًا، وعزلة عدد قليل كهؤلاء لا تثير قلقًا ولا مخاوف، ولكن بني إسرائيل لم يلبثوا أن تزايد عددهم زيادة هائلة، فتجاوز عددهم المليونين من الأنفس حسب ما يستنتج من بعض الروايات، وعزلة عدد ضخم كهذا العدد وتكوينه دولة داخل الدولة يثيران بلا شك كثيرًا من الريبة والحذر، خاصة وأن بني إسرائيل كانوا على اتصال مستمر بأعداء البلاد في الخارج، وخشي حكام مصر أن يستعين أعداء البلاد في الخارج بهذا العدد الضخم من بني إسرائيل في الانقضاض على الدولة وانتزاع السلطة.

أيقن المصريون أن عزلة بني إسرائيل وزيادة عددهم فيهما الخطر كل الخطر على البلاد، ولذلك بدأ المسئولون يضعون الخطط للتخلص من هذا الخطر، وكان يحكم مصر آنذاك رمسيس الثاني أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة، فاستشار أعوانه في الوسيلة التي تمكنه من القضاء على قوة بني إسرائيل، فأشار عليه إخوانه بأن يذبح كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل وأن يستبقي الإناث، فإذا استمر الأمر على ذلك فإنه لن يلبث أن يمضي وقت قصير حتى لا يصبح في بني إسرائيل رجل واحد، فتضطر النساء الإسرائيليات إلى الزواج من الرجال المصريين، وبهذا يقضى قضاء مبرم على عزلة بني إسرائيل، ويندمجون في الشعب المصري فيزول خطرهم وينتهي شرهم.

بدأ فرعون مصر في تنفيذ هذه الخطة، فكان يذبح المواليد الذكور من بني إسرائيل ويستحيي الإناث، وفي هذه الأثناء ولد موسى عليه السلام لأسرة إسرائيلية فأشفقت أمه عليه ووضعته في صندوق، وألقت به في اليم فحمله الماء إلى قصر فرعون،

الـذي أراد أن يقتلـه فمنعتـه زوجتـه قائلـة: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص: ١٠] ونجا موسى من القتل ونشأ في قصر فرعون، حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجال عرف أنه ينتمي إلى بني إسرائيل لا إلى المصريين.

وكان المصريون آنذاك يضطهدون بني إسرائيل للأسباب التي ذكرت من قبل، فبدأ موسى ينحاز إلى قومه من بني إسرائيل المغلوبين المقهورين، وذات يوم خرج موسى فوجد ﴿ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ أي: من المصريين ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٥]، لقد قتل موسى الرجل المصري بدون قصد، ولم يعلم بهذا الحادث سوى الرجل الإسرائيلي الذي خلصه موسى من بطش المصري ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٨، ١٩].

وهكذا افتضح الأمر وعرف المصري أن موسى هو الذي قتل نفسًا بالأمس، وذاع الخبر في المدينة، وبدأ القوم يأتمرون بموسى ليقتلوه، وجاءه رجل يخبره بذلك وينصحه بالهرب ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٠، ٢١].

فمر موسى عليه السلام هاربًا من مصر، واتجه نحو الجنوب الشرقي واستمر في سيره حتى مدين، وهي تقع في المنطقة التي تفصل حاليًا بين السعودية والأردن: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ

تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٢- ٢٨].

اختلف الباحثون حول شخصية هذا الرجل الذي صاهره موسى عليه السلام هل هو النبي شعيب الوارد ذكره في القرآن، أو رجل آخر غير شعيب النبي؟ أما القرآن فلم يحدد من هو، وبعد أن قضى موسى الأجل المحدد بينه وبين صهره بدأ يفكر في العودة إلى مصر؛ ظانًّا أن هذه المدة الطويلة التي قضاها بعيدًا عن مصر كفيلة بأن تجعل المصريين ينسون فعلته.

بدأ موسى يحن إلى قومه وعشيرته وملاعب الصبا والشباب، فودع صحبته في مدين وسافر مع زوجه عائدًا إلى مصر عن طريق سيناء، وبينما هو في رحلة العودة يمر قريبًا من جبل الطور إذ رأى نارًا، وكان الوقت ليلًا والجو شديد البرودة، وضل طريقه: ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه: ١٠- ١٤].

في هذا المكان المقدس اختار الله موسى عليه السلام للرسالة وقال له: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] وقاله له: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٧- ١٩]، وفي الآيات الكريمة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ

﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٣- ٤٠].

وأخذ فرعون يؤنب موسى ويسخر منه ويقول له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨- ٢١] فطلب فرعون من موسى أن يظهر معجزاته:

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ

عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٦- ١٢٢].

فأخذ فرعون يهدد السحرة ويتوعدهم ويقول لهم: ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤- ١٢٦].

عقيدة اليهود في الوعد بالأرض (٢)

عناصر الدرس

خروج بني إسرائيل من مصر ثم دخولهم سيناء

أولًا: خروج بني إسرائيل من مصر:

ثم طلب موسى من فرعون أن يوافق على خروج بني إسرائيل من مصر، وهنا تختلف روايات المؤرخين، فبعض المؤرخين يذكر أن فرعون رفض أن يخرج بنو إسرائيل من مصر لسببين:

أولهما: أن خروجهم من مصر سيحرمه من الاستفادة منهم بتسخيرهم في أعمال البناء ونحوها.

الثاني: أنه خشي أن ينضموا إلى أعداء مصر خارج الحدود، ويكونوا معهم جيشًا قويًا يغزو مصر، لاسيما وهم يعرفون أسرار البلاد وثغراتها ونقاط الضعف فيها، لذا رفض فرعون أن يسمح لهم بالخروج من مصر فخرج بهم موسى سرًّا، فلما علم فرعون خرج وراءهم بجيشه ليحول بينهم وبين ذلك، وبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن فرعون وافق على خروجهم من مصر ليكفي المصريين شر فتنتهم ومؤامراتهم التي لا تنقطع، ورأى أن في خروجهم خيرًا كثيرًا لمصر، ولكن الذي حدث أن النساء الإسرائيليات -كما تحكي التوراة- قد نفذن أمر ربهن، إذ قال لهن: حين تخرجن من مصر لا تخرجن من مصر فارغات، بل تطلب كل امرأة من جارتها المصرية ذهبًا وفضة وثيابًا لأطفال بني إسرائيل، فتضعن ذلك على بنيكن وبناتكن، فتخرجن وقد سلبتن المصريين.

وهذه الرواية الثانية محض خرافة؛ إذ لا يليق بالرب أن يأمر بالسلب والخداع، وهذا مما يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة؛ لأن الله لا يأمر بشيء من ذلك

فهذا دليل كذب هذه الرواية، ويضاف إلى ذلك أن فراعين مصر كانوا في غاية التعالي والتعاظم، فلم يكن يليق بعظمة فرعون مصر أن يتحرك بجيشه لأمر تافه كهذا، إذ كان يكفي أن يرسل وراءهم فرقة من جنوده تعيد ما سلبوه، أما أن يتحرك فرعون بجيشه لكي يسترد ذهبًا وفضة وثيابًا سلبها نساء بني إسرائيل، فهذا لا يتفق مع ما عرف عن فراعين مصر من التعالي والتأله.

اتجه موسى بقومه ناحية الشرق فلحق بهم فرعون وجنوده، حتى إذا ما وصل موسى بقومه إلى خليج السويس، نظر القوم وراءهم فرأوا جيش فرعون فرعون فذعروا، وارتعدت فرائصهم، فالبحر أمامهم والعدو وراءهم وليس لهم من مهرب ولا من مفر: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٢- ٦٦].

أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فانفلق وانقسم إلى قسمين عظيمين بينهما أرض يابسة، سار عليها موسى وقومه، فلما جاء فرعون بجنوده ليمروا في نفس الطريق أطبق عليهم البحر فغرقوا جميعًا، ونجا الله موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل.

وقد أنكر بعض المؤرخين قصة دخول بني إسرائيل إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام وخروجهم منها مع موسى عليه السلام واعتمدوا في هذا الموقف على أن هاتين القصتين

لم تردا في آثار قدماء المصريين، ولو صحت هاتان القصتان لما أغفلتهما هذه الآثار، فكان قدماء المصريين حريصين على تسجيل الأحداث الهامة على آثارهم، وهذان الحادثان من أهم الأحداث التي تستحق التسجيل، فإهمال قدماء المصريين لهما وعدم تسجيلهما دليل على عدم صحتهما.

كل ما تقصه هذه الآثار هو ما يفيد أن بعض ملوك مصر كانوا يسخرون العبرانيين في أعمال البناء، وهذا لا يقطع بصحة قصة دخولهم إلى مصر في عهد يوسف، وخروجهم منها في عهد موسى، ولكن يُرد على هؤلاء المنكرين للقصتين بما يأتي:

١. إن فراعين مصر كانوا في غاية التعالي والتعاظم، وكانوا يسجلون فقط الأحداث الهامة التي تشير إلى أمجادهم، ودخول بني إسرائيل إلى أرض مصر حدث في عهد الرعاة العماليق، وقد دمرت آثارهم بعد رحيلهم، أما خروجهم فهو لا يعدو في نظر ملوك مصر أن يكون هروبًا لبعض العبيد الآبقين، ولذا لم يروا أنه يستحق التسجيل.

٢. أنه لم يتم اكتشاف جميع آثار مصر القديمة، فلعل بعض هذه الآثار التي لم تكتشف بعد قد سجل هاتين القصتين.

٣. إن مجيئهم إلى منطقة نهر الأردن من جهة مصر دليل على أنهم كانوا فيها ثم خرجوا منها.

٤. هاتان القصتان قد وردتا في الكتب المقدسة، ووردتا بصفة خاصة في القرآن الكريم وهو أعظم المصادر التاريخية المقطوع بصحتها، والتي لا يرقى إليها أدنى شك: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، هذا وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أن فرعون الذي ابتدع

تعـذيب بـني إسـرائيل هـو رمسـيس الثـاني، وأن فرعـون الـذي خـرج بنـو إسرائيل في عهده من مصر هو مفتاح ابنه.

ثانيًا: بنو إسرائيل في سيناء:

نجا موسى وقومه من فرعون وجنوده وأصبحوا في سيناء، حيث بدءوا حياة جديدة تختلف تمامًا عن حياتهم في مصر، فكانوا في مصر يحصلون على جميع ما يحتاجون إليه من طعام وقوت؛ حيث الخير الكثير والرزق الوفير والثمرات التي لا تغيض، أما في سيناء فالأمر يختلف فهي صحراء بلقع مجدبة لا نبات فيها ولا طعم ولا ماء، تحرقهم الشمس نهارًا وترتعد فرائصهم من البرد ليلًا، حيث لا مأوى ولا ملجأ لهم، حياة قاسية وعيشة مضنية جعلتهم يتذكرون حياتهم السهلة في مصر، فبدءوا يتمردون على موسى ويؤذونه باعتبار أنه هو سبب خروجهم من النعيم والحياة الطيبة في مصر، وصبر موسى على أذاهم ثم تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون، واتجه إلى جبل الطور حيث أمره ربه بالصوم والاعتكاف مدة ثلاثين يومًا يتلقى بعدها التوراة، ولكن الأيام الثلاثين زادت عشرة أيام أخرى فأصبحت أربعين، وتذكر بعض الروايات أن سبب هذه الزيادة أن موسى استاك في اليوم الثلاثين، فعاقبه الله بزيادة أيام الصوم عشرة على سبيل الكفارة.

وأبطأ موسى على قومه فقد انتظروا عودته بعد الثلاثين يومًا، ولكنه لم يعد فبدأ بنو إسرائيل يتشككون فيه وفي نبوته وفي الدين الذي جاءهم به، وظنوا أنه خدعهم وتركهم في هذا المكان الموحش المجدب ليلقوا مصيرهم الأليم وحدهم، بينما ذهب هو إلى مكان أمين حيث الرزق الوفير والخير الكثير، وذهب بنو إسرائيل إلى هارون خليفة موسى في قومه، وطلبوا منه أن يصنع لهم عجلًا يعبدونه من دون الله، ولكن هارون رفض ذلك، فذهبوا إلى أحد زعمائهم

ويسمى السامري، فطلب منهم أن يحضروا جميع ما لديهم من ذهب فسبكه، وصاغ منه عجلًا جسدًا له خوار، انكب بنو إسرائيل على عبادته من دون الله، وعاد موسى ومعه التوراة فوجد قومه قد ارتدوا عن دين التوحيد إلى عبادة العجل، فثار وغضب وأخذ يعنف أخاه هارون، ولكنه أجابه بأن القوم قد استضعفوه وكادوا يقتلونه، والتوراة تنسب إلى هارون أنه هو الذي صنع العجل، وهذا يخالف ما جاء به القرآن الكريم، وساق القرآن الكريم هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨- ١٥٠].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ

فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه: ٨٣- ٩٤].

اتجه موسى بقومه نحو فلسطين وطلب منهم أن يدخلوها، وكان ذلك يعني نشوب حرب بينهم وبين الكنعانيين سكان فلسطين، فرفض بنو إسرائيل دخول فلسطين خوفاً من الحرب والقتال، وفي الواقع كان بنو إسرائيل غير مهيئين نفسيًا بخوض معركة حربية، وقد عاشوا في مصر فترة طويلة أذلاء مستعبدين، وألفوا حياة الذل والضعف والاستكانة والهوان، والشعوب التي ألفت ذلك لا تكون أهلًا لتحمل تبعات القتال ولا لخوض معارك أو حروب، وهي لو فعلت ذلك فلن تلقى سوى الهزيمة والفشل، ومن ثم فقد رفض بنو إسرائيل أن يحملوا السلاح، ويدخلوا معركة من أجل فلسطين.

والقرآن الكريم يقص ذلك فيقول: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٦].

قد عاقبهم الله تعالى على امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة، بأن حرم عليهم هذه الأرض، كما قضى عليهم بأن يتيهوا في أرض سيناء أربعين سنة، فقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف زمان لقوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: فترة التيه المحددة بأربعين عامًا، أما التحريم فإنه على التأبيد وليس مؤقتًا بزمان.

وقد يقول قائل: إذا كان التحريم على التأبيد، فكيف يستقيم ذلك مع إقامة بني إسرائيل في أرض فلسطين لفترات من الزمان في العصر القديم، وفي العصر الحديث، وهم يقيمون فيها الآن، وأسسوا لهم فيها دولة قوية؟

والجواب: أن معنى التحريم أنه محرم عليهم الاستقرار فيها والأمن والاطمئنان، وهذا واقع يشهد به التاريخ قديمًا وحديثًا، فهم لم يقيموا فيها ألبتة إقامة استقرار، بل كانوا دائمًا على رحيل، حتى وهم يقيمون فيها لم يشعروا ألبتة بالأمن والاطمئنان، ويشهد لذلك واقعهم اليوم، فرغم قوتهم العسكرية الهائلة، ورغم المعونات التي تغدق عليهم بغير حساب من الغرب والشرق على السواء، نجدهم يشعرون في داخلهم بالقلق والخوف من جيرانهم، ولذا يعملون دائمًا على أن يكونوا أقوى منهم؛ حتى يخففوا من إحساسهم بالرعب والذعر، ومن المسلم به أن الإنسان الذي يقيم في مكان لا يحس فيه بالأمان والاطمئنان لا يعد مقيمًا في هذا المكان على الحقيقة، وهذا هو المقصود بالتحريم في الآية.

عاش بنو إسرائيل في التيه أربعين عامًا، وفي هذه الفترة مات هارون عليه السلام ثم مات موسى عليه السلام وهو ينظر إلى أرض فلسطين دون أن يدخلها، وبعد وفاة موسى عليه السلام تولى القيادة والزعامة في بني إسرائيل يوشع بن نون، وهو أحد أتباع موسى المخلصين، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه هو فتى موسى، الوارد ذكره في سورة "الكهف" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠].

وكان يوشع بن نون بطبيعته عسكريًّا ماهرًا، على خلاف موسى عليه السلام الذي كان بفطرته سياسيًّا حكيمًا، وتمكن يوشع بن نون -بما فطر عليه من روح الجندية- أن يعبئ بني إسرائيل تعبئة عسكرية ممتازة، ويرفع روحهم المعنوية ويكون منهم جيشًا قويًّا، اتجه به نحو الشمال الشرقي في اتجاه نهر الأردن، وعسكر بجيشه على الشاطئ الشرقي لهذا النهر؛ استعدادًا لعبوره ودخول أرض فلسطين، وأرسل بعيونه وجواسيسه لاستطلاع أخبار الكنعانيين الذين كانوا يقيمون في هذه الأرض.

وكان ممن أرسلهم اثنان من الجواسيس بعث بهما إلى مدينة أريحا الفلسطينية، فشعر بهما أهل هذه المدينة، وأخذوا في مطاردتهما فاختبآ في بيت امرأة عاهرة، فحمتهما هذه المرأة، وعن طريقها تمكن هذان الجاسوسان من معرفة أسرار المدينة، وإرسالها إلى يوشع بن نون المعسكر بجيشه على الشاطئ الشرقي لنهر الأردن، ثم هجمت قوات بني إسرائيل على مدينة أريحا، وارتكب المهاجمون من الفظائع ما تقشعر لهوله الأبدان، فقتلوا كل حي في المدينة من إنسان وحيوان، وأحرقوا المدينة عن آخرها، ولم ينج من هذه المذبحة البربرية سوى المرأة العاهرة وأسرتها، كما يروي سفر يوشع، وهو يوشع بن نون، وعلى هذه الصورة الدموية بدأ تاريخ بني إسرائيل في فلسطين،

ثم بدأ يوشع بن نون في مهاجمة المدن الأخرى، فأخذت تسقط واحدة بعد الأخرى، ورغم قوة جيشه فهو لم يستطع دخول المدن الساحلية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وبقيت هذه في يد الكنعانيين، ولم يتمكن جيش بني

إسرائيل من الاستيلاء إلا على المدن الداخلية فقط، وترجع قسوة بني إسرائيل ووحشيتهم -عند غزوهم لأرض فلسطين- إلى الحياة القاسية التي عاشوها في سيناء؛ حياة الجوع والعري والتيه والتشرد، وقد كان لذلك كله أثره في هذا الانقضاض الوحشي على أرض فلسطين، وكان أهلها من الكنعانيين ذوي حضارة ونعمة وافرة، ذهبتا بلب هذا القطيع من الجوعى المشردين.

في الأرض المقدسة

هكذا بدأت حياة بني إسرائيل في الأرض المقدسة على هذه الصورة الدموية البربرية، وكان ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأقاموا بهذه الأرض خمسة قرون لم ينعموا فيها بالاستقرار إلا خمسين عامًا فقط، هي فترة حكم داود عليه السلام والسنوات الأولى من حكم ابنه سليمان عليه السلام أما ما عدا ذلك حياة تشرد كما ساغ.

ومرت حياتهم في هذه الأرض بأطوار مختلفة، وهم في بداية الأمر كانوا من البدو الرحل يقيمون في الخيام، ثم أخذوا يتأثرون بجيرانهم من الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، فبدءوا يتحضرون ويقيمون القرى الصغيرة، وهجروا حياة البداوة والرعي شيئًا فشيئًا، حيث أخذوا يتعلمون الزراعة كما تعلموا بعض الصناعات البسيطة. مثل: صناعة الآلات الزراعية والأسلحة والخزف، وتاريخ بني إسرائيل في أرض فلسطين ينقسم إلى ثلاثة عصور: عصر القضاة، عصر الملوك، عصر الانقسام وسقوط دولتهم، وسنتناول هذه العصور الثلاثة بشيء من التوضيح:

١. عصر القضاة:

استمر هذا العصر قرنًا واحدًا من الزمان، وإن كان سفر القضاة -وهو أحد أسفار العهد القديم- يتناول تاريخ هذه الفترة، يذهب إلى أن هذا العصر استمر أربعة قرون، ولكن التحقيق التاريخي يثبت أن هذا العصر لم يستمر أكثر من قرن واحد، وقد سمي هذا العصر بهذا الاسم لأن القاضي كان يمثل أعلى سلطة لدى بني إسرائيل آنذاك، وكان بنو إسرائيل مقسمين إلى اثنتي عشر قبيلة بعدد الأسباط الاثني عشر، ولكل قبيلة رئيس يرعى شئونها، وكانت كل قبيلة مستقلة تمام الاستقلال عن الأخرى في جميع شئونها.

فلم تكن هناك حكومة مركزية يخضع لها الجميع، ومعنى هذا أنه لم يكن لبني إسرائيل دولة في ذلك العصر، بل كان كل رئيس لقبيلة يستقل بإدارة شئونها، يساعده مجلس من الشيوخ، وكان هناك مجلس عام يضم جميع رؤساء القبائل، يجتمع إذا حدث نزاع بين قبيلة وأخرى، ويحاول هذا المجلس أن يفصل في هذا النزاع، فإذا عجز هذا المجلس عن حل النزاع رفع الأمر إلى القاضي ليحكم فيه، وكان القاضي يختار من بين الكهنة، ولا يشترط أن يكون رجلًا، بل قد يكون القاضي امرأة ولم يكن حكم القاضي واجب التنفيذ، إذ لم يكن هناك من سلطة تنفيذية.

وفي هذا العصر بدأ بنو إسرائيل في الانتقال التدريجي من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، متأثرين بجيرانهم من الكنعانيين، ويقص سفر القضاة -وهو أحد أسفار العهد القديم- تاريخ هذا العصر، بما فيه من مصائب وبلايا حاقت ببني إسرائيل؛ بسبب مخالفتهم للوصايا والتعاليم التي جاء بها موسى عليه السلام وخاصة بسبب ابتعادهم عن عقيدة التوحيد.

٢. عصر الملوك:

استمر عصر القضاة لمدة قرن من الزمان، حتى بدأ الفساد يشيع بين القضاة، وأخذوا يجورون في أحكامهم ويحابون ويأخذون الرشوة، فبدأ شعب بني إسرائيل يتمرد على هذا النظام، وذهب شيوخ بني إسرائيل إلى نبي لهم يسميه العهد القديم صموئيل، وطلبوا منه أن يعين لهم ملكًا يوحد صفوفهم ويجمع شملهم، ويقاتلون تحت قيادته أعداءهم، كما هو الأمر عند جميع الشعوب التي تحيط بهم.

جاء في سفر صموئيل الأول الإصحاح الثامن ما يلي: وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل، وكان اسم ابنه البكر يوئيل واسم ثانيه أَبِيّا كانا قاضيين في بئر سبع، ولم يسلك ابناه في طريقه بل مالا وراء المكاسب، وأخذا رشوة وعوجا القضاء، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له: هو ذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب، فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا: أعطنا ملكًا يقضي لنا، وصلى صموئيل إلى الرب فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقول لك؛ لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا، حتى لا أملك عليهم حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم، وتركوني وعبدوا آلهة أخرى هكذا هم عاملون بك أيضًا، فالآن اسمع لصوتهم ولكن اشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك، الذي يملك عليهم، فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكًا بجميع كلام الرب.

وقال: هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم، ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه فيجعل لنفسه رؤساء ألوف، ورؤساء

خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده، ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم، أجودها ويعطيها لعبيده، ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم... فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم، فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا: لا بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضًا مثل سائر الشعوب، ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا.

ومما دفعهم إلى هذا الطلب أمران -وهو اتخاذ ملك عليهم-:

أولهما: الخطر المحدق بهم، إذ كانوا يعيشون في المناطق الداخلية من فلسطين في بقعة ضيقة، مهددين باستمرار من جانب الكنعانيين الذين كانوا ينظرون إليهم، على أنهم قوة دخيلة على المنطقة ينبغي القضاء عليها، ومن ثم كانت هجمات الكنعانيين لا تكف في محاولات مستمرة لاسترداد أرضهم، التي استولى عليها بنو إسرائيل، فرأى شيوخ بني إسرائيل أن ما هم فيه من تفكك في الروابط، واستقلال كل قبيلة عن الأخرى مما يساهم في تشجيع الكنعانيين على مواصلة الهجوم عليهم.

وأن المنقذ الوحيد لهم من هذا الخطر هو تكتلهم تحت راية ملك واحد، بدل تشتتهم في قبائل مستقلة لا رابط يجمع بينها، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ثانيهما: فساد القضاة وتحلل أخلاقهم وأخذهم الرشوة، كل ذلك أفقد الثقة فيهم، وفي أهليتهم للزعامة، ودفع الشعب إلى المطالبة بوضع حد لهذا النظام

الفاسد، واختيار نظام آخر أصلح منه، فذهب شيوخ بني إسرائيل إلى نبي لهم، وطلبوا منه أن ينصب عليهم ملكًا يوحد صفوفهم، ويحاربون تحت لوائه، فأخذ نبيهم يراجعهم ويبين لهم مثالب النظام الملكي ومعايبه، فالملوك مستبدون يميلون إلى الجور والعسف، فهم يستولون على محاصيلكم وأقواتكم وأموالكم، وسيتخذون من رجالكم عبيدًا ومن نسائكم إماء، فالأولى أن ترضوا بهذا النظام القائم على ما فيه من ثغرات، ولكن بني إسرائيل رفضوا قوله وأصروا على المطالبة بنظام ملكي، فاستجاب لهم نبيهم واختار لهم طالوت ملكًا، ويسميه العهد القديم شاؤل.

والقرآن الكريم يحدثنا عن هذه القصة في هذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] إلى أن قال المولى ﷻ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد قام طالوت بمحاربة الكنعانيين، وكان داود عليه السلام جنديًّا في جيشه، وكان قائد الكنعانيين هو جالوت، وطلب جالوت المبارزة فخرج له داود وقتل داود جالوت، وهنا بدأ نجم داود يصعد وصيته ينتشر كمحارب كفء وشجاع، وبدأ الجنود يلتفون من حوله فأشفق طالوت من أن ينتزع داود منه الملك، حيث أصبح له أنصار ومريدون من بين الجنود، فبدأ طالوت يضطهد داود ويطارده ويحاول الإيقاع به، حتى اضطر داود إلى الهروب واللجوء إلى الكنعانيين أعداء بني

إسرائيل، وانتهز الكنعانيون فرصة هذا الانقسام في صفوف بني إسرائيل، فخرجوا لمحاربتهم وهزم طالوت في هذه المعارك، وقتل كما يقول العهد القديم.

أما داود فقد انتهز هذه الفرصة فقام بمحاربة ابن طالوت وهزمه، واستقر له الأمر وأصبح الملك الثاني لبني إسرائيل حسب رواية العهد القديم.

وقد حكم داود أربعين سنة منها سبع سنوات في حبرون الخليل، والسنوات الباقية في أورشليم القدس التي اتخذها عاصمة له؛ لأنها تقع في منطقة محايدة لم تشترك في الحرب الأهلية. ويعتبر عصر داود هو أزهى العهود لدى بني إسرائيل، فقد تمتعوا آنذاك بعهد من الاستقرار والازدهار لم يشهدوه على مدى التاريخ، ويرجع استقرار وازدهار عهد داود إلى عاملين أساسيين:

١. ضعف كل من مصر وآشور وبابل آنذاك.

٢. المعاهدة التي عقدت بينه وبين حيرام ملك الفينيقيين، وبمقتضى هذه المعاهدة تعهد داود بحماية تجارة الفينيقيين، وهي في طريقها إلى البحر الأحمر عبر أراضيه، وفي مقابل ذلك يقدم حيرام إليه المال والخبرة الفنية، إذ كان الفينيقيون أثرياء بسبب التجارة كما اشتهروا -بصفة خاصة- بإجادة فن العمارة، فاستعان داود بالمهندسين والعمال الفينيقيين في بناء أورشليم وأسوارها.

غزو داود لمملكة عمون:

جاء في العهد القديم أن داود عليه السلام غزا مملكة عمون، واستولى على عاصمتها ربه، كما استولى على تاج ملكها وكان يزن قنطارًا من الذهب، ووضعه داود

على رأسه، ويذكر العهد القديم أن جيش داود كان شديد القسوة مع العمونيين، حيث نشرهم بالمناشير وقطعهم بنوارج وفئوس من حديد: وأخرج الشعب الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفئوس، وهكذا صنع داود بكل مدن بني عمون، ثم رجع داود وكل الشعب إلى أورشليم.

ونحن ننزه ساحة داود عليه السلام عن هذا الصنيع؛ إذ لا يليق بنبي كريم كداود عليه السلام أن يرتكب هذه الفعال التي لا يقدم عليها البرابرة المتوحشون.

ويمضي العهد القديم فيذكر أن داود عليه السلام بقي متعطشًا إلى سفك الدماء حتى اللحظة الأخيرة من حياته، وأنه وهو في النزع الأخير دعا ابنه سليمان، وأمره بقتل أحد أعدائه، وكان داود قد تعهد لربه ألا يمسه بسوء ما دام حيًّا، وأن داود يرى أن سليمان لا يلتزم بهذا العهد الذي تعهد به داود لربه، وإليكم هذا النص في هذه الواقعة: وهو ذا معك شمعي بن جيرا البنياميني من بحورين، وهو لعنتي لعنة شديدة يوم انطلقت إلى محنايم، وقد نزل للقائي إلى الأردن فحلفت له بالرب قائلًا: أني لا أميتك بالسيف والآن فلا تبرره لأنك أنت رجل حكيم، فافعل ما تفعل به واحذر شيبته بالدم إلى الهاوية، أي: اقتله.

ونحن لا نظن أن داود عليه السلام كان يتصف بهذه القسوة في معاملة أعدائه، حتى في اللحظة التي ترق فيها القلوب القاسية، وتضعف فيها العزائم الحديدية، إن أشد الأفئدة تحجرًا ليليق ويرق وهو يواجه الموت، وإن أعتى المجرمين لينهار حين تدنو ساعته، فكيف بنبي كريم من أنبياء الله المصطفين الأخيار، إن كذب هذه الروايات لا يحتاج إلى بيان.

سليمان يخلف داود -عليهما السلام-

بعد وفاة داود خلفه ابنه سليمان -عليهما السلام- والقرآن الكريم قد عرض لقصة سليمان، فوصفه بكل ما هو جميل وطيب، انظر إليه وهو يقول في حقه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٥- ١٩].

ويقول أيضًا: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٣٠- ٤٠].

ومن هذه الآيات يتبين مبلغ تقدير القرآن الكريم لنبي الله سليمان عليه السلام وثنائه عليه، ووصفه بكل ما هو جميل، وعلى العكس من ذلك نجد أن سفر الملوك

الأول -وهو من أسفار العهد القديم- يقول عنه: إنه استفتح حكمه بقتل أخيه الأكبر وقتل رئيس جيش أبيه.

وتعتبر السنوات الأولى من عهد سليمان امتدادًا لعهد داود، حيث الاستقرار والازدهار، ويرجع ذلك إلى العاملين السابقين الذين أشرت إليهما عند الحديث عن عهد داود.

ويضاف إلى ذلك عامل آخر وهو المصاهرة التي تمت بينه وبين شيشق. شيشق: ملك مصر، والمؤرخون يعجبون لتلك المصاهرة، إذ إن فراعين مصر كانوا في غاية التعالي والتعاظم والتأله، فقد يقبل أحدهم على مضض أن يتزوج بأميرة غير مصرية، ولكنهم كانوا يرون من العار أن تتزوج أميرة مصرية من ملك آشوري أو ملك بابلي، فكيف قبل فرعون مصر أن يزوج ابنته من سليمان، وقد كانت مملكة سليمان آنذاك لا تصل إلى مستوى آشور وبابل من حيث القوة والنفوذ.

ويستنتج المؤرخون من ذلك أن مصر آنذاك قد بلغت غاية الضعف والانهيار، ولكن لم تلبث مملكة سليمان أن ضعفت في آخر حياته، ويرجع المؤرخون أسباب ضعف مملكته إلى ما يلي:

١. مظاهر البذخ والأبهة وكثرة الإنفاق في هذا السبيل.

٢. قسوته في معاملة الشعب وخاصة في مجال الضرائب وأعمال السخرة.

٣. كثرة عدد زوجاته وكان بعضهن من الوثنيات.

٤. كثرة الثورات التي قامت ضده.

وقد بدأت هذه الثورات من قبل الشعوب المغلوبة التي ضم داود أرضها إلى مملكته، فأخذت هذه الشعوب تتمرد وتعمل على استعادة سلطانها على أراضيها، ثم قامت ثورات ضده من شعب بني إسرائيل، وذلك بسبب قسوته في معاملة الشعب، ثم قام يربعام بثورة ضد سليمان.

في سفر الملوك الأول: يربعام بن ناباط أفريمي من صردة عبد من عبيد سليمان واسم أمه صروعة، وكان شديد البأس فولاه سليمان بعض الأعمال، ولكنه ثار عليه فأمر سليمان بقتله ففر إلى مصر، وبقي بها إلى وفاة سليمان. ويذكر بعض الباحثين أن يربعام كان ابنًا لسليمان، وهو خطأ، ثم قام يربعام بثورة ضد سليمان وانضم إليه كثير من شيوخ بني إسرائيل، ولكن هذه الثورة فشلت فاضطر يربعام إلى الفرار، واللجوء إلى شيشق ملك مصر الذي بسط عليه حمايته، هذه العوامل مجتمعة يسوقها المؤرخون كأسباب في تضاؤل مملكة سليمان في آخر حياته، حتى لقد غدت لا تضم سوى غرب الأردن فقط، ويعتمد المؤرخون في هذا على المصادر اليهودية وبصفة خاصة العهد القديم.

٣. عصر الانقسام:

مات سليمان عليه السلام فقام ابنه رحبعام ليعلن نفسه ملكًا على بني إسرائيل، وبايعه اثنان من الأسباط يهوذا وبنيامين، وكان ذلك في أورشليم، ثم سار رحبعام شمالًا ليأخذ البيعة من الأسباط العشرة الباقين، وكان يربعام الذي ثار على سليمان في أواخر حياته، ولجأ إلى مصر قد عاد بعد وفاة سليمان إلى فلسطين، وبتحريض من شيشق ملك مصر، فلما قدم رحبعام إلى مدينة شاكيم نابلس اجتمع به شيوخ الأسباط العشرة ومعهم يربعام، وطلبوا من رحبعام أن يخفف

عنهم ما كانوا يلقون من قسوة أبيه، واستشار رحبعام في ذلك أعوانه أما الشيوخ منهم، فنصحوه بأن يستجيب إلى طلبهم.

وأما صغار السن فطلبوا منه ألا يستجيب إليهم، وقد رضخ رحبعام إلى رأي الصغار فقال لشيوخ الأسباط العشرة: إن أبي كان يؤدبكم بالسياط أما أنا فسأؤدبكم بالعقارب، وأخذ يهددهم ويتوعدهم فرفضوا أن يبايعوه وبايعوا يربعام ملكًا عليهم، وقد أراد رحبعام أن يحاربهم ولكن أحد أنبياء بني إسرائيل نصحه بألا يفعل، فعاد رحبعام إلى أورشليم وتركهم وشأنهم.

وبهذا انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته إلى مملكتين:

١. مملكة جنوبية عاصمتها أورشليم وملكها هو رحبعام، وتسمى مملكة يهوذا.

٢. مملكة شمالية عاصمتها شكيم نابلس ومؤسسها يربعام، وتسمى مملكة إسرائيل.

وبوفاة سليمان يبدأ العصر الثالث والأخير وهو عصر الانقسام والزوال، وكان بنو إسرائيل في هذا العصر يعيشون نكبات متوالية لا تنقطع؛ إذ كانوا باستمرار ضحية الغزو الخارجي من قبل مصر أو آشور أو بابل أو الشعوب المجاورة لهم، كالكنعانيين والعمونيين، هذا إلى الاضطرابات الداخلية والانقلابات المتتابعة، فكان العصر عبارة عن دماء لا تنقطع، وحروب لا يخمد أوارها، ونكبات لا تتوقف لحظة وإذلال واضطهاد واستعباد، حتى جاء القرن الثامن قبل الميلاد فقضى الآشوريون على مملكة إسرائيل، وأزالوها تمامًا من الوجود، وبقيت مملكة يهوذا تحاول تأجيل مصيرها المحتوم، حتى قضى عليها البابليون في القرن السادس قبل الميلاد، وبدأ بذلك عهد جديد عهد التشرد والضياع.

سـقوط مملكـتي يهـوذا وإسـرائيل، وزوال دولـة بـني إسـرائيل

١. سقوط مملكتي يهوذا وإسرائيل:

في عام ٧٢١ قبل الميلاد قام شلمن أسر ملك أشور بغزو مملكة إسرائيل، وألقى القبض على ملكها هوشع بن أيله وهو آخر ملوكها، ونفاه مع جميع رجال دولته إلى أشور، وأصبحت هذه الأرض تابعة لأشور يحكمها وال يعينه ملكها.
وفي عام ٦٠٨ قبل الميلاد قام ملك مصر -على رأس جيش كبير- بغزو فلسطين والاستيلاء على مملكة يهوذا، ثم واصل زحفه شمالًا، فاستولى أيضًا على مملكة إسرائيل التي استولى عليها الآشوريون من قبل، وقد أغضب ذلك بختنصر ملك بابل، إذ إن أشور كانت قد أصبحت تحت سلطة البابليين.

وبالتالي أصبحت مملكة إسرائيل تابعة لهم، فقام بختنصر على رأس جيش كبير لمقابلة فرعون مصر، الذي هزم في هذه الحرب واسترد بختنصر مملكة إسرائيل، وواصل زحفه جنوبًا فاستولى على مملكة يهوذا أيضًا، وقتل آخر ملوكها صدقيا بن يواقيم، ودمر أورشليم كما دمر الهيكل المقدس، ونفى أهل المملكة إلى بابل، ما عدا حفنة من الزراع والصناع، وبهذا انتهت دولة بني إسرائيل نهائيًّا، وكان ذلك عام ٥٨٦ قبل الميلاد، ويسمى ذلك أيضًا الأسر البابلي.

٢. بنو إسرائيل بعد زوال دولتهم:

استمر ملك بني إسرائيل في أرض فلسطين حوالي خمسة قرون، منذ دخولهم الأرض المقدسة تحت قيادة يوشع بن نون إلى قتل آخر ملوكهم صدقيا بن يواقيم، على يد بختنصر ملك بابل، ويلاحظ أنه طوال هذه الفترة لم يتم استيلاؤهم على

جميع أرض فلسطين، إذ لم يكن لهم في يوم من الأيام أي ثغر على البحر المتوسط، فموانئ الشمال بقيت في يد الفينيقيين وموانئ الجنوب في يد الكنعانيين، كأنهم لم ينعموا بالاستقرار إلا خمسين عامًا فقط، هي فترة حكم داود والسنوات الأولى من حكم سليمان.

ومهما يقل في ملك بني إسرائيل بفلسطين، فإن خمسة قرون لا تعد شيئًا في تاريخ الدول والشعوب، ولا سيما إذا كانت هذه القرون مزدحمة بالحروب والنكبات المتواصلة، ودعوى بني إسرائيل أن لهم حقًّا تاريخيًّا في أرض فلسطين؛ بسبب أن دولة لهم قد قامت في هذه الأرض واستمرت خمسة قرون، هذه الدعوى يبطلها التاريخ نفسه؛ فقد فتح المسلمون فلسطين عام ٦٣٦ ميلادية، واستمروا يحكمون هذه الأرض حتى سنة ١٩٤٨ حيث قامت دولة إسرائيل، أي أن المسلمين حكموا هذه البلاد ثلاثة عشر قرنًا، فأي الفريقين أولى بأن يكون صاحب الحق التاريخي؟!! الفريق الذي قامت له دولة لمدة خمسة قرون فقط، أم الفريق الذي قامت له دولة ثلاثة عشر قرنًا؟!!.

(عقيدة اليهود في الوعد بالأرض (٣) عقيدة اليهود في الشعب المختار)

عناصر الدرس

الـرد علـى عقيـدة اليهـود في الوعـد بـالأرض

الوعد بالأرض: تلك هي العقيدة التي هي من أهم العقائد التي يعيشها اليهود، ويؤمنون بها إيمانًا جازمًا، ومعناها: أن الله ﷻ قد وعد بني إسرائيل بمساحة من الأرض لكي يقيموا عليها دولة لهم تجمعهم من التشرد والتشتت، ووضعوا في توراتهم كثيرًا من النصوص المحرفة التي تؤيد هذه العقيدة الباطلة، كما حاولوا أن يفهموا بعضَ نصوص أخرى فهمًا خاصًّا، يلوون عنقها حتى تنطق بما يعتقدون.

وفيما يلي أهم أدلتهم:

لكن قبل إيراد الأدلة نود بيان أن اليهود قد اختلفوا فيما بينهم اختلافًا بينًا حول عقيدة أرض الموعد، وبالتحديد حول حدود الأرض الموعودة، فذهب فريق منهم إلى أنّ الأرض الموعودة هي أرض كنعان فقط -أي: أرض فلسطين- وذهب فريق آخر إلى أن الأرض الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات، وتشمل مساحات كبيرة من فلسطين ولبنان وسوريا والأردن ومصر، حتى نهر النيل، والغريب أن كل فريق منهم يملك من نصوص كتابه المحرف ما يؤيد كلامَه.

وسوف نعرض أدلة فريق على حدة.

أولًا: أدلة القائلين بأنها أرض فلسطين:

استدلوا بمجموعة من النصوص التي وردت في التوراة، ومنها ما جاء في سفر التكوين من خطاب الله لإبراهيم: أنا الله القدير، أجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك تكثيرًا، وتكون أبًا لجمهور من الأمم، وأجعلك أممًا، وملوك منك

يخرجون، وأقيم عهدًا بينك وبين نسلك في أجيالك عهدًا أبديًّا؛ لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غُربتك، كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا. سفر التكوين الإصحاح ١٧.

ومنها أيضًا: وكلم الرب موسى قائلًا: أوص بني إسرائيل وقل لهم: إنكم داخلون إلى أرض كنعان، هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبًا، أرض كنعان بتخومها. سفر التثنية إصحاح ١١ عدد ٢٣، ٢٤.

ويلاحظ أن هذا النص يضيف تخوم أرض كنعان إلى أرض الميعاد.

ثانيًا: أدلة القائلين بأن أرض الميعاد من النيل إلى الفرات:

أيضًا يستدل هؤلاء بنصوص من التوراة المحرفة، ومنها ما جاء في سفر الملوك:

وكان سليمان متسلطًا على جميع الممالك من النهر الفرات إلى أرض فلسطين إلى تخوم مصر. سفر الملوك إصحاح ٤ عدد ٢١.

وما جاء في سفر أخبار الأيام: وكان لسليمان أربع آلاف نزوًا -خيلًا- ومركبات، واثنا عشر ألف فارس، وكان متسلطًا على الملوك من النهر إلى أرض فلسطين إلى تخوم مصر. سفر أخبار الأيام إصحاح ٩ عدد ٥.

ويلاحظ أن هذا النص هو بعينه النص السابق، مذكور في أكثر من سفر من أسفار التوراة، ومن هذه الأدلة أيضًا ما ورد في سفر التثنية:

يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوبًا أكبر وأعظم منكم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم. التثنية إصحاح ١١ عدد ٢٣.

ويحاول بعض الحاخامات أن يزيل التعارض والتناقض بين النصوص التي حددت أرض الميعاد فيقولون: إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط، تعد منحةً مخفضة من الله لبني إسرائيل، لكن هذا لا يعني أن هذه الأرض فقط هي حق إسرائيل، فحقهم في الأرض هو أوسع من ذلك بكثير، فالله قد وعد اليهود وعدًا مشروطًا، ووعود الله المشروطة لا تلغى أبدًا، بل يحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل.

وهنا يرسم لنا هذا الحاخام صورة لتلك الحدود القصوى، التي تتعدى ما يسميه بالمنحة المخفضة لإسرائيل الكبرى، وهي التي يطلق عليها المنحة المشروطة فيقول: لقد جاء في سفر التثنية ما نصه: لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي أنا أوصيتكم بها؛ لتعملوها لتحبوا الرب إلهكم، وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به، فلو استوفت إسرائيل شروط الرب وحفظت وصاياه وعملت بها؛ لسارع الرب إلهها إلى تقديم المكافأة على صورة المنحة المشروطة.

ومهما حاول هذا الحاخام أن يزيد التعارض والتناقض بين النصوص، فإن محاولته سوف تذهب هباء، فنصوص الفريق الأول صريحة في أن الأرض الموعودة هي أرض فلسطين فقط، ونصوص الفريق الثاني أشد صراحة في أن الأرض من النيل إلى الفرات.

وكما اختلفت اليهود حول حدود أرض الميعاد، اختلفوا أيضًا حول موعد تحقيق هذا الوعد، وحول الشخص الذي سيحقق لهم هذا الوعد، ولكن الإجماع عندهم على أنّ هذا الوعد سوف يتمّ على يد شخص يسمى المسيح المنتظر، وأن هذا المسيح سوف يَخرج من بيت داود، ويجمع شمل اليهود ويعود بهم إلى أورشليم.

وحينما ظهر عيسى عليه السلام وهو من بيت داود، ظن اليهود أنه هو المخلص، فالتفوا حوله، ولكنهم وجدوه يكشف عن خداعهم وكذبهم وتحريفهم لكتابهم، ولم يحقق لهم ما أرادوا من الملك المادي المنتظر، ولذلك تآمروا عليه وحاولوا قتله، لولا أن نجاه الله من كيدهم، ثم راحوا ينتظرون مسيحًا آخر يحقق لهم أحلامهم.

ولكن متى يأتي هذا المسيح؟ هنا يجيب التلمود: إنه سيظهر عندما تطرح الأرض فطيرًا وملابس من الصوف، وقمحًا كبيرًا حجم الحبة منه في مثل حجم كلاوي الثيران الكبيرة.

وسوف نحاول فيما يأتي أن نناقش هذه العقيدة الباطلة.

المناقشة: وكما تعودنا مع اليهود، أن ما يريدونه وما تطمح إليه آمالهم، يجعلونه عقيدة مقدسة، ويضعون له النصوص التي تؤيده وتضفي عليه طابع القداسة، وبذلك يظن اليهود أنهم يحصلون على ما يريدون، وفي نفس الوقت يحققون الرغبة الإلهية.

وعلى أي حال، فإن مناقشتنا لهذه العقيدة تنحصر في النقاط التالية:

أولًا: أن أدلة هذه العقيدة محرفة وموضوعة بأيدي اليهود أنفسهم، والدليل على ذلك هذا التناقض الذي لاحظناه بين النصوص، فهناك نصوص حددت الأرض الموعودة بفلسطين، وهناك نصوص أخرى ضاعفت هذه الأرض أضعافًا مضاعفة، فوصلت بها إلى كل أرض لمستها أقدام اليهود، وخصوصًا شبه جزيرة سَيْناء، بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها على موسى، والوجه البحري من مصر حتى نهر النيل، بزعم أن بني إسرائيل عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة، وأن موسى نشأ بمصر، ويبالغ بعضهم فيضيف إلى الأرض الموعودة

أجزاء من سوريا والعراق، بحجة أن هذه الأجزاء كانت تقع تحت حدود مملكة داود وسليمان، وأن إبراهيم عليه السلام كان يقيم بأرض العراق. فهل من الممكن أن تكون هذه نصوصًا سماوية مقدسة وبينها هذا التعارض والتناقض؟

إن مَن عنده ذرة من عقل لا يمكن أن يقول: إن ما ذكر في التوراة بخصوص أرض الميعاد نصوص سماوية؛ لأن الله لا يتناقض مع نفسه ولا يكذب نفسه، وإنما هذا هو شأن الفكر البشري، ولعل كتاب التوراة نسوا ما كتبوه في سفر فكتبوا ما يناقضه في سفر آخر، خصوصًا وقد عرفنا فيما سبق مدى التحريف والتزييف الذي لحق بالتوراة.

وإذا كان اليهود يدّعون ملكيتهم لفلسطين وشبه جزيرة سيناء، بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها، فإن الأمر كذلك بالنسبة إلى المسلمين، ففلسطين تمثل مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه، بل بالنسبة للتاريخ المسيحي أيضًا، ففيها ولد وبعث عيسى عليه السلام وهذا ما قاله أحد الوزراء اليهود الذين عارضوا قيام دولة إسرائيل في فلسطين: إنني أنكر أن لليهود اليوم علاقة بفلسطين، أو أنها مكان صالح لهم كي يعيشوا فيه، إن الوصايا العشر قد أعطيت لليهود في أرض سيناء، وصحيح أن فلسطين تلعب دورًا كبيرًا في التاريخ اليهودي، ولكن الأمر كذلك أيضًا بالنسبة للتاريخ الإسلامي، كما أنها أصبحت بعد عهد اليهود تلعب دورًا أكبر من أي بلد آخر في التاريخ المسيحي، لعلّ المعبد كان موجودًا في فلسطين، ولكن موعظة السيد المسيح لتلاميذه على الجبل حدَثت في فلسطين أيضًا.

ومعنى هذا النص: أنه إذا أصر أحد الصهاينة على أن فلسطين من حقهم؛ لأنها أرض ميعادهم، فإن هذا يعتبر حقًّا للمسلمين وحقًّا للنصارى على حد سواء، بل إن حق النصارى أقوى من حق اليهود؛ لأن عيسى عليه السلام ولد ونشأ في

فلسطين، بينما ولد موسى ونشأ في مصر، وبناءً عليه يكون حق المسلمين أقوى من حق النصارى واليهود معًا ؛ لأن المسلمين قد فتحوها وأصبحت بلدًا إسلاميًّا فترة طويلة من الزمان.

ثانيًا: لو سلّمنا جدلًا بصحة النصوص التي استدلّ بها اليهود، فإنها لا تعطيهم مدعاهم في أحقيتهم بهذه الأرض، ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم.

فمَن هم نسل إبراهيم؟

المعروف أن إبراهيم أنجب إسماعيل ثم إسحاق، وإسماعيل هو جد العرب، وإسحاق هو جد بني إسرائيل، ومن هنا يكون لبني إسماعيل نفس الحق في أن يرثوا هذه الأرض، مثلُهم في ذلك مثل أبناء إسحاق ويعقوب، ولكن مَن الأحق منهم بوراثة الأرض؟

لقد بينت التوراة أن الوعد بهذه الأرض إنما يكون لقوم مؤمنين محافظين على وصايا الله، وتعاليمه. كما بيّنَ القرآن الكريم أن الأرض لا يرثها في النهاية إلا المتقون من عباد الله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

إذًا فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين والمتقين، وأما المنحرفون عن عبادته والكافرين بشريعة إبراهيم عليه السلام فلا يستحقون وراثة هذه الأرض، ولا يستحقون رحمة الله، وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وهذا ما تحقق بالفعل حين آمن بنو إسرائيل، واتقوا اللهَ، أورثهم الأرض: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ولكن حين انحرف اليهود عن وحي السماء، وحرّفوا كتبهم، انتزع الله منهم هذه الأرض، وشرّدهم وأعطاها لمن يستحقها من الأمم الملتزمة بعبادة الله وتوحيده، التي لم تنحرف عن ملة إبراهيم، وهي الأمة الإسلامية، فمن نسل إبراهيم عليه السلام جاء إسماعيل جد العرب، الذين حملوا لواء التوحيد والالتزام بملة إبراهيم، ففتحوا أرض الرومان، واستعادوا فلسطين وما حولها، محققين بذلك وعد الله لإبراهيم أن يجعل هذه الأرض لنسله من نهر مصر إلى نهر الفرات، وهذا ما يتمشى مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

ومن هنا استحق العرب أبناء إسماعيل أرض فلسطين لأسباب كثيرة؛ منها:

١. أنهم هم الذين اتبعوا ملة إبراهيم وساروا على منهجه.

٢. أنهم أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل.

٣. أنهم أول من دخل هذه الأرض وعمروها قبل أن يراها بنو إسرائيل.

٤. أنهم هم الذين أقاموا فيها طيلة حياتهم ولم يفارقوها، بينما كان اليهود على النقيض من ذلك كله.

ولكن اليهود يدّعون أن وعد الله لإبراهيم كان خاصًّا ببني إسحاق ويعقوب دون بني إسماعيل، ويستشهدون على ذلك بنص وضعوه في التوراة بأيديهم يقول: ساراي امرأتك لا تسمها ساراي، بل سمها سارة، وأنا أباركها وأعطيك منها ابنًا، ويكون منها أمم وملوك، وسقط إبراهيم على الأرض وضحك، ثم قال الرب: لو أنّ إسماعيل يحيا بين يدي، فقال الله: بل سارة ستلد لك ابنًا وتسميه إسحاق، وأقيم عهدًا معه مؤبدًا لنسله من بعده، وأمّا إسماعيل، فقد سمعت قولك فيه، وها أنا أباركه وأنميه وأكثره جدًا، ويلد اثني عشر رئيسًا، وأجعل لأمة عظيمة، غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي ستلده سارة. سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر.

وإذا أمعنا النظر في هذا النص نلاحظ مغالطات كثيرة؛ منها:

١. أن عدالة الله تأبَى أن يخص الخير بواحد من ولدَيْ إبراهيم دون الآخر، طالما أن هذا الآخر لم يأت بما يستوجب حرمانه من هذا الحق، وفي قول الله عن إسماعيل: أباركه وأنميه إلى آخر النص -حسب زعمهم- دليل على رضا الله عن إسماعيل وذريته، وبالتالي فليس هناك ما يدعو لحرمانه من حقوق له فيها نصيب مع إسحاق، وإلا كان هذا دافعًا لإثارة الحقد والكراهية بينهما، وحاشا لله أن يفعل ذلك.

٢. إذا رجعنا إلى النصوص التي استشهد بها اليهود على عقيدة أرض الميعاد، نجد أن الله كان يحدد ابنًا واحدًا من أبناء إبراهيم؛ لكي يكون هو الأحق بهذه الأرض، وإنما كان الوعد مطلقًا لنسل إبراهيم، وهذا ما أكده نص آخر ورد في

الإنجيل، يقول: وظهر إله المجد لأبينا إبراهيم، وقال له: اخرج من أرضك وعشيرتك، وهلمّ إلى الأرض التي أريك، فخرج إبراهيم من أرض الكلدانيين وسكن حوران، ومن هنا نقله إلى الأرض التي أنتم ساكنون فيها، ولم يعطه فيها ميراثًا ولا وطأة قدم، ولكن وعده الله أن يعطيها له ولنسله من بعده. أعمال الرسل الإصحاح السابع.

ولا أدري بعد هذا كيف يحدد اليهود الوعد بإسحاق دون إسماعيل؟ ولكنهم اليهود الذين دأبوا على تزييف التاريخ ونسبة الفضل إلى آبائهم وأجدادهم، ومحاولة تلويث كل من سواهم، وهاهم الآن يحاولون تزييف النصوص من أجل إثبات عقيدة لا أساس لها من الصحة.

ثالثًا: وأما عن كلامهم في علامة تحقق الوعد، فهو من السذاجة بمكان، ولكنه يدل على الطابع المادي لليهود، وما كانوا يشعرون به آنذاك من الجوع والفقر والحرمان والتشتت، فصور لهم خيالهم أنه سوف يأتي لهم المسيح أو المخلِّص، الذي سيخلصهم مما هم فيه من الجوع والحرمان والتشرد، ويقيم لهم دولةً وملكًا، وأن الأرض سوف تطرح فطيرًا وملابسَ وقَمْحًا كبيرًا، ألا ما أصدق هذا المثل الشعبي -وليعذرني القارئ أو السامع- الذي يقول: الجائع يحلم بسوق العيش.

وهكذا كان اليهود يحلمون بالمخلص الذي سيأتي لهم في ظروفٍ يعم فيها الخير والرجاء، وكل هذا رد فعل للظروف التي كانوا يعيشون فيها، ولعل أكبر دليل على بطلان كلام التلمود، هو أن الأرض حتى الآن لم تطرح الفطير المنتظر، ولم تطرح الملابس الصوفية، نعم لم يحدث شيء من ذلك، ومن هنا نجد أن بعض اليهود قد تناسوا ما جاء في تلمودهم، وللأسف إنهم على استعداد دائمًا

لأن يتناسوا كل ما لا يتفق مع آمالهم، أو يتعارض مع أطماعهم، لذلك رأينا بعض اليهود ينكرون فكرة المسيح المنتظر، ويدعون الصهاينة إلى الإسراع بالاستيلاء على فلسطين، وإقامة دولتهم هناك، دون أن يأتي المسيح المنتظر، ودون أن تظهر علاماته، بل إنهم عمدوا إلى كتابهم فحذفوا ما جاء فيه عن المسيح المنتظر.

ولعلّ الصهاينة وجدوا في هرتزل أو ابن جوريون أو وايزمان أو ديان أو بيجين المسيح المنتظر الذي سيحقق الوعد القديم.

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة أرض الميعاد هي مسألة سياسية قبل كل شيء، ولكن حاول اليهود أن يضفوا عليها طابعًا دينيًّا، حتى تأخذ محلها من نفوس الشعب اليهودي فيحاول تحقيقها، ولعل المسلمين يفطنون إلى أن اليهود يحاربوننا في فلسطين حربًا دينيةً وسياسيةً معًا، وأنهم برغم بطلان عقيدتهم الدينية والسياسية متمسكون بها، ويعيشون من أجلها، ولا تستطيع أي قوة في الأرض أن تزحزحهم عنها، اللهم إلّا إذا أعدَّ المسلمون أنفسهم الإعداد اللازم دينيًّا وعقديًّا أولًا، ثم عسكريًّا وحربيًّا ثانيًا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هنا يتحقق وعد الله المتجدد: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ

﴿أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٨] وسواء كانت مرات الإفساد تمت في القديم أو لم تتم، فإن وعيد الله قائم ومتجدد: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

وأذكّر أنّ الصهاينة استلهموا عملهم من شعارات رفعوها وروجوها، وأكاذيب سطرتها أيادي التحريف في الكتاب الذي يقولون عنه إنه مقدس، فروجوا مقولة: إن فلسطين أرض بلا شعب، فرفعوا شعار: أرض بلا شعب، وشعب بلا أرض، وتأكيدًا لهذه الأسطورة فقد دمروا القرى العربية وهدموا منازلهم، وطاردوا سكانها، ثم عملوا على زرعها بالمستعمرات اليهودية المسلحة، وقد أورد أحد مؤرخيهم قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمِّرت بالبلدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت موجودة سنة ١٩٤٨، ولا تزال هذه السياسة قائمة حتى اليوم، يشهد لها ما يحدث الآن في سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ٢٠٠٩، من مذابح وهدم مدن بأكملها مثل نابلس وجنين وطولكرم ورام الله، وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية، ولا ننسى الأحداث الأخيرة التي اعتدوا فيها على غزة.

نسأل الله ﷻ لليهود الخذلان والهزيمة حتى لا تقوم لهم قائمة.

وحتى بعد قيام دولتهم سنة ١٩٤٨ لم تتوقف مذابحهم ولا جرائمهم، فلم يكن إعلان الدولة هو نهاية المطاف بالنسبة لهم، بل اعتبروها مرحلة كما هو مخطط لها من قبل، ثم تلتها مراحل أخرى تحولت معها الأحلام الصهيونية إلى واقع ملموس، وكان من ضمن هذه المراحل: العمل على تثبيت وجودها في وسط البيئة المعادية لها، وذلك بالأخذ بأسباب القوة العسكرية والاقتصادية، والعمل على زيادة عدد اليهود النازحين إلى فلسطين بقلب التركيبة السكانية، وقد عبر ابن جوريون عن هذه السياسة بقوله أمام فريق من الصهاينة الأمريكيين في

أغسطس ١٩٤٩ : على الرغم من تحقيق حلم تأسيس دولة يهودية، فإننا لا نزال في البداية، إن عدد اليهود الذين يقطنون إسرائيل هو تسعمائة ألف فقط، بينما يقيم معظم اليهود في الخارج، إن مهمتنا التالية لن تكون أسهل من خلق الدولة اليهودية، وهذه المهمة هي استقدام جميع اليهود إلى إسرائيل.

ويستند قادة الصهيونية في تحقيق أطماعها إلى بعض النصوص التوراتية، فقد جاء في سفر التكوين ١٥/ ١٨-١٩ : سأعطي لك هذه الأرض وادي العريش، إلى النهر الكبير نهر الفرات. وما جاء في سفر التثنية ١١/ ٢٤، وكذلك ١، ٦، ٨، ٣، ٢٥ والكلام فيه موجّه إلى نبي الله موسى عليه السلام: كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر المغربي يكون تخمكم. وهذا يعني أن سياسة التوسع الإسرائيلية لبناء إسرائيل الكبرى لا يرجع إلى ما يقتضي سياسة إسرائيل أن له مردودًا دينيًّا يضرب بجذوره في العقيدة التوراتية.

والأدهى من ذلك الطريقة التي تتم بها آلية التنفيذ؛ حيث يتم تحقيق ذلك عن طريق العنف والإرهاب، ويمثل ذلك عقيدة وسياسة ووسيلة، ويتحقق هذا على نحو صريح في المذابح الجماعية، التي قام بها أفراد أو جماعات أو عصابات، أو تقوم بها الدولة نفسها، كما حدث على أيدي حكومة إريل شارون، ومن قبله حكومة يهود باراك، ومن أمثلة تلك المذابح الجماعية في دير ياسين ١٩٤٨، وغزة واللد وكفر قاسم ١٩٥٦، وفي بحر البقر، وفي صبرا وشاتيلا ١٩٨٢، وفي الخليل ١٩٩٤، وقتل المصلين في المسجد الأقصى ١٩٩٥، والمدنيين العزل في قانا بلبنان ٩٦، إلى آخره.

إن الذي دفع الصهيونية إلى انتهاج هذه العدوانية الصارخة، هي تلك النصوص المزورة التي أضيفت للتوراة بأيدي اليهود، ثم قدسوها، لقد ورد في سفر التثنية الوصايا الآتية:

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عمل معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًّا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا الحثيين والأموريين الكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. وهذا الكلام موجود في سفر التثنية ٢٠/ ١٠ : ١٨.

وقد طبّق يشوع ذلك على بعض المدن التي دخلها، فأحرقها بالنار وقتل جميع من فيها. سفر يشوع الإصحاح ٣٦، وانظر مزامير داود المزمور ١٤٩، وسفر حزقيال الإصحاح ٩، ١١.

ويصل الموقف اليهودي إلى أقصى درجات العنف والصلف والإرهاب في تصريحات مائير كاهنا وحركته كاخ، المعروفة بعدائها الشديد للعرب، فقد قال ذات مرة عام ١٩٨٩: أعطوني السلطة لكي أتعامل مع العرب مرةً وإلى الأبد. وقال مرة أخرى: العرب سرطان سِري وسطنا، ولكن لا يوجد رجل واحد مستعد لأن يقف ويقولها، إنني أقول لكم ما يفكر فيه كل منكم في أعماق قلبه، ليس هناك سوى حلّ واحد، أيها العرب اخرجوا، ولا تسألوني كيف، دعوني أكون وزيرًا للدفاع شهرين ولن تجدوا صرصارًا واحدًا هنا، إنني أعدكم بأرض إسرائيل نظيفة.

ونقول لمائير كاهنا: لقد قام كل من نتنياهو وباراك وشارون بالدور وزيادة، ونفذوا ما حلمتَ به، فالإبادة والهدم والاعتقالات مستمرة، وطاحونة الآلة العسكرية تلتهم كل يوم جزءًا من فلسطين.

عقيدة اليهود في الشعب المختار

عقيدة اليهود في الشعب المختار أو الشعب المختار كما يتصوره اليهود، وهي عقيدة التمييز العنصري:

يعتقد اليهود أنهم من جنس مميز على سائر الأجناس، وأنهم من عنصر ممتاز يختلف تمامًا عن كل عناصر بني البشر، الذين يطلق عليهم اسم جويم، ومعناه: البهائم أو الشعوب غير اليهودية أو الشعوب الأجنبية الكافرة، وبتعبير الشاعر البريطاني "كبلد": سلالات دنيا لا شريعة لها، ويدعي اليهود أن أرواحهم من روح الله وعنصرهم من عنصره، ومن هنا كانوا أبناءه الأطهار الذين اصطفاهم واختارهم فوق سائر البشر، فهم شعب الله المختار، بينما غيرهم من الجويم أصحاب أرواح حيوانية أو شيطانية، ولكن الله خلقهم على صورة الإنسان لكي يتمكنوا من خدمة اليهود، واليهود لا يؤمنون أنهم بشر كسائر خلق الله، وإنما يعتقدون أنهم أصحاب ميزات جنسية وعقلية وحضارية لم تتوفر لسائر بني البشر من الأمميين أو الجويم، وإلى هذا يشير البروتوكول الخامس عشر بقوله:

وعقل الأممي لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة، غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظاته، فضلًا عن التكهن لما قد يؤدي إليه، وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا

ذو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية، حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأميين، إنهم يعاينون الحقائق فحسب، ولكن لا يتنبأون بها وهم عاجزون عن ابتكار أي شيء.

وهكذا أوحى إليهم شيطانهم بهذه الفوارق الذهنية والفكرية بينهم وبين سائر الناس، بناءً على أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر، ولكي يؤكد اليهود هذه العقيدة الباطلة عَمَدوا إلى تاريخ بني آدم يشوهونه ويلوثونه، ثم يبرئون أنفسهم من العيوب والنقائص، ويبدءون التاريخ من آدم، فيقولون: إن أحد أبناء آدم كان ضالًّا، وكان الآخر مهتديًا، ومن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل، ثم يصل التاريخ إلى نوح، فيدّعون أن الله رضي عن ابنه سام، وغضب على حام وأبنائه، وهم تناسلوا من سام، ونصل إلى إبراهيم، فنجد أن اليهود يدعون أن إسماعيل قد حُرِم من البركة وحقت عليه اللعنة، بينما يحصل إسحاق على البركة والرضا من الله، ومن إسحاق يأتي يعقوب وعيسو، ولكن يعقوب يحصل على البركة، وهم يتناسلون من يعقوب، وهكذا فهم جنس مبارك منذ بدء الخلق كما يدّعون.

أدلة اليهود على عقيدتهم:

استدل اليهود على هذه العقيدة الباطلة بمجموعة من الأدلة، أخذوها من توراتهم المحرّفة، ومن تلمودهم الموضوع أساسًا بيد أحبارهم وحاخاماتهم. ومن هذه الأدلة:

١. ما ورد في التوراة:

إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار إلهك لتكون له شعبًا أخص عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثرَ من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم. سفر التثنية.

وجاء في التوراة أيضًا: أنا الرب إلهكم، الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسيين؛ لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي. سفر اللاويين.

٢. ما ورد في التلمود:

إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله، فإذا ضرب أمي إسرائيليًّا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهودي، والشعب المختار هم اليهود فقط.

٣. ومن أدلتهم على هذه العقيدة أيضًا:

أنّ كل اليهود في أنحاء الأرض جاءوا عن نسل رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام فشعب الله المختار ينحدر كله من الأسباط الاثني عشر، أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ويعقوب هذا أخذ البركة من الله نفسه؛ لأنه قاتله، وكان قويًّا معه، فأعطاه الله البركة هو وأولاده، ومعنى ذلك أن نسل يعقوب ظل نقيًّا خالصًا من كل اختلاط بدم آخر على مر السنين، مقاتلة يعقوب لله وردت في سفر التكوين.

نتائج هذه العقيدة الباطلة:

رتّب اليهود على هذه العقيدة الباطلة كثيرًا من النتائج الأشد بطلانًا، فقد وضعوا قوانينهم ونظمهم ومعاملاتهم على أساس هذه العقيدة، ففرّقوا بينهم وبين سائر البشر في الأمور السياسية والاجتماعية، ومن ذلك:

١. أن الإسرائيليين محرَّم عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا، أو يُخرِج بعضهم بعضًا من ديارهم، على حين أنه مباح للإسرائيليين، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وقتلها وسلب أموالها.

٢. إباحة الربا مع غير الإسرائيليين، وتحريمه فيما بينهم.

٣. إباحة الزنا بالمرأة غير اليهودية، وتحريمه مع اليهودية.

وهذه نماذج بسيطة من النتائج التي رتّبها اليهود على عقيدة التمييز العنصري، وقد أوجزها القرآن الكريم فقال على لسانهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

مناقشة عقيدة التمييز العنصري:

يكفينا في دحض هذه العقيدة أن توجد في كتاب محرّف هو التوراة، فمجرد وجودها في التوراة دليل على بطلانها، وقد أثبتنا فيما مضى مدى التحريف الذي لحق بالتوراة، بل إن هذه العقيدة الباطلة هي من أقوى الأدلة على تحريف التوراة، ودسها بالمشاعر التي كان يشعر بها اليهود أثناء التشرُّد والاضطهاد الذي حل بهم، ذلك بأن الله ﷻ ليس قريبًا لأحد، ولا يحابي أحدًا على حساب أحد، فالكل أمامه سواء، ولكن اليهود بهذه الادعاءات الباطلة يحاولون الطعن

في عدالة الله؛ حيث يميز جنسًا على جنس، وليته هو الجنس المطيع لله الملتزم بأوامره، بل الجنس المعاند المكابر الذي كفر بالله وبكتبه ورسله، وقطع كل صلة له بوحي السماء؛ حيث كذّب رسل الله وقتلهم وحرف رسالتهم، فلو كان اليهود هم الجنس التقي المؤمن لكان لهم مندوحة في ذلك، أما وحالهم هو هذا الحال، فلا يمكن قبول هذه الدعوى الباطلة لا عقلًا ولا نقلًا؛ لأن الله لا يفضل أحدًا على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال رسول الله ﷺ: ((لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، إلا بالتقوى والعمل الصالح)).

ومن هنا فالله لا يفضل الإنسان على أساس جنسه أو لونه، وإنما على أساس عمله وطاعته وتقواه، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وأما مقالتهم أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر، أو أنهم جزء من الله، فهي خرافة لا أساس لها من الصحة، فالكل من آدم وآدم من تراب: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥] فليس لأحد فضل بالعنصر لأنه واحد، ولا باللون لأن اختلاف الألسنة والألوان لا يخضع لاختيار الإنسان، وإنما هو مظهر من مظاهر قدرة الله وآية من آياته: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

القرآن ومدح بني إسرائيل:

ولكن ما موقفنا من آيات القرآن الكريم التي مدحت بني إسرائيل، وأشارت إلى تفضيلهم، ومنها قول الله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى

﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] وهكذا وصفهم القرآن بالتفضيل على العالمين، ولكن ليس وصفًا مطلقًا، وإنما في حالة إيمانهم وتمسكهم بوحي السماء في وسط كان الناس فيه يعبدون غير الله، فقد نشأ موسى في مصر الوثنية، التي كانت تعبد فرعون من دون الله، وكذلك كان الكفر والإلحاد يموج بالشام وبشبه الجزيرة العربية، ففضّل الله بني إسرائيل على عالمي زمانهم؛ حيث أرسل فيهم رسلًا يبينون لهم طريق الحق.

وهكذا كان تفضيل الله لهم؛ لأنهم آمنوا حينًا ببعض الأنبياء، وعرفوا نور التوحيد في الوقت الذي كانت فيه معظم الشعوب معرضةً عن عبادة الله، فلم يكن اختيار الله لهم بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو اللون، أو غير ذلك من أباطيلهم، وإنما كان تكليفًا لبني إسرائيل واختبارًا وابتلاءً لهم أيشكرون أم يكفرون؟ ولهذا قرَن القرآن الكريم بين آيات الاختيار والاختبار معًا، فقال: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٢، ٣٣] والبلاء الاختبار، والله يختبر عباده بالنعم كما يختبرهم بالنقم، ولكن اليهود سقطوا في امتحانهم، فلم يشكروا نعمة اختيار الله لهم، وإنما انحرفوا عن منهج الله، وحرفوا كتبه، وكذبوا رسله، وهنا غضب الله عليهم ولعنهم، وعدّد كفرهم ومساوئهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

[المائدة: ٧٨، ٧٩]

كما يناقشهم القرآن في دعواهم مناقشة منطقية فيقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦، ٧].

فاليهود يدّعون أن الله قد أفردهم بولايته وحبه واختياره، ولكن القرآن يصف كلامهم بأنه مجرد زعم باطل، ومع ذلك يطلب منهم أن يتمنوا الموت لكي يسارعوا إلى لقاء الله الذي يحبهم إن كانوا صادقين، ولكن القرآن يعقب في صراحة ووضوح، بأن واحدًا منهم لن يتمنى الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم.

وفي آيات أخرى يصفهم القرآن بأنهم أحرصُ الناس جميعًا على الحياة والبعد عن لقاء الله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] وهكذا فاليهود أحرص على الحياة من المشرك، الذي لا يؤمن بحياة وراء دنياه، ويخشى لقاء الله الذي يدعي أنه يحبه، وأنه اختاره على سائر البشر.

(تابع: عقيدة اليهود في الشعب المختار - علاقة اليهود بالأمم الأخرى)

عناصر الدرس

رد دعوى اليهود: بأنهم من أصل واحد، وأنهم حافظوا على جنسهم

مناقشة اليهود في اعتقادهم: ليسوا هم وحدهم أبناء إبراهيم.

وأما دليلهم الذي يدعون فيه أنهم من أصل واحد هو إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الله، وأنهم حافظوا على جنسهم من الاختلاط والذوبان في الأجناس الأخرى، فيمكن مناقشته بما يأتي:

أولًا: ليس اليهود وحدهم أبناء إبراهيم، فإننا نحن العرب أبناء إسماعيل من إبراهيم أيضًا، وإذا كان أبناء يعقوب بن إبراهيم شعبًا مختارًا، فإن أبناء إسماعيل يكونون أيضًا كذلك، فما الذي ميز أبناء يعقوب على أبناء إسماعيل، مع أن التاريخ أثبت ما لإسماعيل من الفضل؛ حيث امتحنه الله واختبره في أن يقدم روحه فداء لله فأطاع أباه، وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ثانيًا: لو سلّمنا جدلًا أنهم وحدهم أبناء إبراهيم، وهم الذين أخذوا البركة دون أبناء إسماعيل من العرب، فإننا نسألهم: ما هو مفهوم البنوة؟ هل البنوة هي أن يرتكسوا في أعماق الخطيئة ويهدموا ما جاء به إبراهيم من أساسه، ثم يدّعون أنهم هم الشعب المختار؛ لأنهم أبناء إبراهيم، أم أن بنوتهم لإبراهيم تستلزم أن يكونوا على عهده ووعده، وأن يلتزموا بما جاء به؟

ولهذا خاطبهم عيسى عليه السلام في الإنجيل بقوله: يا أولاد الأفاعي، أراكم تهربون من الغضب الآتي، فاصنعوا ثمارًا تليق بالتوبة، ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا؛ لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم.

هنا أراهم أن بنوتهم لإبراهيم بالجسد لا تفيدهم شيئًا ما لم يتوبوا ويصنعوا ثمارًا تليق بالتوبة.

وحينما احتجوا على عيسى بأنهم أبناء إبراهيم، قال لهم عيسى عليه السلام: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تريدون أن تقتلوني، أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا.

وبذلك ينفي عيسى عليه السلام أنهم أبناء إبراهيم ما داموا لا يعملون أعمال إبراهيم، وعليه فهم ليسو أولاد إبراهيم ما داموا يعملون أعمال إبليس. إذًا هناك نوعان من البنوة لإبراهيم؛ بنوة جسدية وبنوة روحية، أما البنوة الجسدية فلا تفيد شيئًا؛ لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم، وأما البنوة الروحية فهي بنوة الإيمان به والسير على تعاليمه.

ولا شك أنّ اليهود قد قطعوا كل صلة روحية بينهم وبين إبراهيم عليه السلام كما أن البنوة الجسدية يشترك فيها أبناء إسماعيل مع أبناء يعقوب دونما تميز، وقد دحض القرآن هذه الفرية فقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فالمسألة ليست مسألة نسب ولا قرابة لإبراهيم، إنما هي مسألة أعمال وإيمان والتزام، والأمة التي تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تكون هي خير أمة، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٥].

ومن هذه الآيات الكريمة نفهم أنّ الإيمان بالله والعمل الصالح هما المعيار الذي تُقاس به أقدار الأمم، ومن هنا كانت الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس، ولكن هذه الخيرة لم تكن لأنهم أبناء إبراهيم أو إسماعيل، أو أن الله حباهم دون غيرهم، وإنما بأعمالهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وكانت منزلة الأمة الإسلامية بالنسبة إلى غيرها كما يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨] فالاجتباء بمعنى: الاصطفاء والاختيار، إنما كان من الله للأمة الإسلامية، بما آمنت بالله والتزمت بتعاليمه، وجاهدت في الله حق جهاده، ولكنها حين تترك وظيفتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، لا تستحق الأفضلية، ولا الاختيار من الله ﷻ بل يسلط عليها أضعف الأمم وأخسها؛ حتى يتوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى مكانتهم.

والخلاصة: أن اليهود لا يمكن أن يكونوا الشعب المختار؛ لأن أعمالهم لا تتفق إطلاقًا مع اختيار الله لهم، وإنما الأمة المختارة المصطفاة هي الأمة الإسلامية على شرط حسن صلتها بالمولى ﷻ.

ثالثًا: أنّ هذه الفكرة العنصرية -فكرة المحافظة على الجنس اليهودي على مر السنين- فكرة خيالية مستحيلة التحقيق، وإلا فأين هذا الجنس النقي المميز الذي تسلسل من إبراهيم إلى يهود اليوم؟ هل احتفظوا بنقاوتهم وامتيازهم المزعوم، أم اختلطوا بسائر الأجناس، وزوجوهم وتزوجوا منهم؟ هذا ما أثبته علم

الإنثروبولوجيا، والحق أن موقف اليهود أصحاب نظرية النقاوة، ليس موقفًا غير علمي فحسب، ولكنه أيضًا انتهازي ومغرض، ويكفي للتدليل على هذا أنّ اليهود أثناء الاضطهاد النازي كانوا يدعون أنهم من الأصل الآري لا السامي.

أمّا الآن وبعض اغتصاب فلسطين فكل دعواهم أنهم ساميون لحمًا ودمًا، وإذا كان اليهود من جنس ممتاز، فما هو موقف الأجناس الأخرى التي دخلت في اليهودية، خصوصًا وقد شاهدنا في التاريخ تحوّلات بالجملة إلى اليهودية، منها حالة مملكة الخزر والفلاشا، والتحوّلات الفردية لا حصر لها؛ لأن الدين اليهودي لم يقتصر انتشاره على بني إسرائيل وحدهم، ولكنه انتشر أيضًا بين سكان فلسطين، سواء كانوا من العرب الكنعانيين، أم من الفلسطينيين، أم من الفينيقيين، أم من الآراميين، ومعنى ذلك أن الإسرائيليين اختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى، وأن غير الإسرائيليين اعتنقوا الديانة اليهودية، ومن هنا فليس من السهل العثور على إسرائيلي حقيقي لحمًا ودمًا، يقول السيد وليم غايكار: نحن نطلق اليوم اسم اليهودي بشكل عام على كل شخص اعتنق يومًا الدين اليهودي، والواقع هو أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي، ذلك أن عددًا ضخمًا من الذين اتخذوا اليهودية دينًا لهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الإيدوميين، ذوي الدم التركي المنغولي.

ويضاف إلى ذلك أنه حينما ظهرت الدعوة المسيحية في القرن الأول الميلادي، اعتنقها كثير من اليهود، ومعنى ذلك أن بعض النصارى يرجعون في نسبهم إلى أصل إسرائيلي، بينما يوصف النصارى كلهم بأنهم جويم، وهذا تناقض، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإسلام، ففي القرن السابع الميلادي انتشر الإسلام في فلسطين حين فتحها المسلمون، وأرسل خالد بن الوليد رسالته المشهورة إلى

الروم: "إن الله أنعم بهذه الأرض على إبراهيم وبنيه، ونحن من ولد إبراهيم". ومن الطبيعي أن يكون كثير من اليهود قد اعتنقوا الإسلام، ومن هنا يكون بعض المسلمين من أصل إسرائيلي، بينما يصفهم اليهود بالجويم أي: الأميين أو الأجناس التي لم ترقَ بعد إلى درجة الإنسانية.

وبعد هذا نسأل اليهود: ما هو موقفُ اليهود الذين اعتنقوا أديانًا أخرى؟ وما موقف الأجناس الأخرى من غير اليهود الذين اعتنقوا اليهودية؟ هل يكونون من الجويم أيضًا؛ لأنهم ليسو من أبناء يعقوب، أم يكونون من الشعب المختار؟

الحق أن هذه العقيدة لا أساس لها من العقل أو النقل، وإنما هي اختراع محض من فكر اليهود ومن ظروفهم الخاصة، التي مروا بها في تاريخهم المظلم، وهذا ما سوف نوضحه في الأسطر التالية.

مصدر عقيدة التمييز العنصري:

لا شك أن صاحب أول نزعة عنصرية في تاريخ الخلق هو إبليس، الذي أبى أن يسجد لآدم مع الملائكة، ظنًّا منه أنه عنصر أفضل من عنصر آدم، وقال لربه: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فإبليس في المجال بهذا المثال هو أستاذُ اليهود بلا منازعٍ، وهم ورثته في هذه النزعة العنصرية المنحرفة، ولكن هذه العقيدة نشأت عند اليهود كردٍّ فعل لما عانوه من خلال مراحل الأسر والتشرد التي تعرضوا لها، ذلك أن رجال الدين عندهم خافوا من ذوبان الشعب اليهودي في المجتمعات الجديدة، وبذلك يضيع سلطان رجال الدين، فاخترعوا هذه الفكرة في محاولة لتجميع الشعب اليهودي وعدم اختلاطه بالآخرين، كما أنّ الشعوب التي نزلوا ضيوفًا عليها لم تطق أخلا أخلاقهم الذميمة، فاحتقرتهم،

ونظرت إليهم على أنهم من أجناس أقلّ، ومن هنا نشأت عندهم عقيدة، سولت لهم أنهم أرقى من مستوى البشر، وأنهم أبناء الله وأحباؤه.

وهكذا تحولت مركبات النقص وعقد الضعف عند اليهود إلى ألوان من جنون العظمة، وإلى هذه الحقائق يشير عالم الاجتماع المسلم ابن خلدون في تحليل بارع ودقيق فيقول: قد يكون للبيت شرف أول للعصبية والخلال، ثم ينسلخون منه بذهابها بالحضارة -كما تقدم- ويختلطون بالغمار، ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب، يعدون به أنفسهم من أشرف البيوتات، وليسو منها في شيء لذهاب العصبية جملة، وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبني إسرائيل، فإنه كان بيتًا من أعظم بيوت العالم بالمنبت: لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم، ثم بالعصبية، ثانيًا: وما آتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به، ثم انسلخوا من ذلك أجمع، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكتب عليهم الجلاء في الأرض، وانفردوا بالاستعباد آفاقًا من السنين، ومازال هذا الوسواس مصاحبًا لهم، فنجدهم يقولون: هذا هاروني، هذا من نسل يوشع، هذا من عقب كالب، هذا من سبط يهوذا، مع ذهاب العصبية ورسوخ الذلة فيهم منذ أحقاب متطاولة".

وما أشبه حال بني إسرائيل في هذا الأمر بالباشاوات والبكاوات، الذين ضاع عزهم ومجدهم وألقابهم، وما زالوا متمسكين بنفس الألقاب، وما زالوا يظنون أنفسهم أنهم من طينة أخرى غير سائر البشر، فهي مسائل نفسية دفعت اليهود إلى اختراع هذه العقيدة، وراح أحبارهم يدسّون التوراة بما تجيش به نفوسهم، فكانت النتيجة هي ظهور مثل هذه العقيدة الباطلة، البعيدة كل البعد عن وحي السماء.

إذا كان اليهود يصفون غيرهم من البشر بأنهم حيوانات خلقت لخدمتهم، فإننا نريد أن نبيّن لهم أن وصف الحيوانية منطبق عليهم تمامًا، لا على المسلمين،

فالحيوان هو الذي يعيش لمأكله ومشربه وشهواته وحسب، ولا يؤدي ما عليه من حق لله، والحيوان هو الذي يكفر بما أنزل الله على رسله، ويترك وحي السماء وراء ظهره، ويسير وراء مصالحه الخاصة وشهواته الدنيوية، وهذا شأن اليهود، ولذلك وصفهم القرآن الكريم بأوصاف الحيوانات في أكثر من آية فقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] بل يجعلهم القرآن الكريم في أدنى مراتب الحيوانية فيقول: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

وبعد أن قصّ القرآن الكريم أحداث تاريخهم المظلم، وما صنعوه مع موسى عليه السلام في سورة "الأعراف"، عقّب على ذلك بالوصف الملائم لهم، وهو وصف الكلام فقال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ : ١٧٧].

وهكذا أخلد اليهود إلى الطين والمادة التي أفسدت عليهم منافذ التعقل والتدبر، وردّتهم إلى مراتع الحيوانية، فباءوا بوصف الكلب عن جدارة واستحقاق، ولكنهم يحاولون دائمًا وصف الناس بما هو فيهم، وتبرئة أنفسهم من العيوب، فيدعون أنهم هم فقط الذين وصلوا إلى مرحلة الإنسانية، وأما غيرهم من الناس فهم مجرد حيوانات لم ترقَ بعدُ إلى سلم الإنسانية، وقد أوضحنا كيف أن وصف الحيوانية منطبق عليهم تمامًا: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

علاقة اليهود بالأمم الأخرى

يضع التلمود مجموعةً من الأسس والمبادئ لتعامل اليهود مع غيرهم من الناس، تتفق مع عقيدتهم السابقة، وملخص هذه الأسس هو استخدام كل ما ليس بأخلاقي في التعامل مع غير اليهود؛ كالسرقة والسلب والنهب والاغتيال، وعدم رد الأمانات والودائع، والربا الفاحش الذي يستنفذ أموال الناس، والقتل، وسفك الدماء، والظلم، وخلف الوعد، والعهد، والزور والبهتان، وغير ذلك من المبادئ اللا أخلاقية، ولا نريد أن نحصي المبادئ والأسس اللا أخلاقية التي وضعها التلمود لتعامل اليهود مع غيرهم، وإنما نريد فقط أن نشير إلى نماذج من أخطر هذه الأسس، وهذا كما يلي:

١. السرقة:

يعتقد اليهود أنّ السرقة محرمة فيما بينهم فقط، ولكن سرقة غير اليهودي مباحة، يقول حاخامات اليهود: إن الله سلط اليهودَ على أموال باقي الأمم ودمائهم. ويشرح التلمود هذه المبادئ فيقول: إذا سرق أولاد نوح -أي: غير اليهود- شيئًا ولو كانت قيمته تافهة جدًّا، فإنهم يستحقون الموت؛ لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أوصاهم الله بها، وأمّا اليهود فمصرّح لهم بأن يسرقوا الأممي؛ لأنه جاء في الوصايا: لا تسرق مال القريب، وفسّر علماء التلمود هذه الوصية بقولهم: إن الأممي ليس بقريب، وإن موسى لم يكتب في الوصية: لا تسرق مال الأمي، فَسَلْب ماله لا يكون مخالفًا للوصايا.

ويحاول حاخامات اليهود أن يضربوا لهم الأخلاق العملية في السرقة، فقد جاء في التلمود: إن الرابي صموئيل أحد الحاخامات الكبار، كان من رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب، ظنّها الأجنبي نحاسًا، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهو ثمن بخس، وفي نفس الوقت سرق درهمًا أيضًا من البائع، واشترى الرابي كهانا مائة وعشرين برميلًا من النبيذ، ولم يدفع للأجنبي إلّا ثمن مائة برميل منها فقط، وباع أحد الحاخات شجرًا معدًّا للكسر، ثم نادَى خادمه وأمره بأن يكسر بعضه ويسرقه؛ لأن المشتري وإن كان يعلم عدد القطع، إلّا أنه يجهل حجم كل قطعة منها.

وهكذا يعدد التلمود الأمثلة العملية التي قام فيها الحاخامات بالسرقة من غير اليهود، حتى يكونوا مثلًا يحتذى، وهم يعتقدون أنهم لا يسرقون، وإنما يستردون حقهم؛ لأن الدنيا في نظرهم ملك لهم وحدهم.

٢. الغش والنفاق:

يسمح التلمود بالغش والنفاق، فيقول: يسمح بغش الأمي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، ولكن إذا بِعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئًا فلا تخدعه ولا تغشه. وقال الحاخام روش مصرحًا لليهودي بأن يغشّ مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية، ويحلف له يمينًا كاذبة على شرط أن ينجح فيما لفقه من الأكاذيب.

ويصل الغش باليهود إلى درجة أنه إذا جاء أجنبي وإسرائيلي في قضية أمام قاضٍ يهودي، فعلى القاضي اليهودي أن يستعمل كل أساليب الغش والخداع في سبيل الحكم لصالح اليهودي، يقول التلمود: إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك في

دعوى، وأمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحًا فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا، إذا حدث هذا في مدينة يحكمها اليهودي، وإذا أمكنك ذلك وفقًا لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحًا، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن في كلا الحالين، بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي، فاستعمِل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي، حتى تجعل اليهودي رابحًا.

وقال أحد الحاخامات المدعو برنز: يجمع اليهود كل أسبوع بعدما يغشون الناس، ويتفاخر بعضهم على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش، ثم يفضون الجلسة بقولهم: يلزمنا أن ننزع قلوب الأميين من أجسامهم، ونقتل أفضلهم.

وأما صفة النفاق فيشير إليها التلمود بقوله: محظور على اليهود أن يحيوا الكفار بالسلام، ما لم يخشوا ضررهم أو عداوتهم، واستنتج الحاخام بشاي أنّ النفاق جائز، وأن الإنسان -أي: اليهودي- يمكنه أن يكون مؤدبًا مع الكافر، ويدّعي محبته كذبًا إذا خاف أن يؤذيه، ولهذا يقول التلمود مصرِّحًا لليهودي إذا قابل أجنبيًّا أن يوجّه له السلام ويقول له: الله يساعدك أو يباركك على شرط أن يهزأ به سِرًّا، أو يضمر في نفسه السلام لسيده أو معلمه، كما يباح لليهود أن يزوروا المرضى إذا خافوا من أذاهم أو ضررهم.

ومن مظاهر النفاق التي يأمر بها التلمود: أنه يأمر اليهود بألّا يلتزموا باليمين أو القسم الذي يقسمونه أمام غير اليهودي، فهو لا يعتبر يمينًا؛ لأن غير اليهودي كالحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يمينًا، ومن هنا يجوز لليهودي الحلف زورًا وبهتانًا إذا حوّل اليمين لوجهة أخرى، وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية؛ كأن تكون أمام المحاكم أو أمام خصم قوي.

٣. القتل وسفك الدماء:

لا يضع اليهود لأرواح غير اليهود أيّ قيمة أو حرمة، فهي كأرواح الحيوانات، بل إنهم يعتبرون أن إزهاق أرواح الأمميين وسفك دمائهم من القربات التي يتقربون بها إلى الله، فقد جاء في التلمود: محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأمميين من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأمميين واقعًا في حفرة، عليه أن يسدها بحجر.

وقال موسى بن ميمون وهو من كِبار مفسري التلمود وشارحيه: الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي، فإذا رأيتَه واقعًا في نهر، أو مهددًا بخطر، فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه؛ لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان، وقضت التوراة بقتلهم جميعًا، لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي؛ لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين.

ويقول التلمود: إنه من العدل أن يقتل اليهودي كلَّ أمي؛ لأنه بذلك يقرِّب قربانًا إلى الله، ويكافأ في الخلود في الفردوس وللإقامة هناك، أما مَن يقتل يهوديًا فكأنه قتل العالمَ أجمع.

٤. الزنا بنساء الأمميين وبناتهم:

يعتقد اليهود أن اغتصاب نساء الأمميين مباح لهم ولا عقاب عليه، وإذا كان موسى يقول في الوصايا العشر: لا تزنِ ولا تشتهِ امرأة قريبك. فإن حاخامات اليهود يفسرون القريب باليهودي وحده، وبناءً على ذلك فإن اليهودي لا يخطئ إذا تعدّى على عرض الأجنبي؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن

المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كالبهيمة، ولا يصح العقد مع البهائم وما شاكلها، ومن هنا قال موسى بن ميمون: إن لليهودي الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات -أي: الغير يهوديات.

وعلى هذا النمط السافر يمضي التلمود في وضع أسس التعامل مع الناس، وفي استباحة أعراضهم وأموالهم، وتقرير الفواحش وأكل الربا والخداع، ونقض العهود والمواثيق، والغدر، وغير ذلك من الكبائر، ونكتفي بهذه النماذج المبسطة التي شرحناها.

علاقة التلمود بالنصرانية:

يمقت التلمود كل كتب العهد الجديد النصرانية، ويحتقر المسيح وأمه؛ حيث يعتبره وثنًا، جاء من زنى، كما يفخر التلمود بادعاءات اليهود بصلب عيسى عليه السلام ويعتبر كنائس النصارى أماكن قاذورات، وهذا ما سوف نفصله فيما يأتي:

يقول التلمود عن عيسى عليه السلام: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري بندارا بمباشرة الزنا. كما يقول التلمود: إن المسيح كان مجنونًا، ويصفه بأنه كافر لا يعرف الله، ومن هنا كانت تعاليمه كفرًا وأتباعُه كفارًا.

كما يقول التلمود: إن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن كل مراسيم عبادتهم مظهرٌ من مظاهر عبادة الأوثان، ومن هنا فَقَتْل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلزم اليهودَ بالوفاء به، وأنه من الواجب أن يلعن

اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل.

ويقول شراح التلمود ومنهم موسى بن ميمون: إنه لا فرقَ بين المسيحي وباقي الوثنيين؛ لأن الناصريين -سكان الناصرة بفلسطين- الذين يتبعون أضاليل يسوع، معدودون من باقي الوثنيين ويجب أن يعاملوا معاملتهم.

وعلى اليهود أن يعتبروا النصارى حيوانات غير عاقلة، ويعاملوهم معاملة الحيوانات الدنيئة، ويجب على اليهودي تخريب كنائس النصارى وأناجيل النصارى: متى مرقس لوقا يوحنا، عين الضلال والنقص، ويلزم تسميتها بكتب الظلم والخطايا، ويجب على اليهود إحراقها، ولو كان فيها اسم الله.

ولا أدري كيف يسكت النصارى على هذا الافتراء على رسول الله عيسى وأمه مريم -عليهما السلام- التي برأها القرآن وطهرها من افتراءات اليهود، وكيف يتعاونون معهم ويمكّنون لهم في فلسطين ضد الشعوب العربية والإسلامية؟ بالتأكيد إنه لا مبرّر لذلك إلّا الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين، فجميع الكنائس النصرانية تعلم جيدًا موقف اليهود من النصرانية، ومن عيسى وأمه -عليهما السلام- ورغم هذا كله يظاهرونهم، ويتآمرون معهم ضد أتباع الدين الذي برأ عيسى ومريمَ من دعاوَى اليهود، ولا يستطيع أي نصراني -وخصوصًا زعماء الدول النصرانية- أن ينكر علمَه بحقيقة موقف التلمود من النصرانية، فقد حدث في سنة ١٢٤٢ أن أعلن البابا جيريجوري التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود، يتهمها فيها بالكفر والطعن في الله وفي المسيح وفي المسيحية، ثم شكل البابا لجنةً لفحص الاتهام، وقد مثّل اليهود في هذه اللجنة جهيل بن جوزيت من باريس، ومعه ثلاثة آخرون، وأقرت اللجنة الاتهامات، وأمرت بإحراق

التلمود، ونقلت إلى النيران في باريس حمولة أربعة وعشرين عربةً من نسخ التلمود.

وفي عام ١٢٤٧ أُعيد نظر القضية بعد توسّل والتماس من اليهود، ولكن الحكم قد صدر ضد التلمود مرة أخرى، وأدين هذا التلمود مرة ثالثة في إسبانيا سنة ١٤١٥، ومرة رابعة في إيطاليا سنة ١٥٥٩، ورغم ذلك كله يضع النصارى على أعينهم عصابة سوداء، وأغلقوا آذانهم حتى يوهموا الناس بأنّهم لا يعرفون ما يقول التلمود عنهم، فهل آن لهم أن يقارنوا كلام التلمود بحقائق القرآن المشرفة التي ذكرها في حق المسيح وأمه، التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين؟ أما أنَّ الحقد الأسود على الإسلام سوف يعمي عيونَهم، ويدفعهم إلى مزيد من تغذية الذئب الحقود، الذي تسمنه وتربيه، وهي أول فرائسه -إن شاء الله- وأما نحن المسلمين فعلينا أن نفيق من غفلتنا ونستيقظ تمامًا لكل القوى المعادية لنا، ذلك أن النصرانية والشيوعية واليهودية قد اتفقوا تمامًا على القضاء على الإسلام.

ومن صفات اليهود في التعامل مع الأمم الأخرى: الجدل العقيم:

فقد اشتهر اليهود من قديم بغاية الجدل، والمماحكة، ولجاجة القول، وسوء المراجعات، حتى ذهبوا مثلًا بين الناس في هذا الباب، وكان حرفة التزييف فيهم أحد الأسباب التي أضرمت فيهم هذه الخصلة الذميمة، وأشعلت أوارها، حتى صارت عادتهم الراسخة، فهم يجادلون بالحق أو بالباطل، ويجادلون أنبياءهم وصالحيهم، ويجادلون في أمر الله ﷻ وفي كتبه، ومن العجيب أنهم ينقادون في السوء، وتقل مجادلاتهم لأحبارهم فيه، بل هم كما قال القرآن: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ربوبية الأحبار مقررة

في صلب التعاليم التلمودية، ولهذا نجد القرآن العظيم يعبّر عن طاعتهم للأحبار في الضلال بصيغة المبالغة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١] وقد أورد القرآن العظيم قصة مجادلتهم في البقرة مثلًا على هذا اللجاج العجيب، مع أن موسى عليه السلام قد أسند الأمر صريحًا إلى الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ﴾ [البقرة: ٦٧].

سرّ قرآني عجيب: وقد يَعجب الإنسان من تسمية أطول سور القرآن وسنامه وأولى الزهراوين باسم البقرة، مع أن في السورة ما هو أعجب منها في باب القصص، وما هو أجلّ منها في باب الأحكام والعقائد، مثل: آية الكرسي، وآيات الصيام والحج، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية، وقصة طير إبراهيم عليه السلام وغير ذلك كثير، والدلالة قائمة ناهضة تشير إلى حكمة الوحي، حتى في اختيار الأسماء، إنها تحذير جهير من اليهود ومن أفعالهم على سواء، وإيجاز ذلك:

أ. أراد القرآن العظيم أن ينبه المؤمنين إلى أن اليهود قد احترفوا اللجاجة والجدلَ العقيم من قديم، حتى مع أكبر أنبيائهم، فكيف بغيرهم، وهذا تحذير مبين للمؤمنين؛ ليفهموا هذه الشخصية الشوهاء.

ب. أراد القرآن تنفير المؤمنين من داء بني إسرائيل، حتى لا يكونوا مثلهم في المماراة واللجاج الباطل، وخاصة فيما يتعلق بشريعة الله تعالى التي يجب تلقيها بالقبول والإقبال، ولذلك ساق الله تعالى قصة البقرة؛ أمثولةً على الجدل والتماحك اليهودي الغريب، ثم ركّز أنظار المؤمنين عليها باختيارها دون غيرها؛

لتصبح علمًا على الصورة الكريمة، حتى لا تغيب دلالتها عن وعي المؤمنين تحذيرًا أو تنفيرًا، والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه، ولا علم لنا إلّا ما علمنا من فضله العظيم.

الغدر ونقض العهد:

ومن هذا الخلق التحريفي الخطير أساليبهم في الغدر ونقض العهود، تحت أفانين من الخداع والمبررات الكاذبة، وألوان من ضروب التحريف وليّ الكلم عن مواضعه، وتزييف المعاني والمفاهيم، وفلسفات الاستحلال التي يجيدونها، وتجري منهم مجرى الدم، والعهد عند اليهودي ضرورة مرحلية يعقده لأجلها، ثم ينقضه بانتهاء ظروفها ومنفعتها، وبين العقد والنقض يظل اليهودي كالثعلب الجبان، يتلفت ويترقب الفرصة أو يوجدها؛ لينقض تحت أمان العقد وغفلة الخصم، والقرآن العظيم يقرّر أن هذه خطة يهودية دائمة، فيقول على سبيل الحصر والشمول: ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وحتى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم الحمائم والصقور، هي لون قديم من خداعهم، ومعناها: أنه يظهر جماعة منهم التفاهم واللينَ، ويظهر آخرون التشدد، ومقصد الجميع واحد في الشر والأذى، وفي القرآن الكريم كثير من خدعهم هذه بيانًا وتنديدًا، ويشير إليها القرآن العظيم بأسلوب التكرار المطرد كالآية السابقة: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وقد ظهر مِصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء، وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم، ابتداءً من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار

أنبيائهم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٤، ١٥٥] وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣].

وانتهاءً بما صنعوه مع النبي محمد ﷺ من غَدْر ونقض للعهود في أحرج الظروف وأحلك المعارك، كما صنع بنو قريظة يوم الأحزاب، فعوجلوا بالعذاب: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٦] ومعنى الصياصي: جمع صيصية، وهي كل شيء يتحصن به، والمراد بها هنا الحصون: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧] ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء، ولا زالوا يفعلونه من غير ما خجل ولا اعتبار للقيم والأخلاق، ولا التزامَ بشرف الكلمة أو حسن السمعة، تمامًا كما قال القرآن عنهم في تعبيره الجامع: ﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة مشهودة، والبقية آتية لا محالة.

وفي هذا بلاغ ومقنع لمن عقل عن الله تعالى وكتابه، وأراد أن يتزود بالنور الحقيقي في ظلمات الأحداث العاتيات، ومن يقرأ التلمود الحقود يعرف البواعث المحرّكة والمهيجة لهذا الأسلوب اليهودي المنكر، بل يرى أن هذا الإجرام الخطير هو دينُ التلمود، يعِد بالثواب الجزيل على فعله، ويتوعد بالإثم والعذاب المهين على تركه: إن الجويم غير اليهودي في نظرهم كفرة ووثنيون، بل هم بهائم وحمير، خلقت لخدمة الشعب المختار، وهي لم تعط الصورة الإنسانية تكريمًا

لها، وإنما لإيناس السادة من بني إسرائيل، ولهذا فلا عهد لها ولا حرمة ولا عقد ولا وفاء.

هذه هي عقيدة التلمود التي أشربتها نفسية اليهود، وهذه هي مبررات الإلحاد والإفساد، التي أضرم نيرانها أحبار السوء من أبناء الشياطين -قاتلهم الله.

غاية الحقد والحسد:

فلقد انطوت النفسية اليهودية على حقد بالغ، وغلٍّ أسود، وحسد عاصف للناس عامة، وللمؤمنين منهم خاصة، وكما نبهنا مرارًا، كان من شؤمهم ولؤمهم الذي تفردوا به جعلهم ذلك دينًا ينسبونه زورًا إلى الوحي الأعلى، ويؤججون باسمه سعارهم النفسي المحتدم، ومن ثمّ دأبوا على الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية، والكيد الدائم لها، ولو أحسنت إليهم، تنفيسًا عن وحر صدورهم، وبغضًا لرؤية أي أثر للنعمة على غيرهم، بل لقد وصل بهم هذا الشعور المفزع إلى الحد الذي جعلوا به رب العالمين حِكرًا عليهم من دون الناس، وافتروا عليه من الصفات والأفعال ما يصل إلى الأساطير، ونسبوا هذا الإفك إلى كبار أنبيائهم -عليهم السلام- والقرآن العظيم يكشف خليقتهم هذه في آيات كثيرة، وبعديد من الأساليب وضروب التقريرات والتأكيدات الصارمة، قال تعالى مستنكرًا عليهم: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [النساء: ٥٣، ٥٤] بل لقد سبقوا المشركين وأهل الأوثان في كراهية أي خير يصيب المسلمين، ولو كان محض فضل وعطاء من رب العالمين: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وإذا كان المشركون لهم مبرر من الشرك أو الجهل، فلا مبرّر لليهود إلا داء الحقد والحسد، الذي ظل يأكل صدورهم، حتى تدلوا إلى حضيض سحيق، تمنوا فيه كفر الناس على الإيمان بالله ودينه ووحيه الجليل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ولم يكن هذا سعارًا نفسيًّا يعتمل في صدور أصحابه فقط، ويطوون عليه جوانحهم، عسى أن يهدأ يومًا ما، وإنما حولوه إلى واقع يفور بالفتن، ويثور بالعفن، إلى الدرجة التي خانوا فيها رسالات الأنبياء أجمعين، حين فضلوا الوثنية الجاهلية الطامسة الدامسة على جلال التوحيد والإيمان وكمال الوحي الأعلى، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

والآية الكريمة نزلت في بعض زعماء اليهود، الذين ظاهروا مشركي مكة على النبي ﷺ وأصحابه، وبالغوا في رثاء قتلى الكفار في بدر، وذهبوا يحرضون الأعراب وزعماء الوثنية على اجتياح المدينة، وانتهز زعماء الشرك الفرصة؛ ليبرروا لأنفسهم سلامة موقفهم فكريًّا ودينيًّا، فسألوا أصحاب الدين وأهل الكتاب الأول والعلم القديم، ويا له من موقف عصيب بين مريب وكذوب، فقد انفجرت أحقاد اليهود طافحة، وعموا وصموا وخانوا الأمانة، ولوثوا شرف التاريخ الديني كله؛ حيث زعموا لقريش أنها خير وأهدى من محمد ﷺ سبيلًا.

إنها العقدة النفسية عند اليهود التي تطبق عليه منافذ السمع والبصر، وتدفعه دائمًا إلى أسفل سافلين في سلوكه وتصرفاته نحو الناس جميعًا، ولو أحسنوا إليه، بل الغريب المزعج أنه كلما أمعن الإنسان في الإحسان إلى اليهودي، أو قدّم إليه معروفًا، طفحت على صدره ومشاعره تربيته التلمودية، ففجرت في نفسه جرثومة الحقد والحسد، فيتكافأ مردود السوء منه، مع قدر ذلك الإحسان الذي سبق إليه، بل ربما أرضَى اليهودي سوءًا مستغلًّا ظرف الإحسان، أو مستغفلًا حمير الجوييم الأغرار على ما يزعم اليهود.

إن الحقود اللدود لا يصلحه شيء في الوجود، والنار لا يزيدها عصف الرياح إلّا اشتعالًا، وكذلك اليهود دائمًا؛ لذلك يرتفع صوت القرآن العظيم في معركة المصير، محذرًا المؤمنين وكاشفًا الأعماق المظلمة في خبايا النفس النفسية التلمودية:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وما أجلّ هذه اللفتة القرآنية في ختام الآية الكريمة، فهل يعقل المسلمون بيان ربهم الأعلى؟ وهل يعوون هذه المعاني القرآنية الهاديةَ؟ وهل تتحول هذه الكلمات إلى حقائق حية يتحركون بها في واقع الحياة، وحتى يواجهوا معركة وجودهم مع أعدى أعدائهم بروح القرآن وعزم الإسلام؟

الإفساد في الأرض:

ماذا ينتظر من قوم تجمّعوا على هذه الصفات العاتية، قلوبهم أقسى من الحجارة، وأحبار السوء يمدونهم في الغي مدًّا، بل ويضعون لهم الخلفية الدينية

والفلسفية، التي تبرر كل منكر، وتسوغه للضمير المظلم تسويغًا خطيرًا بنسبته إلى الوحي الأعلى؛ لذلك كان اليهود في كل مكان نزلوا به، وفي كل جيل عاصروه وعايشوه، وفي كل موقف من مواقف الحياة، أداةَ إفساد وتدمير، لا تعرف خلقًا ولا رحمة ولا عهدًا ولا ذمةً، حتى قال واحد منهم: نحن اليهود لسنا إلّا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه، وجلاديه. القائل هو الدكتور أوسكار ليفي اليهودي.

والقرآن العظيم يقرّر عنهم هذه الحقيقة الإجرامية بشتى الأساليب، وقد ذكرنا ما يكفي للدلالة على هذه وزيادة، ونذكر هنا فقط جوامع الآيات القرآنية الكريمة التي عددت جرائم بني إسرائيل وإفسادهم عبر التاريخ، وإشعالهم الفتن والقلاقل بين العباد والبلاد، تنفيسًا لحقدهم الطامح وغلهم المحتدم، قال تعالى آمرًا نبيه والمؤمنين مناقشة اليهود الحساب، وكاشفًا لهم مخازيهم وجرائمهم في آيات متتابعة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

وتستمر الآيات فتذكرهم بمواقف هي شر من بغض المؤمنين، ومن الفسق عن أمر الله في عقوبتها أو نوعية الذنب فيها: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٠: ٦٢].

وهناك أخلاق كثيرة لليهود مذمومة، ذكرت في التلمود، وعاب عليها القرآن الكريم.

(أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم: صفاتهم، حياتهم)

عناصر الدرس

صورة الأنبياء في العهد القديم

ذكر اليهودُ عددًا كثيرًا من الأنبياء ويرجع السبب في تسميتهم بالأنبياء: أنهم تنبئوا بأحداث وقعت وتبعًا لقيمة النبأ تظهر قيمة النبي؛ لذا لا نتعجب إذا رأينا باب النبوة عندهم مفتوحًا؛ سنجد أنبياء كثيرين جدًّا لأنه تتسع دائرة النبوة عندهم.

وقد أدى دور النبي في الإسرائيليين أنفسهم إلى تقسيمهم إلى عظماء، وصغار، ومن الأنبياء العظماء: أشعياء، الذي نشأ في أورشليم، وكان مستشارًا في مملكة يهوذا، وهو أول من تنبأ بسقوطها، ومن هؤلاء الأنبياء العظماء: أرميا الذي تنبأ بسقوط أورشليم والخضوع لملوك بابل، وكان يسهل للناس ذلك، ومنهم: حزقيال، ودانيال، ولهما مواعظ حسنة، قالاها إنذارًا للإسرائيليين وتخويفًا لهم من التمادي في الباطل، وقد جاء الأنبياء الصغار بعد هؤلاء العظماء وهم كثرة، ولهم أسفار في العهد القديم، ودورهم لا يزيد عن المرشدين العاديين؛ بل منهم مَن كان يعتمد على الأساطير والسحر.

يرى الباحثون أن القرآن الكريم أشار إلى بعض أنبياء بني إسرائيل كهؤلاء الذين سبق ذكرهم؛ وأيضًا فقد تكلم القرآن الكريم عن إلياس عليه السلام فقال: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣] والمقصود به: إيليا الذي ورد ذكره في ثنايا أخبار الملوك والأيام، وتكلم القرآن الكريم كذلك عن اليسع؛ فقال تعالى: ﴿ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨] والمقصود به: اليسع، الذي كان تابعًا لإيليا، وتكلم القرآن الكريم عن عزير؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] والمقصود به عَزرا، وله سفر خاص به في العهد القديم.

وعلى الجملة؛ فأنبياء بني إسرائيل كثيرون، وقد ورد ذكرهم في أسفار العهد القديم، وأشار القرآن الكريم إلى بعضهم، وقد أشرت إليهم لبيان صورة الأنبياء في العهد القديم بشكل عام. وليس كل أنبياء بني إسرائيل متميزين بالصفات الطيبة والمزايا الحسنة؛ بل كان بعضهم يكذب، وبعض آخر يزني، وثالث يرتكب الحماقات مع الشعب -حسب اعتقاد اليهود ومزاعمهم-.

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه (المَسيح): ونحن اليوم نعلم أن الفترة بين إبراهيم وموسى وعيسى، وبين عيسى ومحمد -صلوات الله عليهم جميعًا- قد طالت حتى حسبت بمئات السنين؛ ففي اعتقادنا -على الدوام- أن ظهور الأنبياء حادث جلل لا يتكرر في كل جيل، ولا يراه الإنسان في عمره مرتين.

ونحن نعلم اليوم من تواريخ كبار الأنبياء أنهم أقدموا على مصاعب تخيف المقدِمين عليها، وشقوا بدعوتهم طرقًا لا يسهل تذليلها؛ لأنهم حطموا آلهة وسفهوا أحلامًا، وغيروا العقائد التي درجت عليها الأمم عصورًا بعد عصور؛ كذلك صنع سيدنا محمد ﷺ وكذلك صنع سيدنا موسى عليه السلام فمن تولى الهداية إلى دعوةٍ على هذا النحو فهو متعرض للعدوان والبغضاء، مقتحم على الناس طريقًا لا يقبلون اقتحامه من أحد، ولا يرون أحدًا يقتحمه عليهم إلا اعتنقوه وأقاموا له العراقيل.

أما أحوال النبوءة في بني إسرائيل؛ فينبغي أن نتصورها على غير هذا النحو؛ لأنه تخالفه من جملة وجوه:

فأول ما هنالك من الفوارق: أن الأنبياء في بني إسرائيل لم يكن وجودهم ندرة، ولم يكن بينهم فترة؛ فقد يوجد منهم في العصر الواحد أربعمائة نبي، كما جاء في سفر الملوك الأول؛ حيث جمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربعمائة رجل وسألهم: أأذهب إلى رامة جلعاد للقتال؟... (سفر الملوك الأول).

وخير ما ورد في وصف مكانة الأنبياء عند بني إسرائيل: قول النبي محمد -صلوات الله عليه وسلامه-: ((علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)) فقد كان عمل النبي إذًا في شعب إسرائيل كعمل العالم الفقيه في الأمة الإسلامية، ولم يكن من المستغرب أن يسمع بهم الخاصة أو العامة في وقت من الأوقات، ولم يكن قيامهم إنكارًا لقيام الأنبياء من قبلهم؛ بل هو تفسير للكتب والنذر، وحض على اتباع السنن التي رسمها لهم من قبل إبراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم من الأنبياء السابقين؛ بل كانوا يعلمون من كتب العهد القديم أن الله وعد إسرائيل بكثرة الأنبياء؛ حيث جاء: "أن يقيم أنبياء مثله ويجعل كلامه في أفواههم..." (سفر التثنية). و"إن بعض هؤلاء الأنبياء قد يتحدث إلى الناس بكلام غير كلام الوحي؛ فعليهم أن ينبذوه..." (سفر التثنية). و"إن قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فاعلم أن ما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِر؛ فهذا كلام لم يتكلم به الرب؛ فلا تخف منه".

بل يجوز أحيانًا أن تصدق الأقوال والعلامات، ولا يجوز للشعب أن يستمع إلى وصايا الأنبياء إذا دعوه إلى عبادة رب غير إله إسرائيل؛ حيث جاء: "فإذا قام في وسطك نبي أو صاحب رؤيا وأعطاك آية أو أعجوبة؛ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو صاحب الرؤيا إن دعاك إلى عبادة آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها ولو صدقت الأعجوبة أو الآية..." (سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر).

ولم تكن النبوءة بإذنٍ من ذوي السلطان -أمراءَ كانوا أو كهانًا أو شيوخًا مطاعين في القبيلة- بل يمتلئ يقين الإنسان بالإيحاء إليه، فيمضي في تبليغ وحيه، ولا يقوى أحيانًا على كف لسانه؛ كما قال أرميا: "قد أقنعتني يا رب، فاقتنعت وألححت علي فغُلبت؛ صرت أضحوكة وهزؤًا، وكلمة الرب جللتني بالعار والسخرية؛ فقلت: لا أذكره ولا أنطق باسمه بعد؛ فكان قلبي كأنه نار محرقة

محصورة في عظامي؛ فلم تكن لي طاقة للسكوت..." (سفر أرميا، الإصحاح ٢٠).

وكثيرًا ما كان النبي ينعَى على زملائه في عصره، ويخالفهم في تفسير النذر من ربه؛ كما قال أرميا: "من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق إلى الأرض كلها؛ فلا تسمعوا كلام الأنبياء الذين يتنبئون لكم؛ فإنهم يبطلون عملكم ويتكلمون برؤيا قلوبهم...". أو كما قال ميخا للملك إسرائيل: "هو ذا الرب قد جعل روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء..."، قال هذا فتصدى له صدقيا بن كنعانة وضرب ميخا على الفك وقال له: "من أين عبر روح الرب مني ليكلمك؟...".

تقسيم الأنبياء في بني إسرائيل إلى: أنبياء أول، وأنبياء أخر

اليهود يركزون على هذا التقسيم، ويصرون على تقسيم الأنبياء إلى: أنبياء أول، وأنبياء أخر؛

أ- الأنبياء الأول:

يتألف من أربعة أسفار في العهد القديم:

١. **يوشع بن نون:** وهو أربعة وعشرون إصحاحًا تروي اقتحام العبريين أرض فلسطين، بزعامة خليفة موسى هذا، وقد اعتبر عمله مكملًا لعمل موسى؛ ولكي يأخذ في عيونهم نفس القدسية رووا أنه تلقى بركة موسى من يده قبل موته -(في التوراة نفسها التثنية ٢٤/ ٨)- وأنه عبَرَ البحر معه ثم عبر الأردنَ بنفس الطريقة؛ إذ جاء في (الإصحاح الثالث من سفره): "فكان أن ارتحل الشعب من

خيامهم ليعبروا الأردن، ومشى أمامهم الكهنة حاملو تابوت العهد، وما أن وصل حاملو التابوت إلى الأردن وانغمست أقدام الكهنة في مياهه وهو طافح على كل ضفافه في وقت الحصاد هذا؛ حتى وقفت المياه المتدفقة من فوق كأنها حائط على مسافة بعيدة ابتداءً من مدينة أدام المجاورة لصرتان؛ أما الماء المنحدر إلى تحت في اتجاه بحر الغور -أي: بحر الملح- فقد انقطع تمامًا، وعبر الشعب قبالة أريحا؛ فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط الأردن راسخين؛ بينما كل إسرائيل يعبرون على اليابسة حتى فرغ الشعب كله من العبور..." (سفر يوشع ٣/ ١٤: ١٧).

واختص يوشع بمعجزته الشهيرة أثناء حربه ضد الأموريين في جبعون؛ فقال -على مشهد من إسرائيل-: يا شمس قفي على جبعون، ويا قمر اثبت على وادي أيالون، فوقفت الشمس وثبت القمر إلى أن انتقم الشعب من أعدائهم، وذلك مكتوب في (سفر المستقيم): "فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب لصوت إنسان؛ حيث قاتل الرب عن إسرائيل..." (سفر يوشع ١/ ١٢: ١٤).
و(سفر المستقيم) المذكور هنا مجهول لا نعرف عنه شيئًا.

ويوشع هو أيضًا الذي أمر العبريين أثناء حصار أريحا أن يطوفوا بأسوار المدينة وهم يهتفون، وأمامهم سبعة من الكهنة ينفخون في الأبواق؛ فأكملوا الطواف سبع مرات وهتف الشعب ونفخوا في الأبواق؛ فكان عند سماع الشعب صوت البوق أن هذا الشعب هتف هتافًا شديدًا، فسقط السور في مكانه؛ فصعد الشعب إلى المدينة كل واحد من وجهته، وأخذوا المدينة..." (سفر يوشع ٦/ ٢٠).

وبعد سلسلة من مثل هذه المغامرات يموت يوشع في تمنة من بلدان فلسطين.

٢. القضاة: يستمر هذا السفر في سرد أحداث عملية الاغتصاب الأولى التي قام بها العبريون في فلسطين، والقضاة هم سلسلة من الزعماء العسكريين والدينيين حاولوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان أن يمنعوا المجتمع العبري من الانزلاق في الفجور والكفر، وأن يواصلوا إعداده إعدادًا قتاليًّا للاستقرار بالقوة في هذه الأرض، واقتضى هذا منهم جهد الجبابرة؛ إذ تبدأ أحداث هذا السفر بقوله في (الإصحاح الثاني): "وتوفي يوشع بن نون عبد الرب وهو ابن مائة وعشر سنين، ودفن في أرض حوزته في تمنة بجبل إفرايم إلى شمال جبل جاعش، ولحق كل ذلك الجيل أيضًا بآبائهم، ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب ولا ما صنع لإسرائيل؛ ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا الأصنام، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولهم، وسجدوا لها، وأغضبوا الرب، وتركوا الرب وعبدوا بعلًا وعشتروت..." (سفر القضاة ٢/ ٨: ١٣).

وكانت مقاومة الشعب الفلسطيني الأصلي بشتى قبائله لغزو العبريين مقاومة شديدة مستمرة، وهنا تبدو الصفة العسكرية واضحة في الوقائع والغزوات التي قام بها هؤلاء القضاة أثناء اجتياحهم البلاد، وهكذا يرتفعون إلى مصاف البطولات الأسطورية، وفي مقدمتهم أهود، وباراك بن أبي نوعم، وعثنيئيل، وجدعون، ويفتاح، وشمشون الجبار، وامرأة نبية هي دبورة، التي عاصرت باراك بن أبي نوعم، ويحتوي هذا السفر على واحد وعشرين إصحاحًا.

٣. صموئيل: وبه تبدأ فكرة النبوة في بني إسرائيل في التبلور بشكل واضح؛ كما تتحدد صفات النبي في مفهومهم: وهي صفات زعامة سياسية ودينية تعتبر

امتدادًا للقضاة وإن كانت لا تسعى إلى تسلم مقاليد الحكم رسميًّا ؛ بل تبقى لتدير هذا الحكم من وراء ستار ؛ بينما الحاكم ملك يجلس على عرشه ويبايعه رعاياه بأمر من هذا النبي.

ويبدو لنا أن صموئيل -الذي يفتتح بحق الدور السياسي والاجتماعي للأنبياء في بني إسرائيل- كان عبقرية من تلك العبقريات القديمة التي تظهر في أوساط البدو فتشق طريقها، وهو طريق جديد في جملته بالعمل وبالذكاء وبموهبة قيادة الجماهير ؛ فنحن نعلم أن الكهانة -وهي السلطة الدينية الكبرى عند العبريين- كانت محصورة في سبط اللاويين، ولم يكن صمويل من هذا السبط ؛ بل كان من إفرايم ؛ وبناء على ذلك ؛ فإنه وجد طريق الزعامة الدينية التقليدية موصدة في وجهه.

وأما الملك ؛ فإنه في هذه المجتمعات البدائية يحتاج إلى بطولة في الحرب والقتال، وإلى عشيرة ضخمة العدد كثيرة المال مرهوبة الجانب، وكل ذلك لم يكن ميسورًا لصمويل أيضًا ؛ ولذلك فقد كان المنطلق الوحيد لطموحه ولمواهبه القيادية هو الانتفاع بأفكار سامية قديمة تدور حول مفهوم النبي ؛ فقد طور هو هذا المفهوم، وخط لنفسه في النبوة مسلكًا مبتكرًا بلغ به ما يريده لنفسه ولقومه، وأصبح تقليدًا من بعده عند بني إسرائيل.

و(سفر صمويل) ينقسم إلى جزأيْن:

الأول: يروي انتقال صمويل من صفة القاضي إلى صفة النبي، ونضاله من أجل توحيد كلمة العبريين بكافة أسباطهم تحت تاج واحد، ثم اختيار شاءول ليكون ملكًا، وانتهاء أمر هذا الملك بالانتحار على أثر موقعة حربية فاشلة ضد الفلسطينيين.

الثاني: فإنه يروي جهودَ ذلك النبي في تولية داود العرش، وما كان من استيلاء داود على أورشليم، مدينة اليبوسيين: وهم من قبائل الفلسطينيين الأصليين، وتشييده قلعة حربية على جبل صهيون جنوب غربي هذه المدينة، وملك داود هذا هو الذي حوله اليهود في أجيالهم المتأخرة إلى مثل أعلى، قالوا بوجوب استمراره مؤبدًا إلى يوم القيامة، وجبله بقلعته التي سميت أيضًا "صهيون" أصبح شعارًا سياسيًّا من المطالبين من اليهود بإقامة دولة فلسطين؛ إذ سموا حركتهم هذه: "الصهيونية".

ومن المعروف أن جنوب فلسطين كانت قد سكنته عشيرتان من العبريين: هما يهوذا، وبنيامين؛ بينما توزعت العشائر العشر الأخرى في الشِّطر الشمالي من البلاد، وداود ينتمي إلى يهوذا؛ ولذلك فإنه من توليه الحكم وإنشائه الأسرة المالكة أصبح قومه يحملون جميعًا اسم عشيرته ويسمون اليهود.

وينتهي (سفر صمويل الثاني) بالحديث عن شيخوخة داود وتفكيره في تعيين ابنه سليمان ملكًا من بعده.

و(سفر صمويل) في جزئه الأول يحتوي على واحد وثلاثين إصحاحًا، وفي جزئه الثاني على أربعة وعشرين.

٤. الملوك: وهو مكون أيضًا من جزأيْن: الملوك الأول، والملوك الثاني:

- والجزء الأول يحتوي على اثنين وعشرين إصحاحًا، خصصت الأحد عشر الأولى منها لذكر مملكة سليمان وبنائه الهيكل، ومظاهر الأبهة التي أحاط بها نفسه في أورشليم، ثم وفاته.

- وابتداءً من الإصحاح الثاني عشر يتحدث هذا السفر عن تصدع مملكة سليمان بعد موته وانقسامها إلى قسمين:

- مملكة يهوذا، في الجنوب، وعاصمتها أورشليم، ويجلس على عرشها رحبعام بن سليمان.

- ومملكة إسرائيل في الشمال، وعاصمتها السامرة في منطقة نابلس، وقد جلس على العرش فيها ضابط يهودي متمرد على سليمان كان قد هرب منه ولجأ إلى مصر، اسمه يربعام بن نباط.

ويستمر ذكر المملكتين وما توالى عليهما من ملوك وأنبياء وأحداث إلى سقوط المملكة الشمالية إسرائيل أمام الجيش الأشوري بقيادة الامبراطور سلمى نصر؛ حيث تروي تلك الأحداث في (الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني) الذي يحتوي كله على خمسة وعشرين إصحاحًا، وبقيته مخصصة للفترة التي استمرت فيها المملكة الجنوبية يهوذا في أورشليم إلى تدميرها على يد بُختنصر.

ويستخلص من نصوص صمويل والملوك، أن العبريين سجلوا تاريخ وجودهم بصفة سياسية في فلسطين للمرة الأولى على النحو التالي:

- المملكة الموحدة: وهي تسيطر على كل العبريين في فلسطين، وملوكها على التوالي هم:

١. **شاءول:** وقد تم تتويجه ملكًا في الجلجال حوالي سنة ١٠٩٠ ق.م. وأبناء شاءول هم يوناثان ويشوي وملكيشوع، وله بنتان أيضًا هما: ميرب، وميكال، واسم أبيه: قيش بن أبي إيل بن صرور بن بكورة بن أفيح، من سبط بنيامين، ولم يرث الحكم أحد من أسرة شاءول.

٢. **داود من سبط يهوذا:** تولى العرش بعد شاءول حوالي سنة ١٠٤٠ ق.م. وأبناء داود: هم أمنون، أنجبه من امرأة اسمها أخينوعم اليزر أيلية، دانيال من

امرأة اسمها أبيجايل الكرملية، أبشلوم من معكة بن تلماي ملك جشور، أدنياه من حجيت، شفطياه من أبيطال، يثرعام من امرأته المسماة عجلة، وهؤلاء الستة وُلِدوا له في حبرون مدينة الخليل قبل جلوسه على العرش في أورشليم التي ولد له فيها: شمعا، شوبا، ناتان، سليمان أنجبهم من بتشوع بنت عميئيل ومن غير هذه الزوجة ولد له أبناء ذكور هم يبحار، إليشامع، إليفالاط، نوجه، نافج، يافيع، إليشاماع الثاني، إلياداع، إليافالاط الثاني، وفي أورشليم أيضًا ولدت له ابنته تامار ويحتاط الرواية فيقول: إن هؤلاء المذكورين هم أبناؤه من الزوجات فقط، وأنه لم يذكر أبناؤه من غيرهن... (أخبار الأيام الأول ٣/ ٩).

٣. سليمان بن داود بن يسا: حكم أربعين سنة بعد أبيه، وانشطرت المملكة بعد موته إلى شطرين -كما قلنا-:

أولًا: يهوذا:

وملوكها من سلالة داود وإسرائيل، وقد أقاموا لهم أسرةً أخرى في الشمال.

ثانيًا: مملكة إسرائيل:

١. يربعام: حكم من ٩٧٤ : ٩٥٤ ق. م.

٢. ناداب بن يربعام ٩٥٤ : ٩٥٣ ق. م.

٣. بعشا بن آخياه: من سبط يساكر ٩٥٣ : ٩٢٩ ق. م.

٤. إيلاه بن بعشا ٩٢٩ : ٩٢٨ ق. م.

٥. زمري ٩٢٨ ق. م.

٦.عمري ٩٢٦ : ٩١٨ ق.م. وقد اعتلى العرش بعد فتنة كان يقودها رجل اسمه: تبني بن جينه أعلن نفسه ملكًا.

٧.آخاب بن عمري ٩١٨ : ٨٩٧ ق.م. وفي أيامه تفشى الانحلال الديني والخلقي بشكل واضح بين الإسرائيليين؛ ولذا امتاز عصرُه بظهور أنبياء مشهورين ونزاعهم معه وهؤلاء الأنبياء: هم عوبديا، إلياهو، إليشع، ميخا، وقد قبض أخاب على هذا النبي الأخير ووضعه في السِّجن؛ فنبأ ميخا بقتله فمات قتيلًا في معركة راموت جلعاد.

٨.آحازيا بن أخاب ٨٩٧ : ٨٩٥ ق.م.

٩.يورام أخو آحازيا ٨٩٥ : ٨٨٤ ق.م.

١٠. يهو: وهو زعيم انقلاب عسكري أطاح بحكم أسرة آخاب، وقتل ابنه الملك يورام، وأعلن نفسه هو ملكًا على إسرائيل بتأييد الجيش ٨٨٤ : ٨٥٦ ق.م. وكان يعاصر من الأنبياء يونس بن متى صاحب الحوت عليه السلام.

١١. يوآحاز بن يهو ٨٥٦ : ٨٣٩ ق.م.

١٢. يوآش بن يو آحاز ٨٣٩ : ٨٢٥ ق.م.

١٣. يربعام الثاني بن يوآش ٨٢٥ : ٨٨٤ ق.م. وقد عاصره من الأنبياء: عاموس، وهوشع، ولكل منهما سفر في العهد القديم، ويبدو أنه على أثر موته دخلت مملكة إسرائيل في فترة فوضى واضطراب لمدة إحدى عشرة سنةً، لم يسجل ملوكها في سفر الملوك الثاني، ويظهر أن سفرًا آخر كان موجودًا وعنوانه (تواريخ ملوك إسرائيل) ورَدَ ذلك في (سفر الملوك الثاني ١٤/ ٢٨: ٢٩).

١٤. زكريا ٧٧٣ ق. م. وقد حكم ستة أشهر.

١٥. شلوم بن يابش: قتل زكريا، وحكم بعده شهرًا واحدًا سنة ٧٧٢ ق. م.

١٦. مناحم ٧٧١: ٧٦١ ق. م: قتل شالوم.

١٧. فقحيا بن مناحم ٧٦١ : ٧٥٨ ق. م.

١٨. فاقح بن رملياهو: وقد اغتصب العرش بعد وفاة فقحيا ٧٥٨: ٧٣٩ ق. م. وفي عهده هاجم الإمبراطور الأشوري تغلات فالصر سوريا وفلسطين، واحتل منطقة الجليل، وأخذ منها أسرى إلى العراق، وبعد ذلك عادت الفوضى والفتنة من جديد لمدة عشر سنين تقريبًا.

١٩. هوشع بن إيلاه ٧٣٠: ٧٢٥ ق. م. وقد هاجمه سلما نصر الأشوري وأسره وألقاه في السجن، ثم أتم جيش سلم نصر تدمير مملكة إسرائيل نهائيًا، والاستيلاء عليها سنة ٧٢١.

مملكة يهوذا:

١. رحبعام بن سليمان ٩٧٥: ٩٥٨ ق. م.

٢. أبياه بن رحبعام ٩٥٨ : ٩٥٥ ق. م.

٣. آسا بن أبياه، وكان ملكًا تقيًّا، حكم إحدى وأربعين سنة، ويقول الرواة: إن بقية أخباره غير الموجودة في العهد القديم مثبتة في سفر خاص اسمه (كتاب ملوك يهوذا وإسرائيل)... (سفر أخبار الأيام الثاني ١٦/ ١١: ١٢) وقد حكم آسا من ٩٥٥ : ٩١٤ ق. م. وكتاب (ملوك يهوذا وإسرائيل) المشار إليه لم يصلنا.

٤. يهو شافاط امتد حكمه خمسة وعشرين سنة ٩١٤ : ٨٨٩ ق. م.

٥. يورام بن يهو شافاط: وقد بدأ عند توليه الحكم بقتل جميع إخوته وعدد كبير من أعيان إسرائيل؛ حتى يأمن التآمر على عرشه من ٨٨٩ : ٨٨٥ ق. م.

٦. أحازيا ٨٨٥ : ٨٨٤ ق. م: وقد قتله يهو ملك إسرائيل كما قتل جميع إخوته، وعددهم اثنان وأربعون، وكان يهو قد أخذ عليهم تحالفًا مع يورام تاسع ملوك إسرائيل الذي أسقطه يهو عن العرش وقتله.

٧. الملكة عاثليا: وهي أم آحازيا، وقد تولت المُلك بعد قتله من ٨٨٤ : ٨٧٨ ق. م.

٨. يوآش بن آحازيا كان طفلًا صغيرًا عندما قتل أبوه، فأخفته أخته يهوشا بعد لمدة سبع سنين، ثم نادى به الكاهن الأعظم يهويا داع ملِكًا، فاتهمته الملكة عفليا بالتآمر؛ لأنها لم تكن تريد التخلي عن العرش؛ فأمر الكاهن الأعظم بالقبض عليها وقتلها، حكم يوآش من ٨٧٨ : ٨٤٩ ق. م.

٩. أمصيا بن يوآش ٨٣٩ : ٨١٠ ق. م.

١٠. عوزيا ٨١٠ إلى أن أصابه الجذام سنة ٧٦٥؛ حيث تولى ابنه يوثام الوصاية على عرشه إلى أن مات سنة ٧٥٨ ق. م. وقد ظهر في عهده النبي الكبير المشهور أشعيا بن آموص.

١١. يوثام ٧٥٨ : ٧٤٢ وفي عهده ظهر النبي ميخا من موريشد.

١٢. آحاز بن يوثام ٧٤٢ : ٧٢٦ ق. م، واستمرت في عصره نبوة أشعيا وميخا.

١٣. حزقياهو بن آحاز ٧٢٦ : ٦٩٨ ق. م واستمرت في عهده نبوة إشعيا وميخا؛ كما ظهر إذ ذاك النبي ناحوم.

١٤. منسا بن حزقياهو ٦٩٨ : ٦٤٣ ق. م.

١٥. آمون ٦٤٣ : ٦٤١ ق. م.

١٦. يوشياهو وهو ابن آمون، ومن أكبر وأشهر قادة التطوير الديني في مملكة يهوذا، وكثر في عهده الأنبياء مثل صفنيا وحبقوق، والنبية خلدة، ثم النبي إرميا، وفي عهده قال حلقيا الكاهن الأعظم: إنه عثر على توراة موسى ٦٤١ : ٦١٠ ق. م.

١٧. يوآحاز بن يوشياهو: بمجرد اعتلائه العرش هاجمه فرعون مصر نخاو وأسقطه.

١٨. إلياقيم -ويسمى أيضًا يهوياقيم- وهو الابن الأكبر ليوشياهو، وقد ولاه على العرش فرعون مصر نخاو بعد أن عزل أخاه الأصغر يوآحاز، وكانت مدة حكمه إحدى عشرة سنة وعاصره من الأنبياء إرميا وباروخ ودانيال، وفي أيامه كان مدير الهيكل في أورشليم فاشور رجلًا متجبرًا؛ فقبض على النبي إرميا ووضعه في السجن، وفي عهده اشتد ضغط الإمبراطورية الكلدانية وعلى رأسها بختنصر، ولكنه مات سنة ٥٩٩ ق. م. وتولى بعده ابنه يهوياكين الذي يسمى أحيانًا بخونيا أو خُنيا.

١٩. يهوياكين بن يهوياقيم: وفي عهده بدأ بختنصر في حصار أورشليم والقبض على زعماء اليهود، ونقلهم أسرى إلى بابل، وكانت هذه بداية ما يسمى في التاريخ الإسرائيلي بـ"السبي البابلي" وكان بين من ذهبوا في الأسر يهوياكين نفسه.

٢٠. صدقياهو ويسمى أيضًا متنيا: وقد أقامه بختنصر ملكًا على أورشليم، وهو أحد أبناء يوشياهو، وكان توليه الحكم سنة ٥٩٩ ق. م. وهو حكم تميزه العمليات العسكرية الكلدانية ضد اليهود، ويعاصره من الأنبياء إرميا وحزقيال، وقد ظل حصار بختنصر حتى سقطت أورشليم نهائيًّا ٥٨٨ ق. م. حيث نقل صدقياهو إلى بابل، وعوقب عقابًا شديدًا على وقوفه في وجه الإمبراطور الكلداني؛ فقتل جميع أولاده أمامه، ثم سملت عيناه، وعين بختنصر أحد اليهود الباقين في أورشليم حاكمًا عليها واسمه جدليا؛ فقام في وجهه يهودي آخر اسمه إسماعيل وقتله بعد سبعة أشهر من توليه الحكم، وسرعان ما هبت مقاومة يهودية ضد إسماعيل بقيادة يهودي آخر اسمه يوحنان؛ ولكن الجيش الكلداني بدأ يتعقب يوحنان؛ فهرب إلى مصر ومعه النبيان إرميا وباروخ، بينما ظل بعض أنبياء اليهود -وفي مقدمتهم حزقيال، وعوبديا، ودانيال- يمارسون نشاطهم في داخل الإمبراطورية الكلدانية، وأحيانًا في بلاد فارس؛ حيث قامت إمبراطورية جديدة فتية على رأسها قورش.

ب. الأنبياء الأُخر: وهو يحتوي على تراث القادة الروحيين الذين حاولوا بطرق شتى الأخذ بيد اليهود نحو بر السلامة في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حالكة، أحاط بهم فيها الأعداء من كل جانب، وإذا كانت هذه النبوات في معظمها لم تفِد كثيرًا عندما كان أصحابها ما يزالون بعد على قيد الحياة؛ فإن هذا التراث قد بقي مصدر أمل لليهود، يؤولونه ويشكلونه بحسب الظروف؛ فهو أمل في مغفرة الله حينًا، وأمل في الخلاص أحيانًا، وأمل في العودة إلى فلسطين عند الكثيرين منهم؛ بل أمل في السيطرة النهائية على الإنسانية كلها لدى جماعات ممن يلوكون هذه النصوص ويحملونها ما شاء لهم الخيال.

وقد رأينا أن قسم الأنبياء الأُوَل الذي تصطبغ أسفاره بالصبغة التاريخية قبل كل شيء آخر يحتوي على أربعة أقسام: يوشع، القضاة، صموئيل، الملوك، وهذا القسم بدوره يحتوي على أربعة كذلك: هي إشعيا، إرميا، حزقيال، الاثنتا عشرة مجلة التي تكوِّن مجموعة واحدة تعرف أيضًا باسم الأنبياء الصغار، أو الاثني عشر نبيًّا.

ترتيب جوتييه للمؤرخين:

وقد رتب مؤرخو الكتاب المقدس المحدثون الأنبياء الأخر ترتيبًا تاريخيًّا؛ فمثلًا رتبهم لوسيان جوتييه على النحو التالي:

١. عاموس ٧٦٠ ق.م.

٢. هوشع ٧٥٠ ق.م.

٣. إشعيا ٧٤٠ ق.م.

تعرض (سفر إشعيا) لكثير من التحوير على مر العصور، والتاريخ المذكور في هذه القائمة هو التاريخ العام للسفر، وهذا التاريخ العام ينطبق على الجزء الذي يبدأ من الإصحاح الأول وينتهي بالإصحاح التاسع والثلاثين باستثناء الإصحاحات الأربعة ٢٤ : ٢٧ فقد أرجعها جوتييه إلى عصر متأخر جدًّا هو القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وهناك قسم من هذا السفر يبدأ بالإصحاح ٤٠ وينتهي بالإصحاح ٥٥ وهو الذي يسمى إشعيا الثاني، وتاريخه حوالي ٥٤٠ ق.م. ومن الإصحاح ٥٦ : ٦٦ وهو آخر السفر يسمى إشعيا الثالث، ويرجع هذا الجزء إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

٤. ميخا ٧٢٥ ق.م.

٥.ناحوم ٦٥٠ : ٦٢٥ ق.م.

٦.إرميا ٦٢٦ ق.م.

٧.صفنيا ٦٢٥ ق.م.

٨.حبقوق ٦٠٨ القرن السادس ق.م.

٩.حزقيال ٥٩٣ ق.م.

١٠. عوبديا القرن ٦ أو ٥ ق.م.

١١. حجاي ٥٢٠ ق.م.

١٢. زكريا ٥٢٠ ق.م.

١٣. ملاخي القرن الخامس ق.م.

١٤. يوئيل القرن الخامس أو الرابع ق.م.

١٥. يونس القرن ٤ ق.م.

وترتيب الأسفار المذكور حسب ما ورد في العهد القديم الموجود بين أيدينا يختلف عن هذا الترتيب العلمي التاريخي المذكور؛ إذ إنه يأتي على النحو التالي:

أولًا: إشعيا، إرميا، حزقيال.

ثانيًا: الاثنتا عشرة مجلة أو أسفار الأنبياء الاثني عشر الصغار: وهم هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونس، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي.

فمما يلاحظ على أسفار العهد القديم:

أنها حين تتحدث عن الأنبياء لا تنظر إليهم بوصفهم صفوة الله من خلقه وأمناؤه على تبليغ وصاياه إلى البشر، وهم القدوة والأسوة الحسن لغيرهم من الناس، وهم من أجل ذلك يجب أن يتصفوا بكل الكمالات البشرية ويتنزهوا عن جميع النقائص والمثالب؛ ولكن بمراجعة الأسفار العهد القديم نُصدم بأن هذا الكتاب المقدس عند اليهود لا يتورع عن أن يلصق بالأنبياء كل نقيصة، يكاد يشمل بذلك جميع الأنبياء. وقد كان رد الفعل الطبيعي لذلك أن بالغ المسيحيون بعد ذلك في تنزيه المسيح عن كل نقص بشري؛ وغالوا في ذلك حتى رفعوه إلى مقام الألوهية.

أما موقف الإسلام من الأنبياء -عليهم السلام- فهو الموقف الوسط بين اليهودية والمسيحية؛ فهو لا يهبط بالأنبياء إلى ما دون مستوى العامة من الناس -كما فعل العهد القديم- وهو أيضًا لا يغلو في تقديس الأنبياء، فيرفعهم فوق مستوى البشرية ويصل بهم إلى مرتبة الألوهية.

الأنبياء من وجهة النظر الإسلامية هم بشر؛ ولكنهم في أعلى مستوى الكمال الإنساني؛ فَهُم مبرءون من كل نقص بشري؛ لأنهم هم القائمون على تبليغ الرسالات الإلهية؛ والناس مأمورون بالاقتداء بهم فيجب أن يكونوا على أرقى مستوى خلقي وسلوكي؛ حتى يتمكنوا من قيادة الناس إلى طريق الحق والخير والكمال؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه؛ أما الهبوط بهم إلى ما دون مستوى العامة من الناس كما هو الأمر في أسفار العهد القديم؛ فهو خروج بالنبوة عن معنى الاصطفاء والاختيار وانحراف بها عن معنى القدوة والهداية.

كما أن رفع الأنبياء فوق مستوى البشرية خروج هو أيضًا بالنبوة عن هدفها المقصود: وهو قيادة الناس إلى الحق والخير والكمال، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان

النبي بشرًا ؛ لأن هذا يعني إمكان الاقتداء والتشبه به ؛ لاستواء المقتدي والمقتدى به في أصل البشرية ؛ أما إذا كان هذا الذي يطلب أن يقتدي به الناس فوق مستوى البشرية ، فهو إنما يطلب من الناس المستحيل لاختلاف الطبيعة ، وإن لهم لعذرًا آنذاك إن هم لم يقتدوا به ؛ إذ هم عاجزون عن ذلك الأمر الذي يخرج عن طاقة البشر.

نصوص من حديث العهد القديم عن الأنبياء

من هو الذبيح؟

هذه مسألة مهمة فيها مغالطات لا تقل عن المغالطات السابقة في حق الأنبياء، فالنبي عندهم قاضٍ، النبي عندهم ملك محارب، النبي عندهم امرأة، النبي عندهم يكذب، النبي عندهم ساحر، النبي عندهم كاهن، النبي عندهم... قل في هذا كلامًا كثيرًا...

يذهب العهد القديم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وهذا يخالف ما عليه جمهور علماء المسلمين من أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام والأدلة قاطعةٌ من القرآن الكريم على أن الذبيح هو إسماعيل وليس هو إسحاق؛ فقد وردت الإشارة بإسحاق عقب قصة الذبيح: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠١، ١٠٢] إلى آخر الآيات إلى أن يقول: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢].

فالبشارة بإسحاق قد وردت عقب قصة الذبيح مما يدل على أن الذبيح هو شخص آخر غير إسحاق، ثم إن البشارة بإسحاق قد وردت مقترنة بأنه سيعيش حتى يصبح نبيًّا: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: أنه سيتجاوز مرحلة الصغر، وهذا يتناقض مع أمر الله بذبحه وهو صغير؛ إذ كيف يبشر الله إبراهيم بأنه سينجب إسحاق الذي سيصبح نبيًّا، ثم يأمره بعد ذلك بذبحه وهو لم يصل بعد إلى مرحلة النبوة؟!

كما أن البشارة بإسحاق قد وردت مقترنةً بأنه سيعيش حتى يتزوج وينجب يعقوب، ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١]؛ فكيف يأمر الله بذبحه قبل أن تتحقق هذه البشارة؟! ثم إن النص الوارد في العهد القديم متعلق بشخصية الذبيح يفيد أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق، وهذا هو النص: "خذ ولدك وحيدك الذي تحبه إسحاق..." (سفر التكوين الإصحاح ٢٢). وفي نص آخر: "فلم تمسك ابنك وحيدك عني..." (سفر التكوين الإصحاح ٢٢ فقرة ١٢). وفي نص آخر يقول الرب: "إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة..." (سفر التكوين الإصحاح ٢٢ فقرة ١٦). فهذه النصوص الثلاثة تفيد أن الذبيح هو الابن الوحيد لإبراهيم، وإسحاق لم يكن وحيدًا لإبراهيم في يوم من الأيام؛ فالعهد القديم ينص على أن إسحاق قد وُلد بعد إسماعيل بأربعة عشر عامًا (سفر التكوين، الإصحاح ١٧ فقرة ١٦، الإصحاح ٢١ فقرة ٥).

وينص أيضًا على أن: "إسماعيل قد بقي حيًّا إلى وفاة أبيه إبراهيم عليه السلام وأنه قد اشترك مع أخيه إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم ببلدة حبرون..." (سفر التكوين الإصحاح ٢٥ فقرة ٩). أما أن إبراهيم الذي كان وحيدًا لأبيه فهو إسماعيل قبل

مولد إسحاق، وواضح في النص الأول التزوير والتحريف؛ لأن العبارة متناقضة، حيث قد ثبت عبارة العهد القديم نفسه أن إسحاق لم يكن إطلاقًا وحيدًا لإبراهيم، ويبدو أن العبارة كانت هكذا: "خذ ولدك وحيدك الذي تحبه إسماعيل". فجاء مَن تناول هذه العبارة بالتحريف، فرفع اسم إسماعيل ووضع مكانه إسحاق، ولم يفطن إلى أن العبارة تكون بهذه الصورة متناقضة.

ومن المغالطات عندهم أيضًا ما جاء في (سفر التكوين): "وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر؛ فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته؛ فيقتلونني ويستبقونك، قولي: إنك أختي... -حسب زعمهم- ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك؛ فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًّا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون؛ فأخذت المرأة إلى بيت فرعون؛ فصنع إلى أبرام خيرًا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال..." (سفر التكوين ١٢/ ١١: ١٦).

فهل مَن ظهر له الله وباركه يلجأ للكذب ويخشى الناس ولا يلجأ إلى الله لحمايته؟! وكيف يخشى نبي الله القتل بعد أن وعده الله بذرية وهو لم يكن قد أنجب بعد؟! فهل نبي الله إبراهيم كذاب ولا يثق في وعد الله له؟! وهل كان نبي الله إبراهيم يخشى الناس أشد خشية من الله؟! هل باع نبي الله شرفه بعدة بعير ولقيمات يقمن صلبه؟! وهل نبي الله إبراهيم ديوث ولا يغار على أهله؟! وهل مقصود من هذه الرواية الاقتداء بأفعاله المزعومة؟! فجملة: "ليكون لنا خير بسببك" تعني: أنه يعلم بما سيحدث لزوجته؛ بل وبتحريض لها على ذلك وهو ما لا يمكن أن يصدر عن إنسان عن عادي؛ فضلًا عن نبي؛ بل أبي الأنبياء وخليل الله!.

وإذا كان فرعون قادرًا على امتلاك سارة باعتبارها أخته ولم يقتله ؛ فهل كان عاجزًا عن امتلاكها وهي زوجته ولا يقتله؟! وهل كان عاجزًا عن قتله في كلتا الحالتين ؛ أم إن فرعون كان يخشى الله أكثر من إبراهيم فلا يمتلك المتزوجات وأزواجهن على قيد الحياة؟! وهل كل امرأة جميلة تدخل مصر يمتلكها فرعون؟! وهل كان المصريون يقتلون أزواج المهاجرين لسرقة زوجاتهم؟! فلو كان حالهم فلماذا لم يقتلوا الأخ لسرقة أخته، وتكون كذبة إبراهيم حينئذ ليس لها مبرر؟! وهل كان يشتهي الكاهلات كان عمر سارة وقتها خمسة وستين عامًا، وعمر إبراهيم عند الهجرة من حارام خمسة وسبعين عامًا... (التكوين ١٢/ ٤ و١٧/ ١٧).

وهل تعلم أن هذه القصة تكررت مع إبراهيم مرةً أخرى عندما كان عمر سارة تسعين سنة مع أبي مالك مباشرة بعد أن بشرها الملك بولادة إسحاق؟! وقد تكررت نفس القصة مرة ثالثة مع إسحاق ورفقة امرأته ومع نفس الشخص أبي مالك؟! وما الهدفُ التربوي الذي نأخذه من هذه الرواية لنربي جيلًا وننشئه على الفضيلة؟! وهل تساعدنا هذه القصة على ذلك؟! ألا يدل ذلك على تحريف اليهود لكلام الله، وتشويههم لسير الأنبياء، وقضائهم على كل فضيلة ممكن يتحلى بها أي تابع لهذا الكتاب أو مصدق له؟!.

(الشريعة اليهودية؛ الصحيح منها والزائف (١))

عناصر الدرس

الوصــايا والتشــريعات عنــد اليهــود

الوصايا العشر:

هي التي تحتوي على بعض الشرائع الصحيحة وبعض الكلام المقبول، ورغـم أن الوصـايا العشـر ليسـت حـدودًا تشـريعية إلا أنهـا تمثـل العمـود الفقـري للسـلوك الإيمـاني القـويم ومـا يجـب اتباعـه أو الامتنـاع عنـه؛ لـذلك أرى لزامًـا علـيَّ أن أطرحها مقتبسة من (سفر الخروج الإصحاح العشرين وإضافة من تثنية ٧)، وهي:

١. لا يكـن لـك آلهـة أخـرى أمـامي، لا تصـنع لـك تمثالًا منحوتًـا ولا صـورة مـا لشيء مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، لا تعبدهن.

٢. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلًا؛ لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلًا؛ النهي عن الكذب.

٣. اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك؛ أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك -أي: يوم عبادة فقط.

٤. ومن الشرائع الصحيحة: أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض.

٥. لا تقتلْ.

٦. لا تزنِ.

٧. لا تسرق.

٨.لا تشهد على قريبك شهادة زور.

٩.لا تشتهِ بيت قريبك، ولا تشتهِ امرأته، ولا أمته، ولا ثَوْره ولا حماره، ولا شيء مما لقريبك.

الاشتهاء مقبول والاشتهاء صحيح طالما لم يقع إلى إطار الفعل والتنفيذ، الاشتهاء أمر يتجاوز عنه الشرع؛ لكن اليهودية هنا تحرمه تحريمًا باتًّا، وهو ضد الطبيعة البشرية.

١٠. متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ودفع شعوبًا كثيرة أمامك؛ فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهدًا، لا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، بنتك لا تعطِ لابنه وبنته لا تأخذ لابنك؛ ولكن هكذا تفعل بهم: تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار؛ لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك...

هذه الوصية الخطيرة تمثل زاوية الفكر الإسرائيلي، والتي احتج بها عزرا وجعل مخالفتها سببًا لكل بلاء ونكبات إسرائيل -في اعتقادي أنها في مستوى الوصايا الأخرى وواحدة منها؛ فتكون هي العاشرة.

أما التشريعات:

منها ما هو للعبادة كالقرابين والذبائح، والكفارات والطهارة -الختان- وهو عهد الله مع إبراهيم؛ فالنفس التي لا تختن تقطع من شعبي (تكوين، إصحاح ١٧).

ومنها ما يتعلق بحقوق المجتمع والفقير كالعشور -الزكاة- وهناك الحدود أو قانون الجنايات أو العقوبات، ومنها أيضًا ما يوضح علاقة إسرائيل بما حولها من مجتمعات سلمًا وحربًا وتعاملًا، وما نقدمه هنا هو نماذج على سبيل المثال لا الحصر:

١. (تثنية ٢٢) رجم الزاني:

أ. إذا اتخذ رجل امرأةً ونسب لها كلامًا رديًّا، وقال: لم أجد لها عذرةً؛ أخذ الفتاةَ أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب، ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة؛ فيأخذ شيوخ المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائةٍ فضة، وإذا كان الأمر صحيحًا ولم توجد لها عذرة، يخرجون الفتاةَ إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى الموت.

ب. إذا وجد رجل مضطجعًا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان.

ج. إذا كانت عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها؛ فأخرِجوهما إلى باب المدينة كليهما وارجموهما بالحجارة: الفتاة؛ لأنها لم تصرخ، والرجل؛ لأنه أذل امرأة صاحبه.

د. ولكن إذا وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل واضطجع معها، يموت الرجل وحده ليس على الفتاة خطية؛ فقد صرخت فلم تجد من يخلصها.

ه. وإذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة وأمسكها واضطجع معها؛ يعطَى الرجل الذي اضطجع معها لأب الفتاة يعطي خمسين فضة، وتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيام حياته.

و. (خروج ٢٢/ ١٦): إذا وجد رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها؛ يمهرها لنفسه زوجةً، وإن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزِن لها فضة كمهر العذارى.

هناك بعض الملاحظات:

١. هو أن العهد القديم اعتمد على العذرة في بعض أحكامه، واعتبرها دليل إدانة، والحقيقة أن العذرة تعتبر قرينة وليست دليلًا نهائيًّا يمكن -بناءً عليه- إهدار حياة آدمية؛ فقد تضيع نتيجة رياضة عنيفة أو تختفي نتيجة عيب خلقي، ورجال الطب يفهمون ذلك.

٢. كما أن استيضاح هذا الأمر قد عهد به إلى والدي الفتاة وهما موضع شك بحكم صلة الدم والقرابة وحرصهما على ابنتهما؛ كما أن التسليم بأن الفتاة في المدينة تكون راضية وفي الحقل تكون مرغمة أمر يحتاج إلى مناقشة.

٣. هو أن الحكم بتغريم الزوج الذي عرض حياة زوجته للإهدار، وشوه سمعتها، وشرَفها بكَمٍّ من الفضة يعتبر شيئًا ضئيلًا، وتفريقًا في المعاملة بين الرجل والمرأة؛ كما أن تأسيس بيت للزوجية لا ينفصم أبدًا، وبناؤه أصلًا على الرذيلة والانحراف فيه هزة للبيت ذاته؛ كما أن التغريم بخمسين فضة للعذراء التي اغتصبت، أو بمهر العذارى عند رفض أبيها إهمال للركن الجنائي بالنسبة للقضية، وهكذا يعتبر الرجل قد أفلت في الحالات الثلاث بغير عقاب تقريبًا.

عقد مقارنة بين أحكام القرآن والعهد القديم:

١. وجدنا أن القرآن اعتبر الجريمة اعتداء من الطرفين على المجتمع وقيمه، وسوَّى في المعاملة بين الرجل والمرأة تمامًا في حد الرجم.

٢. هو أن القرآن لم يعتمد على العذرة مطلقًا، ولم يشِر إليها واشترط في جريمة الزنا أربعة شهود؛ فلا بد من توافر ركن العلنية في الجريمة؛ فإذا لم

يتوفر الشهود عند ذلك قذِف وجلِد صاحب الاتهام؛ مما يضع سياجًا لحماية الأعراض من القذف؛ حتى لا يسهل تبادل الطعن في الأعراض أو الوشاية بأحد، والتفريق الوحيد الذي جعله القرآن هو بين المحصن -أي: الذي سبق له الزواج- فجعل حده الرجم؛ أما غير المحصن فجعل حده الجلد، ثم إن الإسلام لم يؤسس بيتًا للزوجية على أساس الرذيلة؛ بل اشترط نفي طرفي الخطيئة إلى مكان لا يعرفان فيه؛ حتى يزول أثر الجريمة من أذهان الناس، وبين من لا يعرفونهم حتى يمكن إعطاؤهما فرصة أخرى لبداية حياة جديدة نظيفة؛ أما الإكراه فقد ترِك لتقدير ظروف القضية، ولم يضع افتراضات مسبقة.

٣. الربا (تثنية ٢٣/ ١٩): "لا تقرض أخاك بربا فضة طعام، أو ربا شيء مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا؛ ولكن لأخيك لا تقرض بربا؛ لكي يباركك الرب إلهك".

٤. التفرقة العنصرية في حكم الربا هنا واضحة: فمن المباح لليهودي التعامل بالربا مع غير اليهودي: "للأجنبي تقرض بربا"؛ وذلك لكي يتمكنوا من ابتزاز أموال الناس واستغلال حاجتهم؛ فأموال غير اليهود لا حرمة لها.

٥. "لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء؛ كل إنسان بخطيئته يقتل..." -(٢٤/ ١٦)، وهو مبدأ من مبادئ العدل الرئيسة في القوانين السماوية والوضعية، فلا يؤخذ إنسان بجريرة سواه ولا يحل أب مكان ابن أو العكس".

٦. (تثنية ١٩/ ١٥): لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب أو خطيئة على فم شاهديْن أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر..."، وهذا أيضًا تأمين لحياة الناس حتى لا يسهل التجني على أحد.

٧. المرتد يقتل (تثنية ١٧):

أ. إذا وُجد في سبطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يذهب ويعبد آلهة أخرى وفحصت جيدًا فإذا الأمر صحيح ؛ فأخرج هذا الرجل أو تلك المرأة إلى أبوابك وارجمه بالحجارة حتى يموت على فم شاهدين أو ثلاثة، يقتل الذي يقتل...".

أما في حالات الردة الجماعية (تثنية ١٨): إن سمعت على إحدى مدنك قد خرج أناس بنو لؤيم قائلين: نعبد آلهة أخرى ؛ فضربًا تضرب المدينة بحد السيف وتحرق المدينة.

ب. (لاويين ٢٤/ ١٦): من جدف على اسم الرب يقتل -التجديف: هو الكذب التقول والتخرُّص.

(لاويين ١٩/ ٣١): تحريم السحر والتعامل مع الشياطين: لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع.

جـ. (لاويين ٢٠/ ٢٧): "إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة ؛ فإنه يقتل بالحجارة دمه عليه..."، ويبدو أن الهدف هو قطع الطريق على السحر والسحرة حتى لا يستخدموا أتباعهم لاستحضار الجن على وسيط من الناس، وحتى يَرفض الناس ذلك.

د. الابن العاق يقتل: (لاويين ٩): كل إنسان سب أباه أو أمه يقتل دمه عليه.

هـ. مَن يعمل يوم السبت يقتل (خروج ٣٥/ ٢): إذا أحدث إنسان في قريبه عَيْبًا ؛ كذلك يُفعل به: كسر بكسر، وعين بعين، وسنٌّ بسِن، كما أحدث عيبًا في الإنسان ؛ كذلك يحدث فيه.

(تثنية ٢١/ ٢٢): المصلوب يدفن فورًا قبل الليل: "إذا كان على إنسان خطية حقها الموت؛ فقتل، وعلقته على خشبة؛ فلا تبت جثته على الخشبة؛ بل تدفنه ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله؛ لا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك".

الزواج:

أ. السبي (تثنية ٢١/ ١٠):

إذا خرجت لمحاربة أعداءك، وسبيت منهم سبيًا، ورأيت فيهم امرأة جميلة واتخذتها زوجة؛ تحلق رأسها وتقلم أظفارها، وتبكي أباها وأمها شهرًا، ثم تدخل عليها وتتزوج بها؛ وإن لم تسر بها أطلقها لنفسها ولا تبعها من أجل أنك أذللتها، وهذا قريب من حكم الإسلام في الجواري غير أن الإسلام أوضح الغاية؛ فالاقتران بسبي جارية جائز بشرط استفراغ الرحم، أي: وجود حيضة كاملة -على الأقل- للتأكد من أنها ليس بها حمل سابق، والسبي التي تنجب ولدًا، مطلق الولد بنت أو ولد تصبح أم ولد وتصير حرة؛ سواء بقيت زوجة أم أطلقت بعد ذلك؛ أما حلق الشعر فلا وجودَ له في الإسلام.

ب. مسألة الطلاق:

إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها؛ فإن لم تجد نعمة في عينيه؛ لأنه وجد منها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق؛ فإذا ذهبت وصارت لرجل آخر وكتب لها الرجل الآخر كتاب الطلاق أو مات؛ لا يقدر زوجها الأول أن يأخذها بعد أن تنجست.

غسل الجنابة: (لاويين ١٥/ ١٦): إذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء، والمرأة التي يضطجع معها رجل اضطجاع زرع؛ يستحمان بماء ويكونان نجسيْن إلى الماء.

العشور –الزكاة–: تعشيرًا تعشر محصولك زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنة، وتأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيك عشر حنطتك وخمرك وزيتك، وأبكار بقرك وغنمك؛ ولكن إذا طال عليك الطريق فبعه بفضة، وخذ الفضة في يدك واذهب وأنفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر، وافرح أنت وبيتك واللاوي الذي في أبوابك.

"في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة، وتضعه في أبوابك؛ فيأتي اللاوي والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون..."، اللاوي: هو الخادم.

يلاحظ أنه ذكر الزكاة بصفتين كل سنة، وجعل ذلك أشبه بمهرجان واحتفال أو عيد حصاد يتجمع الناس فيه في مكان ما، يمرحون ويتمتعون ويأكل معهم الفقير، ويسمع لصاحب المال بالتمتع ما شاء؛ أما القسم الثاني فهو موسم عقب كل ثلاث سنوات فيخرج منه صاحب المال نصيبه من الزكاة في أبوابه، ويتركه ليأكل منه الفقير والغريب واليتيم، الأرملة ولا حاجة به إلى الانتقال إلى مكان آخر؛ فهو في الحالة الثانية أقرب لزكاة الإسلام من الحالة الأولى، وهذا يحدث كل ثلاث سنين.

الأطعمة (تثنية): لا تأكلوا جثة ما تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي؛ لأنك شعب مقدس، الجثة إذًا أو الميتة حرام؛ ولكن لا مانع من إعطائها لأجنبي... وللمرة الثانية يلاحظ التفرقة العنصرية في الأحكام.

المحرمات في الأطعمة (تثنية ١٤/ ٣): لا تأكل رجسًا، هذه هي البهائم التي تأكلونها: البقر، الضأن، والمعز، والأيل، والظبي، واليحمور، والوعل، الرئم، والتيس، والمهاة، وكل بهيمة تشق ظلفًا وتجتر فإياها تأكلون إلا هذه: الجمل، والأرنب؛ لأنها تجتر؛ ولكنها لا تشق ظلفًا، والخنزير؛ لأنه يشق ظلفًا؛ لكنه لا يجتر؛ فهو نجس لكم؛ فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا.

اتفق الإسلام في المطعم الحلال مع أغلب هذا النص؛ فأباح المجتر بما فيها الأرنب والجمل وما شق الظلف مثل البقرة والغنم؛ ولكن الغريب في النص في العهد القديم أنه حرم لحم الخنزير وجعله نجسًا، وقد تحلل المسيحيون من هذا النص بعد بولس، وأباحوا لحم الخنزير الذي حرمه العهد القديم.

الحرب والسلام (تثنية ٢٠/ ١٠):

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها؛ استدعها للصلح؛ فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك وعملت معك حربًا فحاصرها، فإذا دفعها الرب أمامك؛ فاضرب جميع ذكورها بحد السيف؛ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فضمها لنفسك.

الخمر وحكمها:

أردت في الحقيقة أن أفرد للخمر جزءًا خاصًا في باب التشريعات؛ لأني رأيت أن الحديث عنها ينتابه شيء من الغموض؛ فلا يبدو أبدًا في تصرفات إسرائيل وأنبيائهم ما يفيد الاستياء من شرب الخمر؛ فإسحاق يشربها من يد يعقوب،

ويطلبها من عيسو وأبناء أيوب الذي يفعل المستقيم يشربونها، وعند فطام صموئيل تقدم أمه زقاق خمر في بيت العبادة كنوع من النذور، وحتى العهد الجديد تجد فيه إشارة غريبة في بعض الأحيان لهذا الأمر.

وبناء على ذلك تبحث هذه المسألة بشيء من التفصيل:

أولًا: التحريم:

أعتقد أن الحكم الرئيس في الخمر والذي يعتبر إلى حد كبير أهمُّ أساس يستند عليه التحريم هو ما جاء في (سفر اللاويين ١٠/ ١٨): وكلم الرب هارون قائلًا: خمرًا ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم خيمة الاجتماع؛ لكي لا تموتوا فرضًا دهريًّا في أجيالكم، وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر، ولتعليم إسرائيل جميع الفرائض التي كلم الرب بها موسى.

وهكذا كان على هارون ألا يشرب الخمر هو وبنوه حتى يكونوا قدوة، ومن خالف عند دخوله خيمة الاجتماع بشكل خاص تعرض للموت، وهذا لتعليم الأجيال اليهودية الفرائض والأحكام التي جاء بها موسى، وللتمييز بين النجس الحرام والطاهر الحلال.

ورغم أن هذا هو الحكم الرئيس -في رأيي- إلا أنه لا يمنع من وجود إشارات متفرقة هنا وهناك؛ ففي (تثنية ٢٩/ ٥) يقول: فقد سرت بكم في البرية أربعين سنة لم تبْلَ ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبْلَ على رجليك، لم تأكلوا خبزًا، ولم تشربوا خمرًا ولا مسكرًا؛ لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم..."، وهكذا يمن الخالق على بني إسرائيل بأنه أنعم عليهم ودربهم تدريبًا شاقًّا أربعين سنة ألا يطعموا خمرًا أو يتذوقوها؛ حتى يعيشوا حياة ربانية خالصة بغير أوزار.

وهناك نوع من التأكيد بشكل خاص لمن يريد التقرب إلى الله ﷻ بأن يبتعد تمامًا عن الخمر وكل مشتقاتها (عدد ٦/ ١): وكلم الرب موسى قائلًا: وقل لهم: إذا تفرز رجل أو امرأة لينذر نذرًا فعن الخمر والمسكر يفترز -يبتعد- ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر، ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنبًا رطبًا ولا يابسًا كل أيام نذره، ولا يأكل من كل ما يعمل من جفني الخمر حتى القشر كل أيام نذره وافترازه.

وهكذا يؤكد الخالق على موسى عليه السلام الأوامر الصارمة بأن يبتعد مِن نذر نذَرَه لله ﷻ عن الخمر ومشتقاتها حتى العنب والزبيب والقشر، وكل ما يمكن أن يكون مصدرًا للخمر.

(قضاة ١٣/ ٢): وكان رجل من صرعة والد شمشون وامرأته عاقرًا؛ فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي؛ ولكنك تحبلين وتلدين ابنًا، والآن احذري ولا تشربي خمرًا ولا مسكرًا، ولا تأكلي شيئًا نجسًا؛ فها أنك تحبلين وتلدين ابنًا، ولا يعل موسى رأسه، أي: لا يحلق أبدًا؛ لأن الصبي يكون نذيرًا لله من البطن ويخلص إسرائيل.

وحكت المرأة لزوجها؛ فدعا الله أن يرى الملاك واستجاب الله دعاءه؛ فسأل الملاك عند مجيء كلامك: ماذا يكون حكم الصبي؟ فقال الملاك: من كل ما قلت للمرأة؛ فلتتحفظ من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل وخمرًا مسكرًا لا تشرب، وكل نجس لا تأكل لتحذر من كل ما أوصيتها.

وهكذا يؤكد الملاك مرة أخرى للأب هذا التحذير؛ لكي ينشأ الطفل على الطهر وهو في بطن أمه.

وأيضًا العهد الجديد ؛ ففي (رسالة بولس) : ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة والمجون ؛ بل امتلئوا بالروح...". (رسالة بولس إلى أهل أفسس إصحاح ٥ / ١٨).

وفي العهد الجديد (إلى تيموثاوس ٥ / ٢٣) : لا تكن شراب ماء خمر ؛ بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة...". هنا تناقض بين العهد القديم والعهد الجديد ؛ يعني : لا بأس هنا باستعمال الخمر القليل ، وأن الخمر هنا ليس من المحظورات ؛ فهنا مغالطات وقع فيها أصحاب العهد الجديد.

قضية الأضحية والقرابين في اليهودية

تاريخ الأضحية والقرابين في رواية العهد القديم :

كان القربان جزءًا هامًّا من عبادة العبرانيين ؛ بل رافق عبادتهم منذ أول نشأتها ، وأول عبادة ذكرت في التوراة هي عبادة قايين وهابيل ، وكانت بالقرابين ؛ جاء في (سفر التكوين) : وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانًا للرب ، وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها ، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ؛ ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر ؛ فاغتاظ قايين جدًّا وسقط وجهه. (تكوين ٤ / ٣).

ثم عبادة نوح كما جاء في (سفر التكوين) : وبنى نوحٌ مذبحًا للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ، وكان رب العائلة يقوم بتقديم الذبيحة والمحرقة عنه وعن عائلته مثل إبراهيم وأيوب الذي كان يُصعد محرقات على عدد أولاده ، وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل ؛ فقدسهم ، وبكر في الغد ، وأصعد محرقات على عددهم كلهم ؛ لأن

أيوب قال: ربما أخطأ بَني وجَدَّفوا على الله في قلوبهم، هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام...". (أيوب ١/ ٥).

ولكن لما قام موسى وضع نظامًا دقيقًا ومفصلًا للقرابين، وحصر تقديم الذبائح في الكهنة، يعاونهم اللاويون في بعض الأمور، وكانوا يعبرون بالقرابين عن التوبة والاعتراف، والكفارة والتكريس والشكر على السلامة أو النجاح وغير ذلك.

مادة القرابين:

كانت القرابين تقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية؛ جاء في (سفر الخروج): لا تؤخر ملء بيدرك، وقطر معصرتك، وأبكار بنيك تعطيني..." (خروج ٢٢/ ٢٩).

أما الحيوانات الطاهرة التي تصلح للذبائح؛ فتشمل من البقر الثيران الفتية والكبيرة، ومن الغنم -أي: من الضأن والماعز- ما كان حوليًّا -أي: ابن سنة في الغالب- يقول الرب في (سفر الخروج): تكون لكم شاة صحيحة ذكرًا ابن سنة، تأخذونه من الخرفان أو من المواعز... (خروج ١٢/ ٥).

ولكن في بعض المناسبات لا تحدد الشريعة السن؛ كما في حالة تقديم ذبيحة السلامة التي يجوز فيها أن تكون ذكرًا أو أنثى من بقر أو غنم: "وإن كان قربانه ذبيحة سلامة، فإن قرَّب من البقر ذكرًا أو أنثى؛ فصحيحًا يقربه أمام الرب..." (لاويين ٣/ ١). "وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للرب ذكرًا أو أنثى؛ فصحيحًا يقربه..." (لاويين ٣/ ٦).

وكانوا يقدمون من الطيور اليمام والحمام فقط، وإن كان قربانه للرب من الطير محرقة يقرب قربانه من اليمان أو من أفراخ الحمام.

أما القرابين من الحبوب فكانت تقدم كدقيق من الزيت واللبان أو بعد أن تخبز أقراصًا ملتوية بزيت أو رقاقًا مدهونة بزيت: "وإذا قربت قربان تقدمة مخبوزة في تنُّور؛ تكون أقراصًا من دقيق فطيرًا ملتوتةً بزيت، ورقاقًا فطيرًا مدهونةً بزيت، وإن كان قربانك تقدمة على الصاج؛ تكون من دقيق ملتوتةٍ بزيت فطيرًا تفتها فتاتًا وتسكب عليها زيتًا؛ إنها تقدمة..." (لاويين ٢/ ٤ : ٦).

"أما خبز الوجوه الذي كان يُصنع أقراصًا سميكةً تُوضع على مائدة الرب في كل سبت؛ فلم تكن ملتوتة بالزيت؛ بل كان يوضع لها بعض اللبان، وتأخذ دقيقًا، وتأخذه اثني عشر قرصًا، عشرين يكون القرص الواحد، وتجعلها صفين: كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب، وتجعل على كل صف لبانًا نقيًّا؛ فيكون للخبز تذكارًا وقودًا للرب، في كل يوم سبت يرتبه أمام الرب دائمًا من عند بني إسرائيل ميثاقًا دهريًّا".

أما باكورات الحبوب؛ فقد كانت تُقدم بشكل فريك مشوي وجريش: "وإن قربت تقدمة باكورات للرب؛ ففريكًا مشويًّا بالنار جريشًا سويقًا تقرب تقدمة باكوراتك، وتجعل عليها زيتًا وتضع عليها لبانًا؛ إنها تقدمة؛ فيوقد الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقودًا للرب..." (لاويين ٢/ ١٦).

وكان الزيت يُعد من التقدمات الفاخرة والمحترمة: "وبكر يعقوب في الصباح، وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عمودًا وصب زيتًا على رأسه..." (تكوين ٢٨/ ١٨).

بما أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟! هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟! هل يُسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت؟! هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي؟!" (ميخا ٦/ ٦ : ٨).

والخمر كان من السوائل الزراعية التي تُقدم للرب مع القرابين الأخرى.

كيفية تقديم الذبائح:

اختلفت الضحايا والقرابين فيما يتعلق بأساليب تقديمها؛ كما اختلفت فيما يتعلق بنوعها؛ غير أن أشهر هذه الأساليب وأكثرها انتشارًا في الأمم: هو تقديم الأضحية إلى الآلهة بإلقائها جميعًا أو بعض أجزائها في النار، وانتشار الدخان المنبعث من حرقها في أرجاء المذابح والهياكل المقدسة، وتصاعد رائحتها التي تعجب الآلهة -كما تقول أسفار العهد القديم- في طبقات الفضاء.

وهذه الطريقة وحدها هي التي أقرها العهد القديم في معظم أنواع القرابين؛ حتى في قرابين النبات وما يصنع منه كالدقيق والفطائر؛ كما تنص على ذلك الإصحاحات: الأول، والثاني، والسادس، والسابع، وغيرها من (سفر اللاويين) الذي جاء معظم فقراته وقفًا على بيان أنواع الضحايا وأحكامها وطقوسها وأوقاتها ومناهج تقديمها، ولا غرابة في ذلك؛ فإن هذا السفر قد جاء لبيان وظائف اللاويين الذين هم أفراد قبيلة من قبائل بني إسرائيل، وتتألف من أولاد لاوي وهو أحد أبناء يعقوب، وتفصيل حقوقهم وواجباتهم نحو بقية قبائل بني إسرائيل، وأهم الوظائف التي نيطت بهم كانت تتصل بالإشراف على المذابح وأعمال التضحية، وتقبل القرابين وتقديمها.

"وكان مقرب الذبيحة يضع يده على رأسها ويعترف بالخطيئة، وبعد سلخ الذبيحة يقطعونها ويحرقون ما أُمِر بحرقه على المذبح، وأحيانًا كانت ترفع القطع أو تردد أمام الرب"، (انظر لاويين ١/ ١: ٩، ٤/ ٤)، و(أخبار الأيام الثاني ٢٩/ ٢٤).

وإذا لم يكن عدد الكهنة كافيًا ؛ كان اللاويون يساعدونهم على سلخ الحيوانات، يبين ذلك سفر أخبار الأيام الثاني بعد عرضه لاستجابة بني إسرائيل لحزقيال في تقديم القرابين، فيقول: "إلا أن الكهنة كانوا قليلين ؛ فلم يقدروا أن يسلخوا كلَّ المحرقات ؛ فساعدهم إخوتهم اللاويون ؛ حتى كمل العمل، وحتى تقدس الكهنة ؛ لأن اللاويين كانوا أكثر استقامة قلب من الكهنة في التقدس".

قِسمة القرابين:

كانت القرابين على نوعين:

الأول: ما يقدم كله للرب.

الثاني: ما يخصص قسم منه للرب.

والقسم الآخر للكهنة، أو لهم وللعابدين الذين يقدمونها احتفالًا بالعيد.

النوع الأول: يشمل المحرقات: ويقطعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه، ويرتبهن الكاهن فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح، ويشقه بين جناحيه لا يفصله، ويوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب الذي على النار ؛ إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب..."، (لاويين ١٢، ١/ ١٢، ١٧).

وتقدمات الكهنة من الدقيق: والكاهن الممسوح عوض عنه من بنيه يعملها فريضة دهرية للرب، توقد بكمالها، وكل تقدمة كاهن تحرق بكمالها ؛ لا تؤكل..." (لاويين ٦/ ٢٢، ٢٣).

أما التقدمات العامة من الدقيق الملتوت بالزيت واللبان: "فيأخذ الكاهن ملء قبضته فيوقده تذكارًا على مذبح الرب، وقود رائحة سرور للرب، والباقي يكون طعامًا للكهنة..." (لاويين ٢/ ٧: ١٠، و١٤: ١٦).

أما الذبائح التي كان يقدمها الناس الذين يحتفلون بالعيد -كذبيحة السلامة- "فإن الكاهن يأخذ منها الصدر فيردده أمام الرب والساق اليمنى التي تسمى ساق الرفيعة..."، (لاويين ٧/ ٣٠ : ٣٤ وصموئيل ١/ ١١ : ١٥).

وما تبقى من الذبيحة يأكله المعيدون أصحاب الذبيحة، وقد كانت لهم أعياد سنوية تصطلح عليها كل عائلة أو عشيرة؛ فيجتمع أفرادها المتفرقون؛ فيذبحون ويعيدون معًا: "وإذا افتقدني أبوك فقل قد طلب داود مني طلبة أن يركض إلى بيت لحم مدينته؛ لأن هناك ذبيحةً سنوية لكل العشيرة" (صموئيل ١/ ٢٠ : ٦).

أنواع القرابين:

١. المحرقات: وكانت للتكفير عن الخطيئة، وكانت تقدم كل يوم، وهي المحرقة الدائمة؛ جاء في (سفر العدد): وتقدم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة، وتطهر المذبح بتكفيرك عليه، وتمسحه لتقديسه، سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدمه وتقدسه؛ فيكون المذبح قدس أقداس؛ كل ما مس المذبح يكون مقدسًا، وهذا ما تقدمه على المذبح: خروفان، حوليان، كل يوم دائمًا، الخروف الواحد تقدمه صباحًا، والخروف الثاني تقدمه في العشية، وعشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرضِّ، وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد، والخروف الثاني تقدمه في العشية مثل تقدمة الصباح، وسكيبه تصنع له رائحة سرور، وقود للرب، محرقة دائمة في أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب؛ حيث أجتمع بكم لأكلمك هناك، وأجتمع هناك ببني إسرائيل؛ فيقدس بمجدي...". (خروج ٢٩/ ٣٦: ٤٢).

ويزاد عليها محرقة يوم السبت: "وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان، وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمة، مع سكيبه محرقة كل سبت، فضلًا عن المحرقة الدائمة وسكيبها". (العدد ٢٨/ ٩، ١٠).

ويوم التفكير: "وقال الرب لموسى: كلم هارون أخاك ألا يدخل كل وقت إلى القدس، داخل الحجاب أمام الغطاء الذي على التابوت؛ لئلا يموت؛ لأني في السحاب أتراءى على الغطاء، بهذا يدخل هارون إلى القدس بثوْر ابن بقر لذبيحة خطية وكبش لمحرقة" (لاويين ١٦/ ٣: ٣٤).

والأعياد الثلاثة الكبرى: "وفي رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب: ثورين ابني بقر، وكبشًا واحدًا، وسبعة خراف حولية صحيحة، وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل ثور، وعُشرَيْن من دقيق ملتوت بزيت تقدمة للكبش الواحد، وعشرًا واحدًا من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل خروف، محرقة رائحة سرورٍ وقودًا للرب" (العدد ٢٨/ ١١: ٢٦).

٢. التقدمة: وكانت من الدقيق مع زيت ولبان: "وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب؛ يكون قربانه من دقيق، ويسكب عليها زيتًا، ويجعل عليها لبانًا، ويأتي بها إلى بني هارون الكهنة، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها، ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب"، (لاويين ٢/ ١: ٤، ٤: ١٣).

يؤخذ قليلٌ من الدقيق والزيت المقدمَيْن مع كل اللبان ويوقد على المذبح، أو يعمل منه قطائف على الصاج؛ وأما البقية فكانت للكهنة، وكانت التقدمة خالية من الخمير أو العسل؛ لكنها تمزج بقليل من الملح: "كل التقدمات التي تقربونها للرب لا تصطنع خميرًا؛ لأن كل خمير وكل عسل لا توقدوا منهما وقودًا

للرب، قربان أوائل تقربونهما للرب؛ لكن على المذبح لا يصعدان لرائحة سرور، وكل قربان من تقادمك بالملح تملّحه، ولا تخلِ تقدمتك من ملح عهد إلهك، على جميع قرابينك تقرب ملحًا.

وكانوا يقدمون مع هذه التقدمات سكيبًا من الخمر، وعشرًا من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرضِّ، وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد. وكانت التقدمات تقدم كل يوم مع المحرقة: "والخروف الثاني تقدمه في العشية مثل تقدمة الصباح وسكيبه تصنع له رائحة سرور ووقود للرب".

٣. خبز الترديد وحزمة الترديد:

أما حزمة الترديد؛ فكانت من أولى باكورات الأرض، ويقدمونها في عيد الفصح: "وكلم الرب موسى قائلًا: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم: متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها؟ تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن، فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم، في غد السبت يرددها الكاهن، وتعملون يوم ترديدكم الحزمة خروفًا صحيحًا حوليًّا محرقةً للرب، وتقدمته عُشرَيْن من دقيق ملتوت بزيت، وقودًا للرب رائحة سرور، وسكيبه ربع الهين من خمر، وخبزًا وفريكًا وسويقًا لا تأكلوا إلى هذا اليوم عينه، إلى أن تأتوا بقربان إلهكم، فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم" (لاويين ٢٣/ ١٠: ١٤).

وأما خبز التردد أو الترديد؛ فيقدمونه في عيد الخمسين: "من مساكنكم تأتون بخبز ترديد: رغيفين عشرين يكونان من دقيق، ويخبزان خميرًا باكورة للرب، وتقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية، وثورًا واحدًا ابن بقر، وكبشين محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها وقود رائحة سرور للرب، وتعملون تيسًا واحدًا

من المعز ذبيحة خطية، وخروفين حوليين ذبيحة سلامة؛ فيرددها الكاهن مع خبز الباكورة ترديدًا أمام الرب مع الخروفين؛ فتكون للكاهن قدسًا للرب" (لاويين ٢٣/ ١٧: ٢٠).

٤. **الرفيعة:** وهي من الغلال بعد الحصاد: "أول عجينكم ترفعون قرصًا رفيعة كرفيعة البيدر؛ هكذا ترفعونه من أول عجينكم تعطون للرب رفيعة في أجيالكم" (العدد ١٥/ ٢٠، ٢١).

٥. **ذبائح السلامة:** وكانت للشكر أو للتكريس للرب: "وهذه شريعة ذبيحة السلامة التي يقربها للرب؛ إن قربها لأجل الشكر يقرب على ذبيحة الشكر أقراص فطير ملتوتة بزيت، ورقاق فطير مدهونة بزيت، ودقيقًا مربوكًا أقراصًا ملتوتة بزيت، مع أقراص خبز خمير يقرب قربانه على ذبيحة شكر سلامته، ويقرب منه واحدًا من كل قربان رفيعة للرب، يكون للكاهن الذي يرش دم ذبيحة السلامة، ولحم ذبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه، لا يبقي منه شيئًا إلى الصباح" (لاويين ٧/ ١١: ١٣). وكانت من الحيوانات التي يتساهل في أمره من جهة الجنس والسن ومن أثمار الأرض.

٦. **ذبائح الخطيئة:** وكانت تقدم للتكفير عن الخطايا، وقد وردت الشرائع الخاصة بهذه الذبائح في (سفر اللاويين في الإصحاحين الرابع والخامس)، وكان لا يسمح لمقدمي هذه الذبائح أن يأكلوا أي جزء منها، بخلاف ذبائح السلامة؛ لأن مقدم هذه الذبائح كان يتقدم إلى الله في عدم استحقاقات للشركة معه؛ فإن هذه الذبائح كانت تقدم للتكفير عن الخطيئة -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- وقد أشار النبي حزقيال إلى ذبائح الخطيئة في نبواته، (راجع حزقيال ٤٣/ ١٩، و٤٤/ ٢٦، ٢٧، و٤٥/ ١٧: ١٩، و٤٥/ ٢٢، ٢٣).

وتتميز هذه الذبيحة من الجهة الطقسية عن غيرها برش الدم على قوائم البيت، وعلى زوايا المذبح الأربع وعلى قوائم باب الدار الداخلية، وعلى قرون المذبح الأربعة، وحرق الجثة خارج المحلة عندما يكون السبب وقوع الجماعة في خطيئة، وغفلة الجماعة كلها عن تلك الخطيئة: "مع أقراص خبز خمير يقرب قربانه على ذبيحة شكر سلامته، ويقرب منه واحدًا من كل قربان رفيعة للرب، يكون للكاهن الذي يرش دم ذبيحة السلامة، وتسمى هذه الذبيحة بذبيحة خطيئة الجماعة كلها، وفي يوم التكفير يأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطيئة وينضح بإصبعه على وجه الغطاء الذي على الشهادة إلى الشرق، وقدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم بإصبعه" (انظر لاويين ١٦/ ٢: ٣٤).

٧. ذبائح الإثم: وتقدم غالبًا عن الخطايا الشخصية والتي تحدث سهوًا، وتكون الذبيحة غالبًا كبشًا؛ فيأتي بكبش صحيح من الغنم بتقويمه ذبيحة إثم إلى الكاهن؛ فيكفر عنه الكاهن من سهوه الذي سها وهو لا يعلم؛ فيصفح عنه إنه ذبيحة إثم قد أثم إثمًا إلى الرب" (لاويين ٥/ ١٨، ١٩).

وطريقة تقديمه كطريقة تقديم ذبيحة الخطيئة: "ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية لهما شريعة واحدة الكاهن الذي يكفر بها تكون له".

(الشريعة اليهودية؛ الصحيح منها والزائف (٢))

عناصر الدرس

تطور معنى القرابين في العهد القديم، وقضية تطوير القرابين البشرية

١. تطور معنى القرابين في العهد القديم:

أخذ الكهنة وعامة الناس ينظرون إلى الذبائح من الناحية الطقسية، ويظنون أن الدين مجرد طقوس، ولما أهملوا الواجبات الأدبية قام الأنبياء ينددون بهذا النقص؛ فأكد صموئيل لشاءول: أن الطاعة أفضل من الذبيحة؛ فقال صموئيل: "هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش".

ونحن نلاحظ أن مسألة الأضحية ومسألة التكفير عن الخطايا هي عبارة عن مأكولات وأطعمة وذبائح ومحرقات تحرق على النار، لا يستفيد أحد بها، وأيضًا يتوفر فيها عنصر الكاهن حتم وضروري وشيء من الواجبات.

ونحن نعلم في الإسلام أن الله ﷻ قد أخبر في كتابه العزيز: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧] وليس أدل على فسادهم من أن الرب يتلذذ بهذه المحرقات وبهذه الأدخنة.

وقال أشعياء: اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم، أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة، لماذا لي كثرة ذبائحكم؟ يقول الرب: اتخمت من محرقات كباش وشحم مسنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر حينما تأتون لتظهروا أمامي، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري، لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهة لي، أشعياء ١/ ١٠ : ٢٠.

وهوشع بين لهم أن الله يريد رحمة لا ذبيحة ؛ فقال : إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات، هوشع ٦ / ٦.

وفي عاموس يقول الرب : بغضت كرهت أعيادكم، ولست ألتذ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عني ضجة أغانيك، ونغمة رضابك لا أسمع.

ولو أنه لا انتقاد على الذبائح التي كان يقدمها السالكون بالعدل والرحمة وطاعة الله، ولكن الانتقاض على الذبائح التي يقدمها الأشرار، كما جاء في الأمثال : ذبيحة الأشرار مكرهة الرب، وصلاة المستقيمين مرضاته.

٢. تطوير القرابين البشرية :

مما سبق بيانه رأينا أن القرابين في اليهودية كانت تشمل الضحايا، فكان الإنسان يقدم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمار، واستمر الأخذ بهذه العادة فترة طويلة امتدت إلى عهد الانتقام ؛ حيث قدم الملك آخاذ ابنه قربانًا للآلهة، وفي هذه المرحلة زادت عقائدهم انحرافًا ووحشيةً فيما يتعلق بشئون الأضحية والقرابين، فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل، وتقديمهم قربانًا لآلهتهم، ومزج دمائهم بعجائن الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح، وعيد إستير، ومراسم ختان الأطفال، واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم، وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهود إلى ربهم، وما تقر به عين إلههم، لكن اليهود يرون أن الآلهة اكتفت بجزء من الإنسان بدلًا من أن يضحى بالإنسان كله، وكان هذا الجزء هو ما يقتطع في عملية الختان، وقال الرب

لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون، ولكن أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب، فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني فأبيتَ أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر، وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه، وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة صوانة، وقطعت غرلة ابنها، ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي، فانفك عنه، حينئذٍ قالت: عريس دم من أجل الختان، خروج ٤/ ٢١: ٢٦.

وقد بقيت عملية الختان رمزًا للتضحية، وبقي مع جزء الختان الحيوان والثمار، فأصبح يضحى بالبقر والخراف، أو ببواكر الثمار، تحرق أمام المعبد مع الجزء الذي يُقطع في الختان، وكانت القرابين عبارة عن هدية يتقرب بها الشخص للإله رجاءَ قضاء حاجة يريدها، وكانت أحيانًا للشكر والاعتراف بعون حصل عليه الشخص قبل تقديمها.

والتطور في نوع القرابين الذي ذكرناه آنفًا كان نتيجة للتطور في الفكر اليهودي عن الإله، فقد كان يهوه في بادئ الأمر إلهًا يحب الدم، وكانت اليهودية دين فزع وذعر وخوف، ولم يكن يطفأ حقد الإله إلا بالدم المسفوك، فلما ترقت فكرة اليهود عن الإله وقالوا بإله بر وصالح أصبح هذا يكتفى بالختان بدل الإنسان، كما يكتفَى بالحيوان والثمار، ونخالف مفاد القول السابق بأن اليهود عرفوا الختان في مرحلة متطورة من مراحل تطور الفكر اليهودي، فلا خلاف على أن الختان عرف كفطرة وكعبادة قبل ظهور اليهودية بزمن طويل؛ حيث اختتن نبي الله إبراهيم عليه السلام بعدما أتت عليه ثمانون سنةً، وذلك قبل نزول التوراة، أي: قبل ظهور اليهود، وهذا القول مجمع على صحته، ولا خلافَ عليه بين أهل العلم،

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة، واختتن بالقدوم)). (صحيح البخاري). عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر)) صحيح الإمام البخاري.

وعند البخاري في صحيحه باب: إذا التقى الختانان، علق عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ فقال: المراد بهذه التثنية ختان الرجل والمرأة، والختن: قطع جلدة كمرته، وخفاض المرأة، والخفض قطع جليدة في أعلى فرجها تشبه عرف الديك بينها وبين مدخل الذكر جلدة رقيقة.

ونود أن نشير هنا إلى أن إبراهيم عليه السلام ليس أول من اختتن، بل قد وردت نصوص في الكتب السابقة تفيد أن أول من اختتن هو آدم عليه السلام بل يدعي الشعب اليهودي أن الله خصهم بميزة دون سائر الأمم، وهي الختان، وأن الله قد أخذ عليهم العهد بذلك، فهو محفوظ بينهم وبين الله سبحانه وتعالى والختان من الشعائر المعروفة في اليهودية، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام، وقد جعل هذا الطقس علامةً عهد بين الله وإبراهيم الذي اختتن هو وأهل بيته وعبيده الذكور، وكان الختان يقوم به عادةً رب البيت أو أحد العبرانيين، ثم تجددت سنة الختان لموسى، وفي اليوم الثاني يُختن لحم غرلته، فقضى ألا يأكل الفصح رجل أغرلًا، وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السُّنة، وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية على أنه عند دخول أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله، في ذلك الوقت قال الرب ليشوع: اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل ثانية، يشوع ٥/ ٢: ٩.

وكان مفروضًا على كل الغرباء الذين يقبلون الدخول في اليهودية أن يخضعوا لهذا الفرض مهما تكن أعمارهم، يصف ذلك سفر التكوين في الإصحاح الرابع والثلاثين؛ حيث يصف خطبة شكيم بن حمور لدينة ابنة يعقوب، راجع تكوين ٣٤/ ٦ : ١٧، و٢٢، وخروج ١٢/ ٤٨.

على أن الختان كان شائعًا ومعروفًا بين المصريين القدماء وغيرهم من الشعوب، إلا أنه لم يكن معروفًا لدى الفلسطينيين، ولكنه في اليهودية كان فرضًا دينيًّا للتمييز بين نسل إبراهيم وباقي الناس، أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضًا؟ التطويب يعني الثناء والشكر كقولهم: طوبى لك طوبى لك، فهذا هو التطويب، أفهذا التطويب وهو على الختان فقط أم على الغرلة أيضًا؟ لأننا نقول: إنه حُسِبَ لإبراهيمَ الإيمان برًّا فكيف حسب أو هو في الختان أم في الغرلة؟ ليس في الختان بل في الغرلة، وأخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان الذي كان في الغرلة؛ ليكون أبًا لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة، كي يحسب لهم أيضًا البر، وأبًا الذين ليسو من الختان فقط، بل أيضًا يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة، ورومية ٤/ ٩ : ١٢.

ومعنى الختان الروحي لدى اليهود هو تكريس الجسد؛ ولذلك كانوا يدعون أنفسهم أهل الختان، ويدعون من عداهم أهل الغرلة، وفي بكور العصر المسيحي زعم فريق من اليهود المتنصرين أن حفظ تلك السنة ضروري للخلاص، ولهذا قال بولس في رسالته إلى غلاطية: ها أنا بولس وأقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا، لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس، فبولس كان ساخطًا جدًّا على موضوع الختان؛ لأنه كان بيحاول ينسلخ من العهد القديم.

ولا يزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه السنة بكامل طقوسها، فيأتون بالولد إلى المجمع فيأخذه رجل يدعى سيد العهد، ثم يأتي الخاتن ويجري عملية الختان مع بعض الطقوس والمراسيم، بل عندهم ما يسمى بخرافة كرسي النبي إلياهو، النبي إلياهو -يعني: النبي إيلياء- والخرافة هي أنهم يقيمون حفلًا للمختون، اليهود إلى يومنا هذا يقيمون حفلًا للمختون، هذا الحفل توضع فيه الكراسي للمدعوين ويبقى كرسي في مكان متميز عال عن بقية الكراسي، هذا الكرسي فارغ تمامًا يحرم على أحد من المدعوين أن يجلس عليه، ويعتقدون أن النبي إلياهو ينزل فيجلس على الكرسي فيشهد حفل الختان، ولا يراه أحد من الحاضرين، خرافة يهودية موجودة عندهم.

الأضحية والقرابين من خلال تلمودهم:

التلمود والذبائح البشرية:

إذا كانت التوراة قد تحدثت عن الأضحية والقرابين ضمن أسفارها بطريقة مفصلة تضمنت تاريخها وأنواعها وشروطها وتطورها، فاستكمالًا لهذا البحث عن حقيقة القرابين البشرية وعادات اليهود الوحشية في هذا الجانب، أوضح في هذا المبحث إحدى عادات اليهود الدينية، وهي المتعلقة باستنزاف غير اليهود من أجل مزجه بالعجين الذي يصنع منه فطير العيد الذي يأكله اليهود، وهذه العادة في التلمود تشكل نسقًا غريبًا عن التوراة؛ إذ إنها اتخذت من الدم البشري غير اليهودي طقوسًا دينية ترتجف لها أعصاب الإنسانية، وأقتطف لكم بعضًا من تعاليم التلمود الإجرامية؛ لأنها كثيرة جدًّا؛ ومنها:

١. قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم بها اليهودي، مثال ذلك: الأسطول الإنكليزي الذي قصفه اليهودُ بعد أن تسلموا المناطق الفلسطينية منهم، وقتل مجموعة من الضباط الإنجليز في فلسطين بواسطة عصابة الهاغاناه الصهيونية، وأيضًا نسف فندق داود الذي قُتل فيه مائة موظف إنكليزي، وذلك لكي يتخلص اليهود من الإنكليز فتصور المكر والغش.

٢. اقتل الصالح من غير اليهود، فعل أمر مثال الأب توما، وغيره.

٣. قتل النصارى من الأفعال التي يكافئ الله عليها، وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت وعلى أي وجه، كما أن هناك نصوصًا إجرامية كثيرة وردت في التلمود، وكتب اليهود لا يتسع البحث لإدراجها.

وهذه اعترافات بعض متخصصي الدراسة اليهودية تبين مدى إجرام اليهود في الذبائح البشرية:

نقل الدكتور الألماني إريك باسكوف عن كتاب يهودي اسمه (زكيوم زوير) ما معناه: إن من حكمة الدين وتوصيته قتل الأجانب الذين لا فرقَ بينهم وبين الحيوانات، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية، والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم، واعترف السير ريتشاد بورثون الذي درس التلمود وعلاقته بغير اليهود في كتابه (اليهود والنور والإسلام) يقول التلمود: عندنا مناسبتان دينيتان ترضيان إلهنا يهوه؛ إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا. ولليهود

عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية بل إن كتاب (سر الدم المكتوب) ألفه الحاخام تاوفطيوس الذي اعتنق المسيحية بعد اطلاعه على فظائع التلمود، وعرف خفايا البروتوكولات الصهيونية السرية التي تبيح للصهيوني سفك الدماء يعد من أخطر الكتب التي تخفيها الصهيونية العالمية، وقد أصبح معروفًا أن العقائد التلمودية تؤكد سفك دماء غير اليهود، وأن من يقتل مسيحيًّا أو أجنبيًّا أو وثنيًّا يكافأ بالخلود في الجنة، والإقامة في القصر الرابع.

أعياد اليهود، والقرابين البشرية

١. عيد البوريم الأسود.

٢. عيد الفصح.

أولًا: عيد البوريم:

كلمة بوريم عبرية مشتقة من كلمة بور أو فور البابلية، ومعناها قرعة، أي: نصيب، هو عيد يحتفلون به كل عام في اليوم الأول من الشهر السابع حسب التقويم العبري وليس الميلادي الموافق لشهر فبراير من التاريخ الميلادي، ويكون احتفالهم في الكنيسة بمناسبة ذكرى الإلهة إستير التي أقنعت ملك الفرس بالسماح لليهود بقتل وزيره هامان، وذبح عشرات الألوف من الفُرس بما فيهم الأطفال والشيوخ والنساء بحجة أن هامان كان ينوي ذبح اليهود، وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود، فأحبطت إستير كيده ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره، ومكنت اليهود من ذبح عشرات ألوف من

بني قومه كان منهم كثير من الأطفال والنساء، وقد خصص لهذه القصة سفر من أسفار العهد القديم، وكان ذلك بمساعدة يهودي اسمه مردخاي؛ ولذلك يسمى هذا السفر بسفر إستير، ومردخاي.

وذبائح عيد البوريم تنتقى عادة من الشباب البالغين، يؤخذ دم الضحية ويجفف على شكل ذرات تُمزج بعجين الفطائر، ويحفظ ما يتبقى للعيد المقبل، والحاخامات في ليلة هذا العيد يضع كل منهم جملة أرغفة معجونة بالعسل بصورة مثلثة الزويا مازجًا عجينها بشيء قليل من الدم المسيحي، ويوزع عدد منها على كل من اليهود المتعلق هو بخدمتهم الدينية، وكل واحد منهم يوزع على أصدقائه، وعن هذا العيد قد تنبأ بها النبي أرميا على حد تعبير العهد القديم قائلًا: أيضًا في أذيالك وجد دم نفوس المساكين الأذكياء، أرمياء ٢/ ٣٤.

ويقول النبي حزقيال للذين يسألون عن سر عدم امتلاك الأرض المقدسة فيجيبهم قائلًا: يقول الرب: يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحدًا وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثًا؛ لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب: تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض، حزقيال ٣٣/ ٢٤: ٢٥، وهذا العيد لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى عليه السلام ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكاري متصل بملابسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، بناء على وعد صدَرَ من ملك الفرس إلى ممثل الجالية اليهودية المقيمة عند الكلدانيين بالعراق، بأنه إذا تم لهم بمساعدتهم طبعًا دخول العراق وتدمير الدولة الكلدانية سيعيدهم إلى فلسطين، وبطبيعة الحال كان تقرير الاحتفال بتلك الذكرى وما علق بها من حكايات متأخرًا بالنسبة لتلك الحوادث، وهو احتفال أشد التصاقًا بالسياسة منه بالدين؛ ولذلك فإنه يحظَى في ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص، ويدور حول قصة اليهودية إستير.

ومع هذا اختفى هذا العيد تقريبًا في الولايات المتحدة نظرًا لتفاعل اليهودية الأمريكية مع محيطها الحضاري، فهذا العيد يقع في فبراير؛ حيث لا توجد أية أعياد أمريكية، أو مسيحية الأمر الذي أدى إلى ضمور العيد على عكس عيد التدشين الذي يتزامن مع احتفال عيد الميلاد المسيحي، ولهذا أصبح عيدًا مهمًا للغاية، وهناك أعياد بوريم خاصة بكل جماعة يهودية تحتفل فيها بنجاتها من إحدى الكوارث، مثل: بوريم القاهرة ٢٨ آزار الذي أصبح يحتفل به ابتداء من عام ١٩٢٤، وبوريم بدوا ١٠ أيلول، وهناك أعياد بوريم خاصة بكل فرد، والاحتفال بهذه الأعياد الخاصة يشبه الاحتفال بالعيد الديني.

ثانيًا: عيد الفصح اليهودي:

عيد الفصح أو عيد الفسح هو المصطلح المقابل العربي للكلمة العبرية بيساح، ويبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان -أبريل- ويستمر سبعة أيام في إسرائيل، وعند اليهود الإصلاحيين، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير، وفي اليومين الأولين واليومين الأخيرين خارج فَلسطين، وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة، أما الأيام الأربعة الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقترن ذلك بطقوس احتفالية كبرى، وينتهي احتفالهم به في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان، وهو اليوم الذي تذكر فيه توراتهم أن الله أغرق فيه فرعون وجنده، ونجى موسى وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وخروجهم من مصر، وتختار الذبائح في عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلًا، ويمزج دم الأضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه.

طريقة تقديم الذبائح البشرية:

وتختلف الذبائح البشرية لعيد البوريم عن ذبائح عيد الفصح من حيث النوعية في الذكورة والبلوغ، ومن حيث نوعية الضحية بذاتها.

وسأتحدث أولًا عن الطريقة التي يذبح الحاخامات فيها الإنسان قربانًا ليهوه، ثم أتحدث عن نوعية الذبائح.

الطريقة الأولى: يؤتى بالضحية، وتوضع في برميل إبري، وهو برميل يتسع لجسم الضحية مثبت بجوانبه، وبشكل مكثف طولي وعرضي إبر، وحين وضع الضحية بداخله وهي حية تغرز هذه الإبر الحادة بجسمه، وبالتالي كلما تحركت الضحية بسبب الألم وبسبب طلوع الروح ينزف الدم في هذا البرميل، ويصفى الدم بشكل كامل، بحيث تخرج الروح وآخر نقطة دم من الضحية معًا، ويتلذذ المجرمون اليهود بهذا العمل، ويبدو للقارئ مدى خضرمة هؤلاء بالإجرام ضد الإنسان، إنه شيء فظيع.

الطريقة الثانية: إذا كان المكان غير آمن، فإنهم ينفذون عملهم الإجرامي بسرعة، ودون أن يتلذذوا به، فيذبحون الضحية من الرقبة وفي أمكنة الشرايين، ويوضع تحتها إناء واسع كي ينزف الدم بداخله، ثم يجمع ويعبأ في زجاجات، وتؤخذ زجاجات الدم في كلا العيدين، وتسلم للحاخام الأكبر في المنطقة التي يتواجد فيها فيقوم بمباركته، ثم يعجن هذا الدم مع السميد، ويعد الفطائر للعيد المقدس، ومن ثم يقوم بتوزيعها على أتقياء اليهود فيتناولونها بشراهة كشراهة حقدهم الدفين على المسيح عليه السلام وأتباعه.

أما شروط الضحية في عيد الفصح فتختلف عن شروط الضحية في عيد البوريم، وهي:

١. أن تكون الضحية من المسيحيين.

٢. أن تكون ذَكَرًا بالغًا ليقدم للإلهة إستير.

٣. أن يكون خلوقًا ومهذبًا ومتدينًا.

٤. أن يكون مرهفَ الإحساس، خجولًا؛ لأن هذا يدل على جودة الدم الذي لديه.

٥. لم يزنِ أو يتنجس بعلاقة جنسية.

٦. أن تكون الضحية من أصدقاء اليهود العزيزين عليهم جدًّا حتى لا يكون الدم ملوثًا بالعداوة تجاههم.

٧. تكون فرحة يهوه كبيرة وعظيمة إذا كان الدم الممزوج مع فطير الأعياد هو دم قسيس، وهذا يصلح لكل الأعياد.

ويمكن الأخذ بهذه الشروط حسب الإمكان، ولكن الشرط الأساسي أن تكون الضحية مسيحية، والشروط الأخرى تكميلية يمكن أن يغض النظر عنها يهوا إذا لم يتمكن اليهود من تطبيقها لظروف قاهرة، ويقوم على تنفيذ عملية الذبح ومراعاة الشروط سبعة يهود، يكون واحد منهم على الأقل حاخامًا، وهؤلاء منفذون، أما المحرضون والمتدخلون فيمكن أن يشمل الآلاف، بالتالي فليس هناك عملية ذبح يقوم بها يهودي واحد، وهذا يلفت الانتباه إلى أن التحقيق في السابق في بعض القضايا كان قاصرًا، ويستعمل الدم المستنزف من عروق المسيحيين في كثير من الطقوس الدينية، ومنها الزواج، وذلك بأن يصوم

العروسان من المساء عن كل شيء، وبعد عقد الزواج يناولهما الحاخام بيضة مسلوقة يغمسها برماد الكتان المشرب بالدم المسيحي، وهذا الرماد محفوظ عند الحاخامات، وهو الذي يحفظون فيه الدم، وعندما يأكل العروسان البيضة الملوثة بالدم المسيحي يتلو عليهما الحاخام بعض كلمات توضح الحقد، وتدعو إلى إيقاع المسيحيين في فخاخ الغش والخداع، ويستعمل الدم المستنزف في أشياء كثيرة منها أنهم عند ختان أطفالهم في اليوم الثامن من ولادتهم يأخذ الحاخام كأس خمر ممزوجة بنقطة من الدم المسيحي، ويضيف إليها من دم الطفل المختون، ويمزج الخمر مزجًا قويًّا، ثم يغمس خنصره في الكأس ويدخله في فم الطفل مرتين، ويقول للطفل: إن حياتك هي بدمك.

ومن الطقوس الصهيونية: أنهم في اليوم التاسع من تموز -يوليو- يقيمون مناحاتهم على خراب أورشليم، وكل صهيوني ملزم طبقًا لتعاليم التلمود بدهن جبهته من جهة الصدغين برماد الكتان الملوث بالدم المسيحي، وفي عيد الفصح يصنعون الفطير على صور شتى تمثل الشيطان، ويعجنونه بالدم كما يصنعون رغيفًا خصوصيًّا يعجن برماد الكتان الذي ذكرناه، ولا بد لكل صهيوني من أكل قطعة منه بقدر حبة الزيتون، وحينما يقترب الصهيوني من منيته يأتي الحاخام وبيده بيضة يستخرج زلالها، ويمزجها بنقطة من الدم المسيحي، أو بقليل من رماد الكتان الملوث، وينضحه على قلب الميت، والصهيونيون لا يقومون باستنزاف دم المسيحيين وحدهم، ولكنهم يستنزفون أيضًا دم المسلمين إذا عز عليهم الحصول على دم المسيحي، ويعتقدون أن عددًا كبيرًا من المسيحيين دخلوا في الإسلام؛ ولذلك دم المسلم ممزوج بالدم المسيحي؛ ولذلك فإنه حلال عندهم.

ويوضح الحاخام الصهيوني الذي اعتنق المسيحية في كتابه الخطير أن استعمال الدم على نوعين أولهما أن يكون صرفًا، وأما ثانيهما رماده، أي: رماد الكتان المشرب بالدم، وهذا النوع الأخير يوضع في علب صغيرة، ويرسل من بلد إلى بلد.

الذبائح البشرية في الواقع:

أما الجرائم الثابتة في ملفات التحقيق فهي كثيرة في بلدان العالم، وخصوصًا أوربا وأمريكا والشرق العربي، وهي حوالي أربعمائة جريمة تم اكتشافها، أما الذي لم يكتشف أو طمست معالم التحقيق فيه أو ضللت العدالة فيها؛ وذلك لإبعاد فكرة فطيرة العيد المقدس الممزوج بالدم عن معرفة الناس، فهي تفوق العدد المذكور بكثير، لكون الحاجة إلى الدم المسيحي في كل عام، وكل كنيس يجب أن يتوفر له هذا الدم.

وعليه فإني أترك تقدير ذلك في ضوء المعلومات المتوفرة، وأذكر هنا بعض الجرائم لعدم اتساع البحث لإدراج الجرائم كلها.

١. في بريطانيا عام ١٢٥٥ خطف اليهود الإنكليز طفلًا مسيحيًّا إنكليزيًّا اسمه هوب -وذلك أيام عيد الفصح- وعذبوه وصلبوه واستنزفوا دمه، عثر والده على جثته في بئر بالقرب من منزل يهودي إنكليزي يدعى جوبين، وفي التحقيق اعترف اليهودي على شركائه، وهم الحاخامات، وجرت محاكمة ٩١ يهوديًّا من جنسيات مختلفة أعدم منها ثمانية عشر، وسجن الباقي مددًا مختلفة، وكرمت الكنيسة الضحية البريئة في كاتدرائية لنكولن، وتوالت جرائم اليهود في بريطانيا حتى عام ١٢٩٠، حيث ذبح اليهود في أكسفورد طفلًا مسيحيًّا، واستنفدوا دمه،

وأتت هذه الجريمة إلى إصدار الملك إدوارد الأول أمره التاريخي بطرد اليهود من بريطانيا.

وفي فرنسا بيع شاب مسيحي إلى اليهود في سنة ١١٩٢ من قبل الكونتس أوفدور، وكان متهمًا بالسرقة فذبحه اليهود واستنفدوا دمه، وقد حضر الملك فيليب أغسطس المحكمة بنفسه وأمر بحرق المذنبين من اليهود، وفي ألمانيا اختطف يهوديًّا طفلًا يبلغ من العمر ثلاث سنوات وقتله بعد استنزاف دمه، وحكم على اليهودي بالإعدام حرقًا، وفي أسبانيا اعترف أحد اليهود على زملائه والذين كانوا قد اشتركوا معه في ذبح أحد الأطفال وأخذ دمه، وأعدم ثمانية من اليهود في هذه القضية، وكانت السبب الرئيس في قرار طرد اليهود من أسبانيا في عام ١٤٩٠، وفي سويسرا في سنة ١٢٨٧ ذبح اليهود الطفل رودلف في منزل يهودي ثري، واعترف اليهود بجريمتهم، وأعدم عدد كبير منهم، وصنعت المدينة تمثالًا على شكل يهودي يأكل طفلًا صغيرًا، ونُصِبَ التمثال في الحي اليهودي ليذكرهم بجرائمهم الوحشية.

وفي النمسا في ١٤٦٢ ميلادية في سنة أنسبير بيع صبي مسيحي إلى اليهود، فذبحوه على صخرة داخل الغابة، واستعملوا دمه في عيدهم، وصدرت عدة قرارات بعد تلك الحادثة تلزم اليهود بوضع رباط أصفر اللون على ذراعهم اليسرى لتمييزهم عن بقية السويسريين؛ اتقاءً لشرهم، وفي إيطاليا سنة ١٤٧٥ اختفى طفل عمره ثلاث سنوات يدعى سيمون في مدينة ترينت، وحينما اتجهت الأنظار إلى اليهود أحضروا الجثة من ترعة ليبعدوا الشبهة عنهم، وبعد التحقيق ثبت أن الطفل لم يمت غرقًا، بل من استنزاف دمه بواسطة جروح في العنق والمعصم والقدم، واعترف اليهود بالجريمة، وبرروا ذلك بحاجتهم للدم من أجل إتمام طقوسهم

الدينية، وعجن خبز العيد بالدم البشري والنبيذ، أعدم سبعة من اليهود في هذه القضية.

وفي المجر اختطف اليهود فتاة مسيحية تدعى أستيرسوبيموس، وكان عمرها ١٤ سنة، واعترفت طفلة يهودية بأنها شاهدت أمها تدعو الفتاة المسيحية إلى منزلها، ومن هناك اقتادها عدد من اليهود إلى الكنيس، واعترف غلام يهودي بأنه شاهد عملية ذبح الفتاة، وجمع دمائها في إناء كبير، واعترف عدد من اليهود باشتراكهم في عملية قتل الفتاة من أجل عيد الفصح اليهودي، واتهم ١٥ يهوديًّا في هذه الجريمة، وبدأت محاكمتُهم، وكانت من أشهر المحاكمات التاريخية، واستطاع المال اليهودي أن يطمس الجريمة، وبرأت المحكمة اليهود القتلة بالرغم من أن كل أدلة الاتهام كانت تشير إلى اشتراكهم في الجريمة، وأدت هذه الجريمة إلى ظهور حالة من العداء ضد اليهود انتشرت في أوربا كلها.

وفي روسيا فقد في عيد الفصح اليهودي طفل في الثانية والنصف من عمره، وبعد أسبوع عثر على جثته في مستنقع قرب المدينة، وعند فحص الجثة وجدت بها جروح عديدة من وخز مسامير حادة في جميع أنحاء الجسم، ولم يعثر على قطرة دم واحدة؛ لأن الجثة كانت قد غسلت قبل إعادة الثياب إليها، واعترفت ثلاث سيدات من اليهود باقترافهن الجريمة.

وفي تركيا في جزيرة رودس اختفى طفل يوناني في عيد البوريم اليهودي، وكان قد شوهد، وهو يدخل الحي اليهودي في الجزيرة، وحينما هاج اليونان وطالبوا بالبحث عن الطفل اضطر الحاكم التركي يوسف باشا إلى تطويق الحي اليهودي وحبس رؤساء اليهود، وتعترف دائرة المعارف اليهودية أن وساطة المليونير

اليهودي مونتوفيوري في تقديم الرشوة للباب العالي الكونت كاموند، والذي كان مديرًا لأعمال البنوك في الحكومة العثمانية، وهكذا استطاعت قوة المال اليهودي أن تطمس الحق في هذه الجريمة.

وفي مصر قدم رجل يهودي من القاهرة إلى مدينة بورسعيد فاستأجر مكانًا في غرب المدينة، وأخذ يتردد على بقال يوناني بنفس المنطقة إلى أن جاءه يومًا وبصحبته فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها، فشرب خمرًا وأجبرها على شربه مما أثار انتباه الرجل اليوناني، وفي اليوم التالي تم العثور على جثة الفتاة، وقد مُثِّل بها بطريقة وحشية، وتم قطع حنجرتها، وأثار ذلك الحادث الأهالي في مصر آنذاك، حدث ذلك في الشام أيضًا، وحدث مثله في ألمانيا في سنة ١٩٣٢، وفي روسيا سنة ١٩١١، وفي اليونان ١٩١٢، وفي أمريكا سنة ١٩٦٤.

السبب في تقديم القرابين:

يبدو أن السبب المباشر لهذه القرابين البشرية، هو أن حاخاماتهم أبناء يهوه المجرمين على اختلاف جنسياتهم في العالم يقومون بهذا الإجرام لبغضهم وحقدهم على المسيحيين، وحاجتهم لدمهم من أجل الحاخامات الذين يخشون أن يكون يسوع ابن مريم هو المسيح الحقيقي، فإذا أكلوا دم أتباعه، فإنهم يضمنون لنفوسهم الخلاص من الهلاك الأبدي، فهم يعتقدون أن المسيح يهودي، ولكن حينما خالفهم في جرائمهم التي ينسبونها ليهوه اتهموه أنه ابن زنا، وكذبوه وطاردوا أتباعه، والشيء المذهل أن من يسجن من اليهود بسبب هذه الجرائم فهو يُسجل بطلًا في سجلاتهم، ويدفعون الأموال الطائلة لإطلاق

سراحه، أما مَن يُعدم بسببها فإن يهوه يكتب له الخلود؛ لأنه شارك في تقديم القرابين له.

وقد شرح تاوفطيوس الحاخام الذي اعتنق المسيحية حقيقة هذه المعتقدات البشعة في كتابه الذي أطلق عليه اسم (السر المكتوم عند الصهيونيين) وقال: إن الأسباب التي تدعو هؤلاء الصهيونيين المعتقدين بكتاب التلمود إلى سفك دماء غير الصهيونيين، هي البُغض الشديد ضد المسيحيين خاصة، واعتبار دمائهم ضحية وقربانًا، واعتقاد الصهيونيين أن الدم المسيحي له فعل سحري في أمور يعلمها الحاخامات.

وهكذا تطورت الشريعة عند اليهود إلى التعبير عن أحقادهم ضد العالم، وضد المسيحيين، وضد المسلمين، وضد البشر بعامة.

بعض الأحكام الفقهية التي تميز شريعة اليهود بوضوح عن غيرها

ففي الزواج مثلًا: يعتبر بقاء اليهودي أو اليهودية في العزوبة أمرًا منافيًا للدين، ذكر جاندي بولي في ترجمته لمواد التشريع المدني والجنائي في الفقه اليهودي في المادة ٣٩٣ أن كل يهودي يجب عليه أن يتزوج، وأن الذين يبقون عزابًا يتسببون في أن يتخلى الله عن شعبه إسرائيل، وجاء في كتاب (الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين) تأليف م ح بن شمعون المادة ١٦: الزواج فرض على كل إسرائيل، يحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، ويسمى غير اليهود في كتب الشريعة الإسرائيلية كفارًا، يستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون والوثنيون والزنادقة.

ويقول ديبولي في المادة ٣٩٦: إن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجورًا وزنًا مستمرين، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أبناء زنا، ونجد ابن شمعون لا يكتفي بوحدة الدين بين الزوجين، بل ينص أيضًا على وحدة المذهب؛ فيقول في المادة ١٧: الدين والمذهب شرط لصحة العقد، فإن كان أحد الاثنين من غير الدين أو من مذهب آخر، فلا يجوز العقد بينهما، وإلا كان باطلًا، ويضيف في المادة ١٨ أنه يصح أن يعقد بين اثنين كان أحدهما أجنبيًّا، ثم اعتنق الدين أو المذهب اعتناقًا شرعيًّا، ويزيد معظم الشراح على ذلك أن الأولاد الذين يولدون من زواج اثنين أحدهما يهودي والثاني أجنبي لصيقًا باليهود عن طريق اعتناق دينهم، لا يصح أن يكون منهم كهنة في إسرائيل؛ تأكيدًا للنزعة العنصرية التي تصبغ أكثر الشرائع الفقهية عند اليهود، ولا سيما ما اتصل منها بالأحوال الشخصية.

ومن أوضح الأدلة على ذلك ما جاء في المادة ١٩ من كتاب ابن شمعون في الأحكام الشرعية في الأحوال الشرعية للإسرائيليين، حيث يقول: إذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعًا بإسرائيلية صح العقد، كذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي، ومعنى ذلك أن الزواج عندهم ليس فرعًا من الإيمان كما هو عند المسلمين أو المسيحيين، بل هو فرع من العصبية العنصرية، فالإسرائيلي يبقى كذلك حتى ولو كفر، وكذلك الإسرائيلية، يجوز الإسرائيلي الزواج ببنت أخيه أو بنت أخته، ولكن العكس محرم، فلا تتزوج المرأة بابن أخيها أو ابن أختها، وحرَم كثير من فقهائهم زواج بنت الأخ.

تعدد الزوجات جائز شرعًا عند اليهود: ولم يرد بتحريمه نص واحد لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود، وكانت العادة جارية بين اليهود على اتخاذ أكثر من زوجة، وليس في الدين أيضًا حد أقصى لتعدد الزوجات، فقد كان مباحًا لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب له، بلا قيد أو شرط، ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام الفقيه المفسر جرشوم بن يهودا المولود في مدينة متس بإقليم اللوريم بشمال شرق فرنسا سنة ٩٦٠ ميلادية، والمتوفَّى في مدينة ماينز بألمانيا سنة ١٤٠ ميلادية، فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود، وكانت هذه الفتوى مبنية في الأساس على ما كانت تلاقيه الجاليات اليهودية في أوربا في العصور الوسطى من احتقار واضطهاد بسبب تعدد الزوجات فيها، وهو أمر حرمته الديانة المسيحية تحريمًا قاطعًا، وجعلت تعدد الزوجات جريمة تجمع بين الكفر والزنا، فأراد الحاخام جرشوم أن يضع حدًّا لهذا المظهر المثير من مظاهر تكوين المجتمع اليهودي، ولكن اجتهاده لم يحظ بالتطبيق القانوني المتفق عليه في المجالس الملية ومحاكم الأحوال الشخصية لليهود في أوربا إلا حوالي سنة ١٢٤٠ ميلادية؛ إذ اتفقت كلمة كهنة اليهود وقضاتهم على هذا التحريم، وإن كان تعدد الزوجات بين اليهود قد ظل منتشرًا سرًّا أو علنًا قرونًا طويلة بعد هذا التاريخ، وبخاصة في بلدان إفريقيا وآسيا.

وهكذا نجد ديبولي يذكر في المادة ٣٩٥ أنه بالرغم من كون تعدد الزوجات حلالًا في الدين، فإنه قد صدرت الفتوى بتحريمه من الحاخام جرشوم؛ بسبب المطالب الباهظة للحياة الحاضرة التي تجعل القيام بأمر زوجة واحدة، فضلًا عن زوجات عدة أمرًا صعبًا، وكل يهودي يخالف فتوى الحاخام جرشوم، فإنه يقع تحت عقوبة التكفير والخلع والطرد من المجتمع الإسرائيلي، وفي ذلك تقول المادة ٥٤ من كتاب ابن شمعون: لا ينبغي للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وعليه أن

يحلف يمينًا على هذا حين العقد، وإن كان لا حجر ولا حصر في متن التوراة، ونلاحظ أن هذا الأخير أقل تشددًا في هذا الباب، فهو مثلًا يغفل عقوبةَ التكفير والطرد، بل إنه يضيف في المادة ٥٥: أنه إذا كان الرجل في سعة من العيش، ويقدر أن يعدل أو كان له مسوغ شرعي، جاز له أن يتزوج بأخرى.

وواضح أن الشريعة اليهودية تتلون بالشرائع التي تجاورها، فالحاخام جرشوم يبدو مسيحيًّا في اتجاهه نحو التحريم البات للتعدد بحكم معيشته في أوربا الكاثوليكية، بينما ابن شمعون يتأثر بالشريعة الإسلامية بحكم معيشته في القاهرة، فلا يتشدد في المسألة بنفس الطريقة حتى بعد تسعة قرون من فتوى الحاخام جرشوم.

والإمام ابن القيم ينص في كتاب (هداية الحيارة) على أن من شريعة اليهود نكاح امرأة الأخ أو العار، وأذكر لك مسألة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تُعرف بمسألة البيامى والجلوس، وهي: أن عندهم في التوراة إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولدًا، فلا تصير امرأة الميت إلى رجل أجنبي، بل حموها ينكحها، وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج، فإن أبَى أن ينكحها خرجت متشكيةً إلى مشيخة قومه قائلةً: قد أبى حموي أن يستبقي اسمًا لأخيه في بني إسرائيل، ولم يرد نكاحي، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول: ما أردت نكاحها، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه، وتنادي عليه: كذا فليُصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، ويدعى فيما بعد بالمخلوع النعل، وينتبذ بنوه بهذا اللقب. وفي هذا كله لتلجئه له إلى نكاحها؛ لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحي، وخجل من شيل نعله من رجله، والبصق في وجهه، ونبذه باللقب المستكره

الذي يبقى عليه وعلى أولاده عارُه، ولم يجد بُدًّا من نكاحها، فإن كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يبتلى به وهان عليه هذا كله في التخلص منها، لم يكره على نكاحها.

هكذا عندهم في التوراة.

ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه، وهو أن يكون مريدًا للمرأة محبًّا لها، وهي في غاية الكراهة له، فأحدثوا لهذا الفرع حكمًا في غاية الظلم والفضيحة، فإذا جاءت إلى الحاكم أحضروه معها ولقنوه أن تقول: إن حموي لا يقيم لأخيه اسمًا في بني إسرائيل ولم يرد نكاحي، وهو عاشق لها، فيلزمونها بالكذب عليه، وإنها أرادته فامتنع، فإذا قالت ذلك ألزمه الحاكم أن يقوم ويقول: ما أردت نكاحها، ونكاحها غاية سؤله وأمنيته فيأمرونه بالكذب عليها، فيخرج نَعله من رجله إلا أنه لا مسك هنا ولا ضرب، بل يُبصق في وجهه، وينادَى عليه: هذا جزاء مَن لا يبني بيت أخيه. فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخزي، وألزموه بالكذب، والبصاق في وجهه، والعتاب على ذنب جره غيره كما قيل:

وجرم جره سفهاء قوم ❖ وحل بغير جارمه العذاب

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه؟

ولا يستبعد اصطلاح الأمة الغضبية على المحال، واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال، فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها، انطمست حقائق سالف أخبارها، ودرست معالم دينها وآثارها، وتعذر الوقوف على الصواب الذي كان عليه أولوها وأسلافها.

(الشريعة اليهودية؛ الصحيح منها والزائف (٣))

عناصر الدرس

بقيـة الأحكـام الفقهيـة الـتي تميـز شـريعة اليهـود بوضـوح عـن غيرهـا

الطلاق في شريعة اليهود:

يؤكد تأثر هذا الحاخام الأوربي بالمسيحية ما وضعه من قيود على الطلاق أيضًا، فالطلاق في التوراة كان حقًا موضوعًا بيد الرجل وحده يستعمله بلا قيد أو شرط، وكان الاستعمال اللغوي نفسه لا يعرف كلمة الطلاق، وإنما يُستعمل عادةً كلمة طرد الزوجة من البيت، فأفتى الحاخام جرشوم بتحريم طرد المرأة من بيت الزوجية إلا إذا أفتى القاضي بطلاقها، أو اتفقت مع زوجها بالتراضي على الطلاق، والمرأة التي ثبتت عليها تهمة الزنا يحرم عليها الزواج بالرجل الذي اتصل بها، ولو حدث زواج بينهما مع جهل موثق العقود بذلك، يعتبر هذا الزواج لاغيًا، وينفذ الطلاق بينهما بالقوة. يقول ابن شمعون في المادة ١٩٠: تحرم المختلية على من اختلت به، وإذا عقد عليها كلف شرعًا بطلاقها.

وفيما مضى يتضح لنا أن العزوبة عندهم مكروهة جدًّا، بل وتصل إلى درجة التحريم، ويظهر خلطهم كذلك بأنه لا بد على الإنسان من الزواج حتى ولو كانت له شهوة مأمونة يأمن معها الوقوع في الفواحش، كما أنهم يحرمون الزواج بين اليهود وغيرهم، فلا بد لليهودي أن يتزوج يهودية ولليهودية أن تتزوج يهوديًّا، كذلك يجوز عندهم لليهودي أن يتزوج بابنة أخيه أو ابنة أخته، ولكن العكس هو الممنوع عندهم، فيظهر من ذلك التخبط في شريعتهم، نسأل الله ﻷ العفو والعافيةَ في الدين والدنيا.

وهناك تشريع آخر في الأحوال الشخصية يسمى: الييوم.

من طرائف الشريعة الخاصة بالأحوال الشخصية أن أرملة اليهودي الذي مات ولم ينجب منها يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإجبار -كما تقدم- فإذا أنجب منها فإن المولود لا يحمل اسمه، وإنما يحمل اسم أخيه الميت، وينسب إليه، وإذا امتنع أخ المتوفى عن هذا الزواج فإنه يشهر به، ويخلع من المجتمع الإسرائيلي، وتسمي الشريعة الإسرائيلية المرأة التي تؤول إلى أخ زوجها الميت يبامة كما في النص الذي ذكره الإمام ابن القيم في (هداية الحيارى)، وهو موجود في (سفر التثنية) الإصحاح الخامس والعشرين.

ومن أحوال التشريع عندهم كذلك الابن البكر، كذلك تهتم الشريعة اليهودية بالابن البكر، وكانت في بداوة العبريين القديمة تجعله خليفة لأبيه في كل شيء يستولي على السلطة من بعده، ويكون هو المتصرف في كل ثروته، وكثيرًا ما كانت المنافسات تشتعل بين الإخوة الصغار وأخيهم الأكبر البكر بسبب هذا، كذلك كانت تحدث مؤامرات ومغالطات حول انتزاع هذا الحق والاستيلاء عليه. وقصة يعقوب وتآمره مع أمه رفقة على انتزاع هذا الحق الذي كان لأخيه عيسو من أبيهما إسحاق عندما شاخ وفقد بصره مشهورة، ذكرت قبل هذا مذكورة بتفاصيلها في الإصحاح السابع والعشرين من (سفر التكوين) في التوراة، وفي الفقه اليهودي المعمول به الآن يكون للولد البكر من الأب مثل حظ الولدين، فهو مميز بسهم بعلة البكورة، يعني: أن الولد البكر يأخذ مثل حظ الولدين، مثل نصيب اثنين من إخوته، لأنه هو البكر، ابن شمعون مادة ٤٩١.

وتتجلى العصبية العنصرية من جديد في التشريعات الخاصة بالابن البكر، فإن البكر المولود وأبوه أجنبي عن الملة لا يعد بكرًا، وإذا عاد إلى الملة وولد، فلا بكورة أيضًا، لماذا؟ لأنه ارتد عن الملة ابن شمعون مادة ٥٠١.

وتتأكد هذه العصبية العنصرية أكثر وأكثر في المادة التالية ٥٠٢، عندما ينص على أن البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها، وهذا الاجتهاد من فقهاء التلمود مقصود به تزييف حق العرب وجدهم سيدنا إسماعيل في النسبة والميراث والبكورة من سيدنا إبراهيم، فإسماعيل وُلِدَ قبل أن يولد إسحاق، فهو ابن إبراهيم البكر ولكنه مولود من هاجر الجارية المصرية، فأفتى التلموديون بثبوت البكورة للابن الأصغر إسحاق؛ لأنه -وإن تأخر في الولادة- سليل الزوجة التي توصف بأنها عبرية سارة، وكان لا بد من هذا الاجتهاد حتى تستقيم نظريتهم في شعب الله المختار.

الأموال والممتلكات:

ومما يستوقف الباحث في باب الأموال والممتلكات في الفقه اليهودي، أن الربا محرم بين اليهود بعضهم وبعض فقط، وعقوبة المخالف لذلك التكفير والخلع، بينما يُباح الربا إذا أقرض اليهودي لغير اليهودي مالًا -كما تقدم بيانه- ولكن نظرًا لما جُبل عليه هؤلاء الناس من حب المال، فإنهم تحايلوا حتى على تحريم الربا فيما بينهم، فبعد أن جاء في الماد ٥٨٤ من المجموعة القانونية التي ترجمها ديبولي: أنه محرم على اليهودي أن يقرض اليهودي مالًا أو غيره من الأشياء التي يحتاج إليها كالقمح أو الدقيق مثلًا بالربا، وأن المقرض بالربا يتعرض تلقائيًّا للخلع والطرد، تعود المادة التالية ٥٨٥ فتقيد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها، أما إذا اقترض اليهودي نقودًا من يهودي آخر بقصد الاستثمار أو التوسع في التجارة، أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ربحًا، فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيبًا في الأرباح يتفق عليه.

ويبدو من التطبيق العملي لهذه الفقرة أن المقصود، هو هو الأرباح فقط دون الخسائر بحيث لو ضاع المال في هذه المشاريع كان على المقترض أن يؤدي دينه كما أخذه، فالتطبيق أشبه هنا في عالم الأوراق المالية بالسندات منه بالأسهم.

الطعام والشراب:

ونختم هذه المختارات الفقهية المميزة للشريعة اليهودية بالكلام عن تقاليدهم في الطعام والشراب ما يحل منه وما يحرم:

يحل من الحيوانات ذوات الأربع كل ما له ظلف مشقوق، وليست له أنياب، ويأكل العشب ويجتر، فالخيل والبغال والحمير تحرم لحومها لأنها ليست ذات أظلاف مشقوقة، وكذلك الجمل؛ لأنه ذو خف لا ظلف، ويحرم الخنزير بالرغم من أظلافه المشقوقة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب، ولحم الأرانب وما يتصل بها من القوارض آكلة العشب حرام؛ لأنها ذات أظافر لا أظلاف مشقوقة، ويحرم من الطيور كل ما له منسر -أي: منقار- معكوف أو مخلب، أو كان من أوابد الطير التي تأكل الجيف والرِّمم، فيحرم أكل الصقر، والنسر، والبومة، والحدأة، والببغاء؛ لكونها ذات منسر أو مخلب، أو كليهما معًا، ويحرم أكل الغراب والهدهد ونحوها؛ خوفًا من الخطر؛ لأنها من أوابد الطير التي لا يعرف ماذا تأكل، ويحل أكل الدجاج، والأوز، والبط، ونحوها من الطيور الأليفة التي يمكن تربيتها في البيوت والحقول، كما تحل السماني والعصافير وبعض الطيور البرية آكلة العشب والحَب، ويُشترط في الحيوانات والطيور الأليفة التي تذبح للأكل أن تكون سليمةً من العطب، ومن الجروح،

والكسور، والأمراض، وأن تذبح من منحرها بالطريقة الشرعية بعد تلاوة بركة تتضمن اسم الله بشكل يقارب القواعد الإسلامية.

أما الأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام، فممنوع على اليهودي أكل أسماك الملساء، وأنواع الأخطبوط، والجمبري القريدس أو الربيان، والسرطان الكابوريا والمحار، والدم محرم على اليهودي كتحريمه على المسلمين، ولا يجوز لهم الجمع بين اللحم واللبن الحليب، أو أي شيء يمت إليه بصلة في طعام واحد، فحرام طبخ اللحوم في السمن أو الزبد، بل يجب أن تطبخ في زيوت نباتية، وحرام أن يتناول اليهودي اللحم والجبن أو الزبد أو اللبن، أو نحوها في وجبة واحدة، بل حرام أن يوضع اللحم في إناء كان قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل، أو أن تستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن، أو ما إليه؛ ولذلك يتعين على كل يهودي متمسك بشريعته، وعلى كل مطعم يهودي يهتم بأن يكون ما يقدمه كاشيرًا أي: حلالًا أن يتوفر له مجموع من الآنية والصحون، وأدوات المطبخ تخصص للحوم فقط، وتوضع في مكان محدد، ومجموع آخر يُخصص للألبان، ومستخرجاتها، وله مكان منعزل أيضًا، كذلك يحرم على اليهود خلط الأنبذة أو الخمور أو خلط الألبان.

علاقة ذلك باضطهاد اليوم:

كل هذه الأحكام الفقهية وكثير غيرها بخيرها وشرها كانت لغرابتها وطرافتها، سببًا في اجتذاب الأنظار نحو هذه الملة التي لا تريد أن تعيش كما يعيش غيرها من عباد الله، فجر عليها ذلك الاضطهاد والتعصب الذي كان يتبلور في نواحٍ كثيرة

من العالم، وفي أوربا على وجه الخصوص في تنظيمات وفلسفات وعقائد تدور كلها حول عداء السامية، أو مناهضة اليهود، أو اللاسامية، كما يتساهل بعض الباحثين فيسمونها بهذا الاسم الأخير، وهذه اللاسامية كانت من أهم البواعث على قيام الصهيونات المختلفة المتعاقبة عبر التاريخ، فنحن هنا نجد اليهود قد جعلوا الإنسانية تدور في حلقة مفرغة كلها خطأ في خطأ، هم يكرهون البشر، ويحتقرونهم، وينعزلون عنهم، ويعتبرون أنفسهم الشعب الممتاز المختارَ بإرادة إلهية، والبشر جميعًا ينكرون عليهم هذا، ويصمونهم بالكفر، والتدجيل، والنصب، والاحتيال، وانعدام الوطنية، والخسة، والجبن، والقذارة، وما لا يُحصى من ذميم الصفات.

ومن هذا الصراع العقيم الخاطئ من الجانبين، كان كثير من اليهود ينادون بالوطن اليهودي الخاص الذي يستطيع فيه كل واحد من أبناء هذه الملة أن يمارس حريته الدينية دون أن يجر ذلك عليه المقت والبغض من غير اليهود.

كانت هذه الفكرة الأخيرة هي الشعار الذي رفعته الصهيونية لجذب الأنظار، وهي المحتوى الذي ضمنه زعيم هذه الصهيونية "تيودور هرتزل" كتابه المشهور (دولة اليهود) وكان على الوطن العربي أن يدفع ثمن هذه النزوة اليهودية من صميم أرضه وكيانه ومستقبله، بالرغم من أن العرب لم يكونوا في يوم ما متهمين بمناهضة السامية أو اضطهاد اليهود؛ إذ العرب أنفسهم ساميون، والمسيحيون منهم لا ينسون أن سيدنا عيسى عليه السلام نفسه ينحدر من أصل يهودي، والمسلمون لا ينسون أن اليهود أهل كتاب، وأهل توحيد، وأنهم -ولو نظريًّا- ينحدرون من سيدنا إبراهيم أب العرب كذلك، وإذا كانت الشعارات

الاستجدائية قد ارتفعت بذلك، فإن النفاق اليهودي رفع شعارات أخرى لدى غير اليهود من الأمم التي خدعت في المشروع الصهيوني، فزعم قادة الصهيونية أن الدولة اليهودية التي يعملون على إقامتها في فلسطين ستكون الدولة العصرية في وسط المتخلفين، والدولة الديمقراطية بين الإقطاعيين، وكل هذا لم يكن إلا كلامًا معسولًا الغرض منه جمع أكبر ما يمكن المال والأنصار.

ولكن اللعبة كانت خطيرة بالنسبة لليهود أنفسهم تكاد تنذر بشر مستطير، ذلك أن التجمعات الدينية اليهودية أحست بأن ملك الله على الأرض -كما عرفوه في كتب الدين والتصوف- لا يشبه في شيء هذا التنظيم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي صممه هرتزل، ونفذه من بعده حاييم وايزمان، ومن هنا نشب هذا الصراع بين دولة اليهود ممثلة في الدينيين، والدولة العصرية الديمقراطية التي يقف من ورائها الاستعماريون والرأسماليون والاشتراكيون والإصلاحيون التطوريون الجدد من اليهود، ولا شك في أن هذا التمزق الذي سببته في البداية صور التناقض الرهيب بين الشعارات التي خصصتها الصهيونية لشعب الله المختار، والشعارات الأخرى التي رفعتها أمام أعين الجوييم، كانت من أهم الأسباب في انبثاق يهودية روحية اندماجية غير صهيونية ينادي دعاتها بأن ممارسة شريعة من الشرائع لا تحتاج إلى إمبراطورية حتى تتصل بالله، هذا بالطبع إلى جانب الوحشية الخسيسة الظالمة التي أنتجتها العسكرية الصهيونية في فرض إرادتها في منطقة الشرق الأوسط.

خلاصة القول: إن الفكرة في الأمور الفقهية -يعني: إن الفكرة الديني الإسرائيلي- يرتطم الآن بصخرة هذه الصهيونية، التي قد يتحطم عليها كما لم يتحطم من قبل لا على يد بختنصر ولا تيتوس ولا هتلر.

مسـألة : السـبت عنـد اليهـود

راحة السبت في الفكر اليهودي ؛ مغزاها وقدمها :

إذا كانت دول العالم وشعوبه تعرف الآن أيامًا للعطلة ، فإن معظم هذه العطلات يكون عادة في تاريخ معين أو يوم محدد كلَّ عام ، وتعرف بالعطلات السنوية ، وفي هذه العطلات تتوقف المصالح والمؤسسات الحكومية عن العمل ، وتعطل فيها المدارس والجامعات ، ولكن يصعب أن نجد أمة تتوقف عن العمل تمامًا في جميع المواقع ، خاصةً إذا كانت هذه الأعمال تتعلق بشئون حياتها اليومية ، أو إذا كانت تندرج تحت ما يوصف بالأعمال الحرة أو القطاع الخاص ، لو كان أهم أيام العطلة اليهودية يأتي أسبوعيًّا بصفة دورية ومتكررة ، وهو يوم الراحة يوم السبت الذي لا يعتبر فقط العطلة الأكثر شيوعًا بين اليهود ، لكنه يعتبر أيضًا أكثر عطلاتهم قداسةً ، فالسبت هو يوم العطلة الوحيد بين جميع العطلات الذي أمر به وفرض في الوصايا العشر ، حيث ورد في الوصية الرابعة : اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملًا ما أنت ، وابنك ، وابنتك ، وعبدك ، وأمتك ، وبهيمتك ، ونزيلك الذي داخل أبوابك ؛ لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح في اليوم السابع ؛ لذلك بارك الله يوم السبت وقدسه ، خروج ٢٠/ ٨ : ١١ ، وقارن تثنية ٥/ ١٢ ، ١٤.

ويعتبر الفكر الديني اليهودي هذه الوصية واحدةً من أعظم الإسهامات التي قدمها بنو إسرائيل للجنس البشري ، فَقَبْلها لم تعرف أية أمة على وجه الأرض

يومًا للراحة الأسبوعية ؛ حيث كان الناس يعملون يوميًّا طوال العام باستثناء العطلات الخاصة أو السنوية، فدائمًا كان الراعي فوق التل، والمزارع في الحقل والوادي، والنساج على الآلة في المصنع، والخزاف على دولابه، والخادمة تنهض بواجباتها في البيت، كلهم يعمل دون انقطاع أو توقف ولو ليوم واحد في السنة بطولها.

ترتبط وصية السبت بالمعاناة التي عاشها بنو إسرائيل في مصر، وأولئك الذين كانوا عبيدًا في أرض مصر أيام الفراعنة تخلصوا من نير العبودية ؛ لذلك أمرهم موسى عليه السلام حسب الفكر اليهودي بأن يتقيدوا بيوم للراحة كل أسبوع، ولم تخص هذه الوصية بني إسرائيل فقط الذين قبلوا الشريعة، ولكنها خصت أيضًا جميعَ الخدم والخادمات الذين يدينون بديانات أخرى، بل إنها عنيت كذلك بالحيوانات التي تخدم في الحقل، ومن ثم يتضح أن هذه الوصية تحث اليهود على التحلي بالرحمة والشفقة التي يبرزها عمليًّا يوم السبت عندما يتيح فرصة الراحة لعبيده وحيواناته أيضًا.

لقد تآلفت في السبت ثلاثة مفاهيم: مفهوم الخلق، والمفهوم الاجتماعي أو الإنساني، ومفهوم التحرر من العبودية بخروج بني إسرائيل من مصر، فمثلما استراح الرب بعد هذا العمل الشاق -حسب زعمهم- الذي قام به طوال ستة أيام الخلق، يجب أن يستريح الإنسان أيضًا بعد عمله وكدحه طوال الستة الأيام الأولى من الأسبوع، فالإنسان مطالب بأن يحاكي الرب -حسب الفكر اليهودي- في أعماله، وأن يسلك طرقه وأساليبه، ومن ثم كان عليه أن يكرس السبت كيوم بهجة وراحة وقداسة حسب مشيئة الرب.

وقد رسخ المفهوم الاجتماعي أو الإنساني للسبت في قلب اليهودي من خلال تلك المشاعر والأحاسيس الدافئة التي تمثلت في هذا اليوم في إحساسه القوي بالمشاركة الجماعية، وحثه على البر والإحسان والميل إلى فعل الخير، وحماية الضعفاء والفقراء والمظلومين والمضطهدين والمستعبدين، والسعي إلى العدالة الاجتماعية، فحسب وصية السبت اعتبر اليهودي نفسه مسئولًا عن راحة الآخرين في يوم عطلته، وقد حثته على التفكير في خادمه وأمته والغريب والأرملة واليتيم، بينما هو في غمرة استمتاعه ببهجة السبت، وفي الوقت الذي أمره الرب أن يحتفل هو أيضًا بالسبت ويستريح، تقول الوصية: وأما اليوم السابع ففيه تستريح؛ لكي يستريح ثورك وحمارك، ويتنفس ابن أمتك والغريب، خروج ٢٣/ ١٢.

وفي فقرة أخرى وبتعبير آخر: وأما اليوم السبت فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملًا ما... إلى آخر النص الوارد في تثنية ٥/ ١٤. ويرتبط هذا المفهوم الاجتماعي ارتباطًا شديدًا بمفهوم الخلاص والتحرر من العبودية بخروج بني إسرائيل من مصر، وامتنانهم للرب مخلصهم ومحررهم: واذكر أنك كنت عبدًا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. تثنية ٥/ ١٥، وانظر كذلك ٦/ ٢١: ٢٤.

وكما تحرر بنو إسرائيل وتخلصوا من أعباء العمل الجائر طوال تلك الأيام التي قضوها في مصر، فُرِضَ السبت حتى يكون راحةً لجميع المضطهدين والمظلومين منهم، وحتى يتحرر الجميع في هذا اليوم من كل قيد، ويُبعث فيهم الأمل في مستقبل أكثر إشراقًا، لقد صار السبت كذلك ذكرى لأحداث الخروج من مصر،

إن وصية السبت قد أقرت يومًا واحدًا للراحة كل سبعة أيام، يلتزم به كل من يعمل ويكد على الأرض، وجدير بالذكر أن الوصية لم تشر إلى السبت بوصفه يومًا للراحة فقط، لكنه أيضًا يوم تقديس وعبادة، ومما لا شك فيه أن الإنسان يكون في حاجة ماسة إلى الراحة والتوقف عن العمل من حين لآخر، ولا يستطيع أي إنسان أن يعيش سنوات حياته في عمل مستمر ومتواصل دون أن يؤثر ذلك يومًا بعد يوم في قواه الجسمانية والعقلية، وبالتالي في درجة كفاءته وإتقانه لأعماله، ومقدار ما يتم إنجازه من هذه الأعمال.

فالراحة ضرورية للحفاظ على صحة الجسم ونشاط العقل، وتكون ذات تأثير ملموس إذا ما حافظ عليها المرء بصفة دورية ومنتظمة؛ لذلك كانت راحة يوم السبت الأسبوعية مجددة للنشاط استعدادًا للبدء في أعمال أخرى لأسبوع جديد، والمحافظة على صحة البدن وسلامة العقل والتفكير، هي جانب واحد من الغرض الذي من أجله فرضت راحة السبت، فهناك جانب أسمى وأهم نصت عليه الوصية الرابعة عندما قالت: اذكر يوم السبت لتقدسه، واحفظ يوم السبت لتقدسه. كما في خروج ٢٠/ ٨، وتثنية ٥/ ١٢.

وربط السبت في العهد القديم بعملية خلق الكون وخروج بني إسرائيل من مصر، يشير في مضمونه إلى أن هذا اليوم ليس للراحة الجسدية فحسب، بل يجب تكريسه للنشاط الديني والروحي، فالواجب أن يتذكر اليهودي دائمًا هذين الحدثيْن، وأن يعترف بالجميل الذي صنعه الرب له، وأن ينفذ أوامر الرب الذي خلقه وخلق كل شيء وحرره، فلم تفرض الراحة الإجبارية في يوم السبت؛ لحفظ قواه الجسدية والعقلية فحسب، ولكن أيضًا لإتاحة الفرصة أمامه للاتصال بالذات الإلهية، بعد أن أبعدته عن ذلك مشاغل الحياة وتزاحم الأعمال طوال

الأسبوع، فيجب أن تصفو الروح في هذا اليوم، وتخلو بنفسها بعد مشاغل الأيام الستة، وأما اليوم السابع: ففيه سبت للرب إلهك.

وقد وضع التلمود قاعدة أساسية للنظام الصحيح الذي يجب أن يتبعه بنو إسرائيل في أيام عطلاتهم، فأشار إلى مراعاة أن يكون النصف للرب والنصف لأنفسكم، ومن ثم يجب أن تشبع حاجات الروح والجسد معًا، ولا يجب على اليهودي أن يهتم بأحدهما على حساب الآخر، فحتى يحافظ على قداسة السبت يجب أن يكرس جزءًا من هذا اليوم للممارسات الدينية، فيعكف على الصلاة وقراءة النصوص المقدسة، ويستغرق في التأمل والتفكير فيما يحيط به من صنائع ومخلوقات في هذا العام، ويفكر أيضًا في صانعه وخالقه، فإذا كانت وصية السبت تفرض على اليهودي أن يستريح في هذا اليوم، فإنها تنبهه إلى أنه يعيش حياته من أجل أشياء أسمى من المتعة والبهجة والراحة التي يتيحها له هذا اليوم، وحقيقة لا يوجد مَن يعرف متى كان أول احتفال بالسبت، ولكن الأرجح أنه أقدم من جميع العطلات اليهودية.

وتبعًا لإحدى الأساطير القديمة يقال: إنه قبل خلق العالم بزمن طويل خلق الرب الملائكة وروح آدم، وفي أول سبت بعد خلقهم تجمعوا في السماء السابعة؛ حيث تغنوا: إنه سبت للرب ليكن مجد الرب دائمًا إلى الأبد، وتصور أسطورة أخرى أن هناك ملاكًا للسبت جالسًا فوق عرش المجد يرقص أمامه في يوم السبت عدد هائل من الملائكة يغنون مدحًا ليوم السلام والراحة الذي يعتبر حسب قولهم دليلًا ينذر بعالم قادم، حيث يعيش كل سكان الأرض في سلام دائم لأن كل يوم سيصير حينئذ سبتًا، وفي أيام الملوك منذ قرون عديدة خلت احتفل بالسبت في

أورشليم بإقامة الطقوس والشعائر العظيمة التي تليق بمكانة هذا اليوم، وفي ذلك الحين أُلفت بعض أقدم المزامير التي أنشدتها جوقة المعبد في ذلك اليوم السبت.

ويروي التلمود عددًا كبيرًا من القصص التي تهدف إلى جعل يوم السبت محببًا وغاليًا عند هؤلاء الذين يحفظونه، ففي إحدى هذه القصص يروى أنه عندما صعد موسى إلى جبل سيناء قال له الرب: لدي هدية ثمينة في خزانتي أريد أن أقدمها لإسرائيل، فسأله موسى أهي الوصايا العشر؟ قال الرب: إني سوف أعطيهم أيضًا الوصايا العشر، ولكن هذه الهدية مختلفة، فسأله موسى: هل هي كتب الشريعة المقدسة؟ فقال له الرب: إني سأعطي لهم أيضًا كتب الشريعة المقدسة، ولكن هذه الهدية مختلفة، فسأله موسى: أهي قدس الأقداس في معبد أورشليم؟ قال الرب: إني سأعطيهم قدس الأقداس في معبد أورشليم، ولكن هذه الهدية ثمينة أكثر من كل ذلك أن تكون، فسأله ماذا يمكن إذًا أن تكون؟ قال الرب: إنها السبت.

وتقول قصة أخرى: إن اثنين من الملائكة يصحبان كل يهودي عائد إلى بيته من المعبد أو السيناجوج عشية كل سبت؛ أحدهما ملاك حسن وطيب، والآخر ملاك سيئ وشرير، وعند دخول البيت إذا كانت أنوار السبت مشتعلة، والمائدة معدة لمأدبة السبت، والبيت نظيفًا وبراقًا، وجميع أهل البيت فرحين بهذا اليوم، ويعيشون في روح العطلة، فإن الملاك الطيب يدعو قائلًا: لتكن مشيئة الرب أن يجعل السبت القادم مثل هذا السبت، وعندئذٍ يُكره الملاك السيئ على الهمس خجلًا في صوت منخفض قائلًا: آمين، أما إذا كان البيت غير منظم، وتسوده الفوضى، وغير مهيأ لاستقبال السبت، وأهل البيت قانطين، ويعيشون في خصام وشقاق، فإن الملاك السيئ يقول مبتهجًا: لتكن مشيئة الرب أن يجعل السبت القادم مثل هذا السبت، وعندئذٍ يهمس الملاك الطيب في صوت منخفض بأسف وأسى قائلًا: آمين.

وهناك أساطير أخرى كثيرة عن السبت، فيقال في إحدى هذه الأساطير: إن السبت يختلف كثيرًا عن بقية أيام الأسبوع، حيث إنه مع ظهور نجمة المساء في يوم الجمعة أي عندما يبدأ السبت في الدخول يتشبع الهواء برائحة رقيقة وطيبة من نوع خاص لا يعادلها أي نوع من العطور، ولكن هذا العبير لا يستمتع به سوى هؤلاء الذين يراعون السبت ويحافظون على قداسته، وهذه الرائحة الطيبة تتخلل أيضًا طعام الأتقياء فتكسبه نكهة ألذ من أي طيب على وجه الأرض دي كلها خرافات، وخزعبلات، وأشياء بعيدة عن الحقيقة.

وتروى قصة أن حاكمًا رومانيًّا زار ذات مرة حاخامًا كبيرًا في السبت، وبعد أن أكل الحاكم ما قدم إليه من طعام هتف قائلًا: ما ألذ مذاق هذا الطعام، فقال الحاخام المضيف: إنه الطيب الذي يعطي الطعام نكهته، فقال الحاكم الروماني: إذًا يجب أن آمر بكمية كبيرة من هذا الطيب، فما اسمه؟ أجاب الحاخام: يسمى السبت، فقال الحاكم: لم أسمع أبدًا عن طيب اسمه، السبت فأين ينبت وينمو؟ أجاب الحاخام: إنه ليس عشبًا ولا ينمو؛ لأنه يوم الراحة، ويسمى السبت، فقال الحاكم الروماني ساخرًا: كيف يختلف السبت عن أي يوم آخر؟! أجاب الحاخام متسائلًا: وكيف تختلف أنتَ عن أي روماني آخر؟ قال الحاكم: راق للإمبراطور أن يشرفني فعينني حاكمًا، قال الحاخام: وراق للرب أيضًا اليوم السابع من بين أيام الأسبوع فسماه السبت.

تاريخ بدأ تقديس السبت:

إذا كان الأمر بحفظ السبت وقداسته قد ورد أصلًا في الوصايا العشر، فإن ذكر هذا اليوم لم يرد في هذه الوصايا فقط، بل ورد ذكره مقدار مائة وست مرات في الكتاب المقدس، ومن ثم يكون ذكره قد تكرر مرارًا أكثر من أي عطلة أخرى، وكانت أحداث خَلْق العالم هي أول مناسبة يذكر فيها شيء عن اليوم السابع في

العهد القديم، ففي بداية سفر التكوين حيث نجد قصة خلق الكون، وعند نهاية أيام الخلق الستة تجيء كلمات السفر عن اليوم السابع، والنص ذُكِرَ قبل ذلك، ويذهب الفكر الديني اليهودي إلى أن أسباب تقديس السبت متمثلةً في هذه الفقرة المذكورة رغم أن اسم هذا اليوم -السبت- لم يُذكر فيها، ويعتقد اليهود اعتقادًا راسخًا أن الرب قد منح شعبه المختار يومه المختار يوم السبت، الذي احتل مكانة خاصة ومقدسة عند بني إسرائيل.

ويذهب الفكر المسيحي إلى الاعتقاد بأن هذا اليوم السابع كان معروفًا بيوم الرب قبل أن يتسلم بنو إسرائيل الشريعة المكتوبة، وأن هذا اليوم قد استمد كيانه ومكانته من الرب ذاته الذي باركه وقدسه، وأن آدم ربما يكون قد عرف هذا الأمر وأخبر به أبناءَه، ولكن منهم من انحرف وزاغ عن الرب، فاستخدم أي يوم من أيام الأسبوع من أجل الراحة الجسدية، ويشير الفكر المسيحي إلى أن الآباء الأولين في الغالب قدسوا اليوم السابع؛ ليذكروا فيه أعمال الرب في أيام الخليقة وقدرته وعنايته، والأرجح أن بعض الشعوب الوثنية قد أخذت هذا الأمر عن الآباء بطرق الوراثة والتقليد.

ويذهب الفكر المسيحي إلى نقطة أبعد من ذلك عندما يثير مسألة العَلاقة بين السبت اليهودي وسابع أيام الخليقة، فلما كانت كلمة شبات السبت تعني راحة في اللغة العربية، فإن التشابه موجود بين السبت وسابع أيام الخليقة من حيث إن كلًّا منهما خلو من العمل، وإن الراحة هي السمة المشتركة التي تميزهما، ومع ذلك فإنه لا يجوز القول حسب الفكر المسيحي بأن اليوم السابع من الخليقة هو السبت اليهودي، أو أن السبت اليهودي هو نفسه السابع من الخليقة، ويؤكد هذا الاختلاف الكلي بينهما ما ورد عن اليوم السابع في (سفر التكوين) ٢ / ١ : ٣.

وقد حدد الفكر المسيحي أبرز نقاط الاختلاف بين السبت اليهودي والسابع من الخليقة على النحو التالي:

١. الاسم، لم يذكر الكتاب المقدس أن سابع أيام الخليقة هو ذاته يوم السبت اليهودي، ويبدو ذلك واضحًا من خلال فقرات (سفر التكوين) ٢/ ١: ٣.

٢. تاريخ وجودهما، حيث ورد اليوم السابع للمرة الأولى في الكتاب المقدس عندما تناول قصة خلق العالم، وما تضمنته من عمليات الخلق التي تمت في كل يوم من الأيام السبعة للخليقة، أما ارتباط هذا اليوم باسمه السبت، فقد ظهر لأول مرة في حادثة نزول المَن والسلوى بعد خروج بني إسرائيل من مصر.

٣. يوجد فرق كبير بين مدة السبت اليهودي وسابع يوم الخلق، فقد توصل علماء العصر الحديث إلى أن مدة اليوم الآن تختلف عن مدته يوم الخليقة، فإذا كان اليوم الآن أربعًا وعشرين ساعةً فإن يوم الخليقة أطول من ذلك بكثير، ولا شك أن موسى عليه السلام حسب الفكر المسيحي قَصَّ أحداث الخلق بلغة قومه الذين اعتادوا إطلاق لفظة يوم على زمن مطلق، فأحيانًا يقصد باليوم فترة طويلة من الزمن على نحو ما ورد في تكوين ٢/ ٤، وهذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات، فإن الملاحظ هنا أنه قصد بيوم كل أيام الخليقة، ويؤيد هذا الاختلاف أيضًا أن كاتب سفر التكوين حدد أيام الخليقة الستة بذكر خاتمة خاصة بكل يوم منها بقوله: وكان مساء وكان صباح يوم واحد. تكوين ١/ ٥، راجع على ١/ ٨، ١٣، ١٩، ٢٣، ٣١.

أما اليوم السابع فإنه لم يحدده بهذه العبارة مما يدل على اختلافه عن بقية الأيام السابقة، ولم يذكر الكتاب المقدس أي يوم خاص بالعبادة لليهود منذ نشأتهم إلا بعد خروجهم من مصر، وفي سنة الخروج صدر لأول مرة في تاريخهم حسب مصادرهم أمر موسى عليه السلام بحفظ السبت كيوم عطلة فقط لا كيوم عبادة على نحو ما يفهمونه في الوقت الحاضر، فقبل تسلم الشريعة أمر رجال العهد القديم بالتوقف عن جمع المن في اليوم السابع؛ لأنه عطلة سبت مقدس للرب، خروج ١٦/ ٢٣.

فرغم أن تقديس يوم السبت بالراحة والكف عن السعي والعمل، يرجعه الفكر الديني اليهودي إلى بداية الخليقة مستندًا في ذلك إلى ما ورد في رواية (سفر التكوين) ٢/ ١: ٣ إلا أن حكم هذا اليوم وتعظيم اسمه قد أعطي لبني إسرائيل للمرة الأولى عند نزول المَن عندما كانوا يهيمون على وجوههم في صحراء سيناء في فترة التيه، فقد أخبرهم موسى عليه السلام أن هذا اليوم السابع هو عطلة سبت مقدس للرب. خروج ١٦/ ٢٣.

ويروي لنا العهد القديم حادثة نزول المن والتقاطه على نحو يفهم منه أن المحافظة على يوم السبت وقداسته والكف عن القيام بأي عمل فيه، هي من أوامر الرب ووصاياه التي أبلغها موسى عليه السلام لشعبه، وتعتبر هذه الحادثة بمثابة المثل العملي الأول الوارد في العهد القديم الذي سجل لنا لأول مرة أمر الرب بالتوقف عن العمل يوم السبت، والكف عن السعي حتى لو كان ذلك سعيًا لتوفير الطعام، فبعد خروج بني إسرائيل من مصر، تذمرت كل الجماعة على موسى وهارون - عليهما السلام- في البرية؛ لأنهم أوشكوا على الموت جوعًا لقلة الطعام بعد أن كانوا يعيشون في نعيم مصر وخيراتها، فقال الرب لموسى: ها أنذا أمطر لكم

خبزًا من السماء، فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها؛ لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا؟ ويكون في اليوم السادس أنهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يومًا فيومًا، خروج ١٦/ ٤ : ٥.

وحدث في المساء أن صعدت السلوى وغطت المحلة، وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة، وعندما ارتفع سقيط الندى ظهر على وجه البرية شيء دقيق كقشور الجليد على الأرض هو المَن، فقال موسى لبني إسرائيل: هذا هو الشيء الذي أمر به الرب التقطوا منه كل واحد على حسب أكلة، وأمرهم أن يأخذوا منه بعدد نفوسهم، وأن يأخذ كل واحد للذين في خيمته، وحذرهم موسى ألا يبقي أحد منه إلى الصباح لكنهم لم يسمعوا لموسى، بل أبقى منه أناس إلى الصباح، فتولد فيه الدود وفسد فسخط عليهم موسى. خروج ١٦/ ١٣ : ٢١.

ثم كانوا في اليوم السادس أنهم التقطوا خبزًا مضاعفًا عمرين للواحد، فجاء كل رؤساء الجماعة وأخبروا موسى فقال لهم: هذا ما قال الرب غدًا عطلة سبت مقدس للرب اخبزوا ما تخبزون، واطبخوا ما تطبخون، وكل ما فضل ضعوه عندكم ليحفظ إلى الغد، فوضعوه إلى الغد كما أمر موسى فلم ينتن ولا صار فيه دود، فقال موسى: كلوه اليوم؛ لأن للرب اليوم سبتًا، اليوم لا تجدونه في الحقل ستة أيام تلتقطونه، وأما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد فيه. ٢٢/ ٢٦.

وحدث في اليوم السابع أن بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا فلم يجدوا، فقال الرب لموسى: إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي؟ انظروا إن الرب أعطاكم السبت؛ لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين، اجلسوا كل واحد في مكانه لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع، فاستراح الشعب في اليوم السابع. ٢٧/ ٣٠.

ونتبين من حادثة نزول المن والتقاطه أن هدف الرب من إعطاء الخبز المضاعف في اليوم السادس، هو أن يستريح بني إسرائيل في اليوم السابع راحة بدنية، ويتضح ذلك من جملة الرب: أعطاكم السبت. خروج ١٦/ ٢٩. أي: منحكم عطلة وراحة بدنية، وهي تشبه تمامًا مضمون ما ورد في جملة: فاستراح الشعب في اليوم السابع. خروج ١٦/ ٣٠.

ومن الملاحظ هنا أيضًا عدم ذكر أي شيء عن اليوم السابع كيوم عبادة، وأن كل ما في الأمر أنه يوم سبت أي يوم عطلة، أو راحة بدنية لبني إسرائيل فقط، كذلك لم يذكر بالتحديد اسم ذلك اليوم السابع الذي لم يكن السابع من أيام الأسبوع، بل إنه السابع من وقت نزول المن، ستة أيام تلتقطونه، وأما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد فيه. خروج ١٦/ ٢٦.

أهمية السبت وقيمته الروحية عندهم:

يمثل يوم السبت حسب فقرات العهد القديم قيمة روحية عالية عند بني إسرائيل، فهو رمز للعلاقة والعهد بين الشعب والرب، فيقول الرب لموسى: وأنت تكلم بني إسرائيل قائلًا ثبوتي تحفظونها؛ لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم؛ لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم، فيحفظ بنو إسرائيل السبت؛ ليصنعوا السبت في أجيالهم عهدًا أبديًّا هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد، هذا النص في حزقيال ٢٠/ ١٢، وأما النص السابق ففي خروج ٣١/ ١٣، ١٦، ١٧.

وكان كلام الرب إلى حزقيال: وأعطيتهم أيضًا ثبوتي لتكون علامة بيني وبينهم؛ ليعلموا أني أنا الرب مقدسهم، ويذكر السبت في (سفر الخروج) جنبًا إلى جنب مع أعياد أخرى، انظر خروج ٢٣/ ١٤: ١٧. ويبدو أنها أقيمت للتخفيف عن

البؤساء والتعساء في المجتمع، فمن أسباب حفظ السبت أن يستريح ثورك وحمارك، ويتنفس ابن أمتك والغريب، خروج ٢٣/ ١٢. ويبدو واضحًا أن هذا السبب هو ذاته الذي يكرره (سفر التثنية)، ولكن فضلًا على ما يحويه التثنية من عنصر إنساني اجتماعي، فإنه يتضمن أيضًا تعليلًا تاريخيًّا للسبت، فقد كان بنو إسرائيل عبيدًا في مصر وأخرجهم الرب من هناك لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. تثنية ٥/ ١٢: ١٥.

وتتكرر الفقرات التي تحث على ضرورة الحفاظ على السبت في مواضع كثيرة من العهد القديم متضمنة بعض الأعمال المحظور القيام بها في هذا اليوم، إن قيمة السبت الروحية وأهميته بين قوانين التوراة ندركهما في أوامر الرب وأقواله المفصلة التي وجهها لموسى فيما يتعلق بصنع خيمة الاجتماع. خروج ٣١/ ٣: ١٧. فبعد أن كلم الرب موسى في كل ما يتعلق بصنع خيمة الاجتماع ومشتملاتها، نجد تأكيدًا جديدًا على ضرورة المحافظة على قداسة السبت، فهو أهم عند الرب من خيمة الاجتماع، وكلم الرب موسى قائلًا: وأنت تكلم بني إسرائيل قائلًا ثبوتي تحفظونها؛ لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم؛ لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم، فتحفظون السبت؛ لأنه مقدس لكم، من دنسه يقتل قتلًا، إن كل من صنع فيه عملًا تقطع تلك النفس من بين شعبها، ستة أيام يصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملًا في يوم السبت يقتل قتلًا، فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهدًا أبديًّا هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد؛ لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس. خروج ٣١/ ١٢: ١٧.

ويؤكد (سفر الخروج) دائمًا على ضرورة حفظ السبت وأهميته، ويذكر بني إسرائيل بشدة العقوبة التي تلحقهم إذا ما دنسوا هذا اليوم، كلُّ مَن يعمل فيه

عملًا يقتل، وينهاهم عن القيام ببعض الأعمال التي تفسد قداسة هذا اليوم كإشعال النيران، لا تشعلوا نارًا في جميع مساكنكم يوم السبت. خروج ٣٥/ ٢ :
٣. ولأهمية السبت وخصوصيته نص التشريع اليهودي على تقديم قربان إضافي خاص ليوم السبت، فضلًا عن تقديم القرابين اليومية المعتادة في غيره من أيام الأسبوع. (سفر العدد) ٢٨/ ٩ : ١٠، وقارن عدد ٢٨/ ٣ : ٨. وفُرض على بني إسرائيل أن يصنعوا خبزًا خاصًّا في كل يوم سبت، وأن يرتبوه ويقدموه بطريقة خاصة على المائدة أمام الرب في خيمة الاجتماع. لاويين ٢٤/ ٥ : ٨.

وقد تنص فقرة واحدة من فقرات العهد القديم على حفظ السبت مقترنًا بوصايا وأوامر أخرى هامة، فنجد مثلًا الأمر بالحفاظ على السبت مقترنًا بوصية احترام الأب والأم، لاويين ١٩ : ٣، كما نجد ذلك مرتبطًا بهيبة مقدس الرب ومخافته، لاويين ١٩/ ٣٠، و٢٦/ ٣، كما نجد ذلك مرتبطًا بهيبة مقدس الرب ومخافته.

وفي ما ورد عن فترة الملكية في العهد القديم تذكر الراحة في يوم السبت وفي رأس الشهر، ويبدو أن مظاهر الفرح والسرور والبهجة كانت عظيمة وواضحة ومتميزة في تلك الأيام، كما كانت هذه المواسم والأعياد كثيرة، هوشع ٢/ ١٣، في الترجمة العربية ١١، ويبدو أن هناك من بني إسرائيل من اعتاد على زيارة بيوت الأنبياء في هذه المناسبات: رأس الشهر والسبت، وفي تلك الفترة أيضًا يبدو أن مظاهر الاحتفالات والمهرجانات قد تزايدت في المعبد.

الصلاة في يوم السبت:

تطورت الطقوس والعبادات على وجه العموم عند بني إسرائيل جنبًا إلى جنب مع تطور العقائد، ومما لا شك فيه أن تأدية الصلاة والعبادة، كانت منذ أول وجود الجنس البشري وأول تأدية شكر وعبادة في حدود ما وصلنا من هذا القبيل، كانت تقديمات قابيل وهابيل، ويذكر لنا (سفر التكوين) عددًا من

الصلوات المتفرقة، وأنماطًا من العبادات التي أداها الآباء، كما تذكر أسفار العهد القديم التالية أنواع التقديمات التي قررت رسميًّا، وكان تقديمها على يد الكهنة في أماكن مخصوصة للعبادة، كما تذكر هذه الأسفار أيضًا صلوات متفرقة لرجال الله وأنبيائه، وحتى ذلك العهد لم تكن الصلاة محددة وإجبارية، بل كانت تُتلى ارتجاليًّا حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية، وعندما خرب الهيكل وسبي بنو إسرائيل إلى بابل وبطلت التقديمات والقرابين التي كان من أهم شروطها أن تقدم في معبد أورشليم، وضعت الصلوات بدلًا منها إلى يومنا هذا.

وجدير بالذكر أن الصلوات الطقسية لم توضع عند بني إسرائيل إلا بعد تأسيس أماكن خاصة للعبادة، كخيمة الاجتماع والهيكل، ويتضح من (سفر أشعياء) أن الصلوات القانونية وضعت في عهد الأنبياء، ويمكن الاستدلال على أوقاتها من سفر دانيال، فإنه كان يصلي ويركع ويشكر الرب ثلاث مرات كل يوم، وكذلك من المزمور ٥٥/ ١٧، وأحيانًا مرتين كل يوم، حيث يشير إلى ذلك (سفر أخبار الأيام الأول) ٢٣/ ٣٠.

ومن ثم -يعني: مما تقدم- يتضح بجلاء أن يوم السبت يقدسه اليهود تقديسًا لا مراء فيه، ولا شك فيه، وهم يحرمون حسب نصوصهم وكما فهموا من نصوصهم ممارسةَ أي نشاط أو عمل في هذا اليوم، حتى ولو كان يؤدي ذلك إلى قتل مَن يمارس عملًا في يوم السبت.

(المسيحية)

عناصر الدرس

عقيـــــدة النصـــــارى في المســـــيح عليه السلام

إن عقيـدة النصـارى في سـيدنا عيسـى عليه السلام أنـه إلـه وابـن إلـه والـروح القـدس، فالذات الإلهية عندهم مكونة من ثلاثة أقسام، أو ثلاثة أجزاء، أو ثلاثة أقانيم، هي: الأب، والابن، والروح القدس، وعلى ذلك فالنصارى يؤلهون المسيح عليه السلام ويزعمون أنه إله وابن إله، وأن الثلاثة أقانيم متساوية، لكن هناك مذاهب للنصارى في طبيعة المسيح هل هو بشري صرف، أم بشري وفيه طبيعة إلهية، أم أنه ذو طبيعتين إلهية وبشرية متحدتين معًا؟

جاء في (الملل والنحل) للإمام الشهرستاني: أن الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، الناسوت هو الجزء البشري في المسيح، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، والأقنوم هو الذي يتميز عن غيره بلا انفصال عنه، فهذا الأقنوم يشبه أصبع الإنسان، فهي مكونة من ثلاثة أجزاء، لكن لا يفصل بينهما هذا الفاصل الذي يفصل بين العقلتين، فهو متدفق في ذاته، الله الأب يليه الابن يليه الروح القدس.

ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة؛ لأن أقنوم الروح القدس من وظيفته التعليم، والتبكيت، والتسرية، والتعزية، ونحو ذلك، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنًا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن، وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾ [المائدة: ٧٣] وقالت الملكانية: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم -عليها السلام- إلهًا أزليًّا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله ﻷ وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل؛ حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد، وحيث قال له شمعون الصفا: إنك ابن الله حقًّا، ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا: أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة: أبناء الآخرة، وقد قال المسيح ؛ للحواريين: أنا أقول لكم أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل من يؤذيكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي تشرق شمسه على الصالحين والفجرة، وينزل قطره على الأبرار والأئمة، وتكونوا تامين كما أن أباكم الذي في السماء تام.

فالشاهد فيه كلمة "أبناء أبيكم الذي في السماء"، وقال: انظروا صدقاتكم، فلا تعطوها قدام الناس لتراءوهم، فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء، الشاهد كلمة "أبيكم"، وقال حين كان يصلب حسب زعمهم: أذهب إلى أبي وأبيكم، ولما قال أريوس: القديم هو الله، والمسيح هو مخلوق، اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلدة قسطنطينية بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلًا، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادًا ودعوةً، وذلك قولهم: نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوامل، وخلق كل شيء من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنسانًا، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام في اليوم

الثالث وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين.

النسطورية:

أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في قوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم أحوال أبي هاشم من المعتزلة، فإنه يثبت خواصًّا مختلفة لشيء واحد، ويعني بقوله واحد يعني: الإله، قال: هو واحد بالجوهر، أي: ليس هو مركبًا من جنسين، بل هو بسيط وواحد، ويعني بالحياة والعلم أقنومين جوهرين، أي: أصلين مبدأين للعالم، ثم فسر العلم بالنطق والكلمة، ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودًا حيًّا ناطقًا كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان، إلا أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان لكونه جوهرًا مركبًا، وهو جوهر بسيط غير مركب، وبعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما، ولم يجعلوها أقانيمَ كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين، ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حي،

ناطق، إله، وزعم الباقون أن اسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم، فالنصارى يغضبون جدًّا حينما تقول: المسيح الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، لا، هم لا يريدون ذلك، ولكنهم يريدون إن مجموع الثلاثة يساوي واحدًا لا يساوي ثلاثة.

وزعموا أن الابن لم يزل متولدًا من الأب وإنما تجسد، واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران أقنومان طبيعتان: جوهر قديم وجوهر محدث، إله تام، وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث، لكنهما صارا مسيحًا واحدًا وطبيعةً واحدةً، وربما بدلوا العبارة فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة، ومكان الأقنوم الشخص.

وأما قولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكانية واليعقوبية، قالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام، وبوطينوس وبولس الشمشاطي يقولان: إن الإله واحد، وإن المسيح ابتدأ من مريم -عليها السلام- وإنه عبد صالح مخلوق، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابنًا على التبني، لا على الولادة والاتحاد.

ومن النسطورية قوم يقال لهم: المصلون، قالوا في المسيح مثلما قال نسطور، إلا أنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذي باللحم والدسم، ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية، تصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السموات، ويرى الله تعالى جهرًا، وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

اليعقوبية:

أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة -كما ذكرنا- إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] فمنهم مَن قال: إن المسيح هو الله تعالى، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهرَ الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان، وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧] وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبًا كما تركبت النفس والبدن، فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا، وهو إنسان كله وإله كله، فيقال: الإنسان صار إلهًا ولا ينعكس، فلا يقال: الإله صار إنسانًا كالفحمة تطرح في النار فيقال: صارت الفحمة نارًا، ولا يقال: صارت النار فحمة، وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة، بل هي جمرة.

وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والحلول، كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة، وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث إلا أن الأقنوم الثاني -الذي هو الكلمة- اتحدت دون سائر الأقانيم، وأجمعوا كلهم على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم -عليها السلام- وقتل وصلب، ثم اختلفوا في كيفية ذلك،

فقالت الملكانية واليعقوبية: إن الذي ولد من مريم هو الإله، فالملكانية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلي أزلي قالوا: إن مريم إنسان جزئي، و الجزئي لا يلد الكلي، وإنما ولده الأقنوم القديم.

واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود، قالوا: إن مريم ولدت إلهًا -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- وكذلك قالوا في القتل والصلب: إنه وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، قالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد، وزعم بعضهم أنا نثبت وجهين للجوهر القديم، فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه، وزعم قوم من اليعقوبية أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا، ولكنها مرت بها كالماء بالميزاب، وما ظهر بها من شخص المسيح في الأعين، فهو كالخيال والصورة في المرآة، وإلا فما كان جسمًا متكثفًا كثيفًا في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب إنما وقعَا على الخيال والحسبان، وهؤلاء يقال لهم الإليانية، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية، قالوا: وإنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا.

وزعم بعضهم أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح ﷺ أحيانًا، فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وتفارقه في بعض الأوقات، فترد عليه الآلام والأوجاع، ومنهم بليارس وأصحابه حكي عنه أنه كان يقول: إذا صار الناس إلى الملكوت الأعلى أكلوا ألف سنة وشربوا وناكحوا، ثم صاروا إلى النعم التي وعدهم آريوس، وكلها لذة وراحة وسرور وحبور لا أكل فيها ولا شرب ولا نكاح، وزعم مقدنيوس أن الجوهر القديم أقنومان فحسب: آب، وابن، والروح مخلوق، وزعم سباليوس أن القديم جوهر واحد أقنوم واحد له ثلاث خواص، واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم -عليهما السلام.

وجاء في (محاضرات في النصرانية) للإمام محمد أبو زهرة -عليه رحمة الله-: أنه بعد مجمع نيقيا أبعد التوحيد رسميًّا عن الديانة المسيحية، وإن كان أتباعه أكثر عددًا وأعز نفرًا، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب بالنفي والتشريد، وكل ذرائع الأذى والاضطهاد حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد، وفعل الزمان فعله، وتغلبت الظلمة على النور، وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع، وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل ألوهية المسيح في الجملة إن استثنينا مقدنيوس وفرقته.

فرقة مقدنيوس:

وأول فرقة ظهرت في ذلك العصر فرقة مقدنيوس هذا، فقد أنكرت أن يكون روح القدس إلهًا، وقاومت ما ترمي إليه الكنائس العامة من فرض تلك الألوهية، ودعوة الناس إليها، وحثهم على اعتناقها، ولعل مقدنيوس هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتنقون التوحيد، ويتابعون في ذلك آريوس وسائر الموحدين، وإن كانت الغلبة لغيرهم فهاله أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح، ويثنون بتأليه الروح القدس، فجاهر بإنكار الثاني؛ لأنه لم يعد في قوس الصبر منزع.

يقول ابن البطريق: وفي عشر سنين من ملك ابن قسطنطين الثاني صير مقدنيوس بطريركًا على القسطنطينية، وكان يقول: إن روح القدس مخلوق، وأقام عشر سنين ومات، لكن مقالته لم تمت بموته، بل كان له أشياع وأتباع، وخصوصًا من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية، وإن أصبحوا في الجملة لا سلطان لهم لأجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١، وكان المقرر والمناظر

والمجادل في هذا المقام بطريرك الإسكندرية مهد الأفلاطونية الحديثة، طبعًا الإسكندرية -مدرسة الإسكندرية- كانت غارقة في الفلسفة القديمة.

ويجب أن يلاحظ أنه في الوقت الذي أنكر فيه مقدنيوس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام، وقد يكون موضع حديث البطاركة، وتعليم بعضهم كون الروح القدس إلهًا، فتصدى مقدنيوس لإنكار ذلك، وتلقى الناس كلامه بالقبول؛ ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنين.

النسطوريون:

هذه النحلة تنسب إلى نسطور، وقد كان بطريرك القسطنطينية، وقد مكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إلهًا، بل ولدت الإنسان فقط، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني -وهو الابن- لم يتجسد وتلده مريم، كما يرى غيره من المثلثين، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وليس ذلك الاتحاد بالمزج، وجعلهما شيئًا واحدًا، وذلك الاتحاد ليس اتحادًا حقيقيًّا، بل اتحادًا مجازيًّا؛ لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لا شك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم وحُوكِمَ وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلهًا ولا ابن الإله.

وقد تقرر أن كلام نسطور يلزم منه حتمًا إنكار ألوهية المسيح، ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية في ذلك الإبان؛ ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان

والإله، ولقد أبعد ذلك نسطور عن منصبه ونفي، فصار إلى مصر وأقام في أخميم إلى أن مات.

ويقول ابن البطريك: كانت مقالة نسطور قد اندثرت فأحياها من بعده بزمان بوصوما مطران نصيبين في عهد قباز بن فيروز ملك فارس، وثبتها في الشرق، وخاصة أهل فارس؛ ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق، في العراق والموصل والجزيرة، ولا يزالوا إلى الآن في الأماكن التي يذكرها ابن البطريك نسطوريون ينتحلون هذه النحلة ويأخذون بهذا المذهب، ويقول صاحب (سوسنة سليمان): إن النسطوريين في هذا العصر يسمون الكلدان، يسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما، ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم، غير أنهم يمتازون عن باقي المذاهب باعتقادهم أن نسطوريوس حرمه مجمع أفسس ظلمًا، حرمه أي: أخرجه من منصبه.

أضف إلى ذلك بأنه لم يكن في المسيح طبيعتان، بل أقنومان أيضًا، وكان يحسب هذا المعتقد في الزمن القديم ضلالًا مبينًا، وأما في هذا الزمان فيحسبه العلماء حتى الكاثوليك الرومانيون غلطًا لفظيًّا لا معنويًّا؛ لأن هؤلاء الكلدانيين يعتقدون أن في المسيح أقنومين كما أن فيه طبيعتين، ويقولون أيضًا بأن هذين الأقنومين وهاتين الطبيعتين قد التصقتا حتى صار منهما رؤية واحدة، وهذا الكلام يدل على أمرين:

أحدهما: أن الكنيسة الرومانية التي كانت تشدد في القرون الخالية في طرد كل من يخالف معتقدها، وتعده كافرًا لا يلج الإيمان قلبه قد تساهلت في هذه الأعصر فوسعت صدرها للمخالفين لها، وتأولت لهم لتدخلهم في حظيرتها بعد سابق الحرمان، والطرد، واللعن، والتكفير.

ثانيهما: أن النسطوريين قد انحرفوا عن مبادئ نسطور؛ لأن نسطور -كما قررت صاحبة كتاب (تاريخ الأمة القبطية) وكما قرر ابن البطريك- لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة، واستنبطنا -كما استنبط غيرنا- أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الإلهي خلوًّا تامًّا، وهو يصرح بأن مريم ولدت الإنسان فقط، بينما غيره يقرر أنها ولدت الإله والإنسان، وهذا اختلاف جوهري في الحقيقة والمعنى لا في الشكل واللفظ، وإن كان النسطوريون في هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم، فقد انحرفوا عن مقالة نسطور.

والنسطوريون يقيمون -كما ذكرنا- في بلادهم، بلاد العراق والموصل، ومنهم طائفة تقيم في الهند، وأخرى تقيم في بلاد العجم، وهم جميعًا يلتزمون بتقاليد وطقوس دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين، وليس عندهم من تقليد إلا أن أساقفهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وهذا يسمى عندهم الرهبنة كما نعلم، وذلك منذ سنة ١٨٣٠ ميلادية، كما جاء في كتاب (سوسنة سليمان).

اليعقوبيون: هم أتباع يعقوب البرادعي، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البرادعي؛ لأنه من أنشط الدعاة إليه لا؛ لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، وبسبب ذلك الإعلان انعقد مجمع خلكدونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي، ويقرر

صاحب (سوسنة سليمان) في إطلاق اسم اليعقوبيين على أصحاب هذا الرأي يطلق عليهم اسم يعقوبيين؛ نسبةً إلى يعقوب البرادعي الذي أعاد هذه الشيعة، ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي بعد أن كادت تتلاشى.

والذين يقولون: إن المسيح ذو طبيعة واحدة ينقسمون إلى آسيويين وأفريقيين، ولكل قسم رياسة دينية خاصة به، فرئيس الآسيويين هو بطريرك السريان، ومن هؤلاء الآسيويين من اعترفوا برياسة الكنيسة الكاثوليكية فقبلتهم وإن استمروا على رأيهم، ورئيس الأفريقيين هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة، ويتبعه في هذه الرياسة سكان الحبشة المسيحيون فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية، وهو يعين لهم أسقفًا يسوسهم، ومن الذين يعتقدون أن المسيح ذو طبيعة واحدة، ويتحدون مع الكنيسة القبطية في ذلك الاعتقاد، ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس، ولهم بطاركة يرأسونهم، ولا يندمجون في كنيسة القبط ولا كنيسة السريان بآسيا الأرمن.

المارونية:

هم أتباع يوحنا مارون، وقد اشتهر يوحنا هذا برأيه سنة ٦٦٧ ميلادية، ودعا إليه وشايعه بعض القسيسيين فيه، ومعهم بعض من مسيحي آسيا، وهو أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة، ومن أجل هذه النحلة الجديدة اجتمع المجمع العام السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ بعد الميلاد، وقرر حرمان مارون، ولعنه، وتكفيره، وكل مَن يذهب مذهبه، وينتحل نِحلته، ويظهر أن المنتحلين لهذا الرأي لم يكونوا ذوي شوكة وقوة حتى يكونوا بمنجاة من الأذى والاضطهاد، فقد نزلت اضطهادات شديدة لم يكن لهم مَن يدفعها

عنهم إلا الفرار، فلم يجدوا لهم مأمنًا يعتصمون به إلا بعض البلاد في جبل لبنان فاعتصموا بها، واستمروا على اعتصامهم وبُعدهم، حتى أَدْنتهم إليها الكنيسة الرومانية وقربتهم منها، وأعملت الحيلة والسياسة، حتى أعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها على أن يبقوا على رأيهم.

ولقد كان اتحادها مع الكنيسة الرومانية سنة ١١٨٢ بعد الميلاد، وما زالت هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان، ولها بطريرك خاص، وإن كانت تقر بالرياسة لبطريرك روما.

وجاء في كتاب (مقارنة الأديان المسيحية) الأستاذ الدكتور أحمد شلبي كلام قريب من هذا، فذكر عن مذهب النسطوريين أنه ينسب إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية، ومذهبه أو ومذهب النساطرة محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه، ويقول نسطور شارحًا مذهبه: إن مريم لم تلد إلهًا؛ لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسدًا، ولأن المخلوق لا يلد الخالق، فمريم ولدت إنسانًا، ولكن كان آلة للاهوت، وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي: اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحادًا مجازيًّا، فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة.

وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح ذلك القول الذي سيتبناه الكاثوليك، أما الكنائس الشرقية فقد اتخذت موقفًا معارضًا لنسطور، وقالت بطبيعة واحدة، واعتبر ذلك بدعة من نسطور، وطرد من منصبه ونفي، ولكن مذهبه لم يمت.

مـذاهب النصـارى في طبيعـة المسـيح

المذهب اليعقوبي:

يجدر بنا أن نشرح هذا المذهب قبل أن نشرح مذهب الكاثوليك؛ إذ كان مذهب الأرثوذكس رد فعل لعقيدة نسطور، ثم إنه أعلن قبل أن يعلن الكاثوليك اتجاههم، وقد أعلن مذهب الأرثوذكس عن طبيعة المسيح في مجمع عقد لهذا الغرض بمدينة أفسس بالأناضول سنة ٤٣١، واتخذ المجمع قرارًا يوافق عقيدة البابا كرلس بطريرك الإسكندرية، وهو يقضي بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ففي المسيح أقنوم واحد تم بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج؛ ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله، وفيما يلي نص كلمات البابا كرلس سابق الذكر: إن لسيدنا يسوع المسيح أقنومًا واحدًا إلهيًّا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادًا تامًّا، بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنسانًا عاديًّا، بل ابن الله المتجسد؛ لذلك هي حقًّا أم الله.

وبلغة أخرى يقولون بأن الكلمة الإله الابن انقلبت لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وينتشر المذهب الأرثوذكسي في مصر والنوبة والحبشة، وقد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبي نسبةً إلى داعية مشهور اسمه يعقوب البرادعي قام بالدعوة له ونشره، وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب التي فصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية.

مذهب الكاثوليك الملكانية: مذهب الكاثوليك هو مذهب الطبيعتين والمشيئتين، وقد اعتنقته كنيسة روما، واتخذت به قرارًا في مجمع خلكدونية سنة ٤٥١، وهذا المذهب يقول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحت، ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان، ومن الواضح أن هذا القول متأثر إلى حد ما باتجاه نسطور سالف الذكر الذي يرى بأن المسيح إنسان غمره اللاهوت بعد ولادته، ولكن الكاثوليك يختلفون عن نسطور في اعتقادهم أن مريم ولدت الاثنين جميعًا، فهي قد ولدت يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد، وقد حضر زوج الملكة مجمع خلكدونية؛ ولذلك يسمى هذا المذهب بالمذهب الملكاني، وكنيسة هؤلاء من الطقس البيزنطي، وتنتشر الملكانية في سوريا ومصر وفلسطين، ولهم جالية كبيرة في الولايات المتحدة، ولصلتهم بالطقس البيزنطي تسمى كنيستهم بكنيسة الروم.

كما جاء في كتاب (تاريخ الفكر المسيحي) للدكتور القس حنا جرجس الخضري في الجزء الثالث منه: مفهوم القديس كرلس لعقيدة الاتحاد، ما مفهوم القديس كرلس لعقيدة الاتحاد؟ هل علم بوجود طبيعة واحدة في المسيح أو بوجود طبيعتين؟ وما هو رأي الكنيسة الأرثوذكسية حاليًا؟ وهل هي مخطئة أم محقة في تمسكها بعقيدة الطبيعة الواحدة؟

التعليم بوجود طبيعة واحدة: مما لا شك فيه أن الدارس المدقق لاستقصاء الحقائق العلمية بأمانة وحياد لا يمكنه أن ينكر أن معلم الإسكندرية اقتبس كثيرًا جدًّا الجملة الشهيرة المعروفة، وهي واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد، ولقد وردت هذه الجملة في كثير من كتبه وتعاليمه، فلقد كتب ما معناه: ونحن نقول:

إن الطبيعتين اتحدتا فلا انقسام بعد اتحاد الطبيعتين، وبناء على ذلك فنحن نؤمن بطبيعة واحدة للابن؛ لأنه واحد بالرغم من صيرورته إنسانًا، والعالِم كوستن يرى أن كرلس تكلم كثيرًا عن الطبيعتين قبل الاتحاد، وعن طبيعة واحدة بعد الاتحاد.

ويقول العالم تكسرونت: إذا نظرنا إلى الكلمات بحسب الظاهر فقط يمكننا القول بأن القديس كرلس لا يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة، كما أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وبعض الكنائس الأخرى تتمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح منذ القرن الخامس وحتى قبل ذلك، وخاصة بعد مجمع أفسس الثاني وخلكدونية على أن الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية تؤمن بوجود طبيعتين متحدتين اتحادًا حقيقيًّا وجوهريًّا وغير منفصلتين الواحدة عن الأخرى، أمام هذين الموقفين يتساءل الكثيرون مَن مِن الفريقين على حق، ومَن المخطئ في العقيدة وفي التعليم؟ هل الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية التي تنادي بوجود طبيعتين في المسيح الواحد أرثوذكسية العقيدة، أم الكنائس التي تنادي بوجود طبيعة واحدة هي الأرثوذكسية؟ على أننا نعتقد أن السؤال لا يجب أن يطرح بهذه الطريقة، بل يجب أن نسأل: كيف فهم كرلس والكنائس التي تنادي بوجود طبيعة واحدة هذه العقيدة؟ وكيف فهمت الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية نفس العقيدة؟

سبق أن رأينا كيف علم كرلس في بعض كتاباته بعقيدة الطبيعة الواحدة لسببين على الأقل:

السبب الأول: هو أنه عندما بدأ في البحث عن بعض المصادر التي أراد بها دحض أقوال نسطوريوس وجد كتابات أبولو ناريوس كمصدر من هذه المصادر،

وكان أبولو ناريوس قد كتب هذه الكتابات ووضع عليها أسماء مزيفة لامعة مثل اسم اسناسيوس، غري غوريوس، العجائبي، والبابا يوليانوس، وفيلكس، وآخرين، وكانت هذه الكتابات التي حملت أسماء هؤلاء الآباء المشهود لهم بالأرثوذكسية تتكلم عن واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد، فقد كانت تتحدث جميعها عن وجود طبيعة واحدة في المسيح، واعتقد كرلس أن هذه التعاليم هي تعاليم هؤلاء الآباء.

السبب الثاني الذي دفع كيرلس لإقرار هذه الجملة هو: أنه وجد بها التعاليم المضادة تمامًا لتعاليم نسطوريوس، وبناء على ذلك، فإن معلم الإسكندرية قبل هذه الجملة وقررها مرارًا وتكرارًا دون أن يتحقق -للأسف الشديد- من مصدرها؛ لأنه كان يرى في تعاليم نسطوريوس تهديدًا خطيرًا جدًّا لوحدة المسيح، كما أنه يعتقد أن تعاليم أسقف القسطنطينية تؤدي إلى فصل الطبيعتين الواحدة عن الأخرى.

إن الكنائس التي تنادي بعقيدة الطبيعة الواحدة لا ترفض ألبتة وجود اللاهوت والناسوت في شخص المسيح يسوع، وهذا واضح من الإعلان الذي صرح به كل من البابا بولس السادس والأنبا شنوده الثالث بعد اللقاء التاريخي الذي حدث في مايو ١٩٧٣، حيث أعلنا: ونقر بأن ربنا وإلهنا ومخلصنا ملكنا كلنا يسوع المسيح إله كامل من حيث لاهوته، وإنسان كامل من حيث ناسوته، وأن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادًا حقيقيًّا كاملًا بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تشويش، ولا تغيير، ولا تقسيم، ولا افتراق، فلاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين، وأنه هو الإله الأزلي الأبدي غير المنظور صار منظورًا في الجسد واتخذ صورة عبد، وفيه حفظت كل خصائص الناسوت جميعًا باتحاد حقيقي كامل.

مفهوم كيرلس لعقيدة اتحاد الطبيعتين:

كيف تم هذا الاتحاد بين الجوهرين المختلفين الواحد عن الآخر؟

إن كيرلس لم ينكر وجود الطبيعتين -أي وجود الناسوت واللاهوت- في شخص المسيح، والمشكلة الكرستلوجية بالنسبة للقديس كيرلس لم تكن قائمة في الاعتراف بوجود الطبيعتين؛ لأنه كان يؤمن بذلك، وقد علم به، ولكن المشكلة كانت في كيفية التحدث عن الطبيعتين، أو بالمعنى الأصح التحدث عن كل طبيعة على حدة؛ لأنه كان يعتقد أن التحدث عن كل طبيعة على حدة قد يقود إلى ازدواجية الأقنوم، ولهذا السبب نلاحظ أنه في حديثه عن الطبيعتين واتحادهما كان دائمًا يحاول التركيز على الوحدة بينهما أكثر من الحديث عن التمييز بين الجوهرين: الناسوت، واللاهوت، فمفهومه لهذه الوحدة أنه يعتقد أن الوحدة بين هذين الجوهرين تمت فعلًا، وأن الكلمة الله اللوغوث حل في بطن القديسة مريم، و اتحد بالجنين الذي كان يتكون في بطنها، وعندما ولد الطفل يسوع كان لاهوتًا وناسوتًا، أقنومًا واحدًا ومسيحًا واحدًا، وأن هذا الاتحاد الذي يتحدث عنه رئيس أساقفة الإسكندرية لا يعني بأي حال من الأحوال خلط أو مزج الطبيعتين، أو التناول عن واحدة منهما، فلقد كتب يقول في شرحه لعبارة تجسد وتأنس: لا نعني بذلك أن طبيعة الكلمة قد تغيرت فصارت جسدًا، أو أنها تحولت إلى إنسان كامل مؤلف من نفس وجسد، بل بالحري أن الكلمة قد ضم إلى ذاته جسدًا فيه نفس عاقلة، وصار بطريقة لا يمكن الإفصاح عنها أو إدراكها إنسانًا، وهذا التعبير "الكلمة صار جسدًا" لا يمكن أن يعني شيئًا آخر غير أنه اتخذ لحمًا ودمًا مثلنا، أي: جعل جسدنا جسدًا له.

وفي شرحه ليوحنا ١٧ / ٢٢ : ٢٣ يقدم لنا القديس كيرلس صورة رائعة عن الوحدة الموجودة بين الجوهرين، فمع أن الكلمة والجسد هما من عنصرين مختلفين، إلا أنهما اتحدا باتحاد قوي وثيق، وهذه الوحدة تمت بينهما دون تحول أو تغيير، أو مزج طبيعة الواحد بطبيعة الآخر، فإن اللوغوث لم يترك لاهوته، ولم يتخل عن طبيعته الإلهية قط فتحول إلى إنسان، بل في قبوله لعملية التجسد ظل ما كان عليه قبلًا، ولم يحدث فيه أو في جوهره أدنى تغيير، فإن التغيير الوحيد الذي حدث هو أن الكلمة غير المنظور وغير الملموس أصبح منظورًا ملموسًا محسوسًا ذاك الذي كان بدون جسد أخذ جسدًا، ولقد كتب يقول: إننا نؤمن بأن الطبيعتين اتحدتا باتحاد قوي بدون خلط أو تحول.

آراء النصارى في الخطيئة

النصارى يعتقدون أن الخطيئة لا نهائية غير محدودة، يعني: حينما أخطأ سيدنا آدم حسب زعمهم وأكل من الشجرة المنهي عنها، أصبحت هذه الخطيئة تعد عندهم غير محدودة، ويجب أن يتجرد لها من هو لا محدود، وهو الله حسب زعمهم، ولن يغفر هذه الخطيئة التي كلنا ملعونون بسببها حينما نولد إلا بأن يصلب الرب على صليب وتدق في يديه ورجليه المسامير، ويعلق على خشبة، ويموت مصلوبًا ليفدي الجنس البشري كله من لوثة الخطيئة.

وهذا كلام لهم عن الأب متى المسكين في كتاب (قصة الإنسان حول الخطية والخلاص) يقول: والخطيئة ليست فعلًا تامًّا منحصرًا يبدأ وينتهي في فترته الزمنية وحسب، بل هي فعل ذو امتداد غير منظور؛ لأن الخطيئة تولد خطيئة إما مماثلة

لها أو مترتبة عليها، فالذي يحقد يظل يحقد، وقد يتطور أمره إلى العداء، والعداء إلى تعد... وهكذا، وإذا تكررت الخطيئة ولدت في السلوك نوعًا من العادة، وبالتكرار المتواتر تصبح الخطيئة لونًا من ألوان أنشطة الطبيعة ربما لا يحسها الإنسان، فالذي يعتاد الكذب بعد مدة طويلة لا يحس أنه يكذب إلى أن قال: فأقول هذا، وأشهد في الرب ألا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضًا، بدون الناموس يبطل أذهانهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله؛ بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم، الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة؛ ليعملوا كل نجاسة في الطمع. أفسس ٤/ ١٧ : ١٩.

ويقول الأب متى المسكين: والمسيح لما جاء جاء ليحقق الوعد الإلهي لإبراهيم الذي قبله بالإيمان، ولكن بعد أن حمل المسيح عنا ما كان يحجز البركة، أي: لعنة الناموس، وكان ذلك في جسده على الصليب، وهكذا حصلنا على بركة إبراهيم بعد أن رفعت لعنة الخطيئة وحكم الموت، وواضح جدًّا أن بدون لعنة الخشبة الصليب وحكم الموت على الجلجثة التي تفكنا نهائيًّا من الناموس - الجلجثة هي المكان الذي صلب فيه المسيح حسب زعمهم- ما كنا قد حصلنا على بركة إبراهيم، أو بالحري على شركة الإيمان بالله في المسيح يسوع.

ويقول أيضًا: لذلك فإبطال الخطيئة هو عمل يستهدف الطبيعة البشرية ككل لا يمكن أن يتم على مستوى فردي أو جزئي، مثل غفران الخطيئة الذي هو مجرد رفع عقوبة التعدي المباشر عن عمل ما ضد الناموس، فداود لما أخطأ واجهه النبي ناثان بتوبيخ الله، فقال داود في الحال معترفًا لناثان: قد أخطأت إلى الرب، فقال ناثان لداود: الرب قد نقل عنك خطيتك لا تموت، أي: رجمًا بحسب

الناموس كزان ٢ صمويل ١٢/ ١٣ ، فغفران الخطيئة سهل ، فيوحنا المعمدان أيضًا كان يعمد ويمنح غفران الخطايا لكل من كان يعترف لديه بخطاياه تائبًا ، وكان هذا مجرد إعداد لمعمودية الروح القدس بخلقة جديدة للإنسان ، أما رفع حكم الهلاك الأبدي بعد الموت -أي : قطع نصيب الإنسان من الحياة الأبدية مع الله- فهو شيء يفوق الموت الجسدي ، ويتجاوز مجرد غفران خطيئة ما كفعل تعد يستحق الرجم حسب الناموس ، بل إنه يتعلق برفع قوة عمل الخطيئة في الكيان البشري ، وبفك الإنسان الأسير من سلطان الشيطان بالموت ، وإعطاء قيامة جديدة للإنسان.

وهكذا فإن الخطيئة عندهم أمر صعب ولغز معقد ، لا يتجرد له إلا معبودهم المسيح الذي زعموا أنه صلب ؛ ليغفر كل خطايا الجنس البشري.

(عقيدة: التثليث – الصلب – العشاء الرباني)

عناصر الدرس

كيف نشأت عقيدة التثليث؟

الثالوث في الفكر المسيحي:

يؤمن المسيحيون بأن هناك ثلاثة أقانيم في الذات الإلهية هي: الآب، والابن، والروح القدس، وهذه الخواص الذاتية في الإله قديمة ومتساوية، ويعتقدون بأن الثالوث كان موجودًا منذ فجر المسيحية إلا أنه تأكد ظهوره في القرن الثاني الميلادي، وأن الثالوث أبعد ما يكون عن الآلهة الوثنية، ذلك أن منها قديمًا وحادثًا بخلاف الأقانيم، فهي متساوية في الأزلية كما يزعمون، ويدعي المسيحيون أن الثالوث موجود في الكتاب المقدس من خلال إشارات وتلميحات، وأنه قد تطور الإيمان به من خلال مراحل حياة يسوع التي أبرزت الثالوث واضحًا، ويعتذر المسيحيون عن عدم فهمهم للثالوث بقولهم: إنه سر يصعب فهمه لتعلقه بعظمة الله التي لا تدرك.

يعرف المسيحيون الثالوث بأنه الإيمان بإله واحد، الآب والابن والروح القدس، إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد، قام هذا التعريف على أن هناك ثلاثة أقانيم في الذات الإلهية حسب زعمهم هي أقنوم الأب والابن والروح القدس، وجوهر هذه الأقانيم واحد، وأنها متساوية فيما بينها، وهذه الأقانيم الثلاثة هي الإله الواحد مع أن العقل البشري لا يستسيغ هذه المقالة.

كيف نشأت عقيدة التثليث؟

القول بالتثليث لم يكن ظهوره مع النصرانية، بل إن جذوره ترجع إلى العصور القديمة في التاريخ البشري، حيث كان التثليث من عقيدة قدماء المصريين،

والآشوريين، والبابليين، والهنود، والفرس، وغيرهم من أتباع الديانات الوثنية السابقة على النصرانية، ولقد ذكر الأستاذ محمد بن طاهر التنير ما قاله أتباع هذه الديانات الوثنية عن عقيدة التثليث، مستدلًّا بأقوال علماء الأديان من غير المسلمين، فينقل عن موريس قوله: كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي، أي: أن الإله ذو ثلاثة أقانيم، وقال دوان: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث، أي: القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم، ويدعون هذا التثليث بلغتهم ترى مورتي، ومعناها أقانيم ثلاثة، وهي: برهما، وفشنو، وسيفا، ثلاث أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي: الرب، والمخلص، وسيفا، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد.

وجاء في كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم: أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر، والفعل، والامتزاج، ويوضحونه بقولهم برهما الممثل لمبادئ التكوين و الخلق، ولا يزال خلاقًا إلهيًّا هو الأب، وفشنو يمثل لمبادئ الحماية والحفظ، وهو الابن المنفك والمنقلب عن الحال لاهوتيًّا، وسيفا المبدئ المهلك والمبيد والمعيد، وهو روح القدس، والبوذيون من سكان الصين واليابان يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم يسمونه فو، ويقولون: إن فو واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال، وكان الروميون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث، وهو أولًا الله، ثم الكلمة، ثم الروح، وكان الفرس يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم، وهم: أرمزد، ومتراث، وأهرمن، فأرمزد الخلاق، ومتراث ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمن المهلك.

وكان الاسكندنافيون يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم يدعونه أوين، تورا، وفري، ويقولون عن هذه الثلاثة الأقانيم: إنها إله واحد، وقد وجد صنم يمثل هذا

الثالوث المقدس بمدينة أبسالا من السويد، وسكان سيبيريا القدماء كانوا يدعون إلهًا مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول من هذا الثالوث المقدس خالق كل شيء، والأقنوم الثاني إله الجنود، والأقنوم الثالث روح المحبة السماوية، ثم يقولون: أقانيم ثلاثة إله واحد، والتتر الوثنيون عبدوا إلهًا مثلث الأقانيم، وعلى أحد نقودهم الموجودة في متحف بتراسبرج صورة هذا الإله المثلث الأقانيم المقدسة جالسًا على حندقوتيه.

وقال العلامة نيت: وسكان الجزائر في الأقيانوس المحيط عبدوا إلهًا مثلث الأقانيم، فيقولون: الإله الآب، والإله الابن، والإله روح القدس، ويصورون روح القدس بهيئة طير، وقال العلامة سكوير: والهندوس الكنديون يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم، ويصورونه بشكل صنم له ثلاث رءوس على جسد واحد، ويقولون: إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة، وهكذا نرى هذا التشابه الكبير بين هذه الأديان الوثنية والنصرانية فيما يتصل بعقيدة تثليث الآلهة، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه العقيدة كانت سابقة على النصرانية، وأنها اقتبستها من الأمم الوثنية وأدخلتها ضمن تعاليمها.

عقيدة التثليث عند النصارى:

إن عقيدة التثليث قال بها النصارى من بين أتباع الأديان الإلهية، وإن كانت موجودة عند الأمم الوثنية المنحرفة عن منهج الله وهديه، واتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة التثليث، وقد أقرت هذه العقيدة لأول مرة في المجمع القسطنطيني المنعقد في سنة ٣٨١ ميلادية، والذي أكمل ما بدأه مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ الذي قرر عقيدة التأليه والبنوة فقط، ولم يرد ذكر لعقيدة الروح القدس، فأتى هذا المجمع وقرر ألوهية الروح القدس، وبذلك وصلت

النصرانية إلى القول بالتثليث في العقيدة، فزعموا بكفرهم وضلالهم أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم، أي: ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة هي: الذات الآب، والنطق الابن، والحياة الروح القدس، فإذا تجلى الله بصفته ذاتًا سُمي الأب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس، فالأب عند النصارى إله تام، والابن إله تام، والروح القدس إله تام، فالأقانيم ليست مجرد أسماء تُطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها، بل ثلاثة شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور.

ويعتقدون أن الإله الأول الآب والد الإله الثاني، وهو الابن المسيح، وهو المخلص من الخطيئة، وأن الإله الثالث وهو الروح القدس هو الأقنوم الثالث، ويعتقدون أن هذه الثلاثة الأقانيم واحد.

ويقول الشيخ إبراهيم خليل أحمد في توضيح هذه العقيدة: يوجد شخص واحد للأب، وآخر للابن، وآخر للروح القدس، ولكن هؤلاء الثالوث الأقدس - الأب، والابن، والروح القدس- واحد متساوون في المجد، متساوون في الأزلية، فالأب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، ومع هذا فهؤلاء ليسو بثلاثة آلهة، ولكن إله واحد مكون من كائنات ثلاثة، ولا يوجد تفاضل بينها، بل تتساوى في كل شيء تمام التساوي.

وجاء في (قاموس الكتاب المقدس): طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء، وهكذا يصرح النصارى بهذه الأقوال التي تتناقض مع العقل السليم والفطرة السوية، وفلسفوا هذه الأقوال بطرق مختلفة من أجل أن تقتنع بها العقول، ولكن كيف يتحقق ذلك والفطرة السوية تنطق بأن

للكون إلهًا واحدًا لا شريكَ له، ولا ند له، ولا وزير له، ولا صاحبة له، ولا ولد له.

أدلة النصارى على التثليث:

يستند النصارى فيما ذهبوا إليه من عقيدة التثليث على ما جاء من نصوص في الكتاب المقدس عندهم، ففي رسالة يوحنا الأولى فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، يوحنا ٥ / ٧، وفي إنجيل يوحنا في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، يوحنا ١ / ١، وهذا الكلام لزم أن يكون الإله عند نفسه، هذا كلام غير مقبول.

في رسالة بولس إلى أهل كولوسي فإنه فيه -أي: المسيح- خلق الكل ما في السموات، وما على الأرض، ما يرى، ما لا يرى، سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، كولوسي ١ / ١٦: ١٧.

وجاء في إنجيل لوقا في بشارة مريم بالمسيح الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ، فذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله، ويقول القس وديع ميخائيل: لا يوجد تعبير عن حقيقة الثالوث يمكن أن نجده أوضحَ مما قاله المسيح فيما يتصل بفريضة المعمودية: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس، وكما هو معلوم لدارسي الأديان إن النص مقحم على إنجيل متى.

ويقول: نلاحظ أن الرب قال باسم وليس بأسماء؛ لأنها أقانيم، فهناك أقانيم ثلاثة متساوية، وبنفس الرأي يدلي القس إلياس مقار بقوله: ولعله من اللازم أن

نشير إلى أن المسيحية التزمت بصيغة الوحدانية في شعار المعمودية الذي بأسماء الآب الابن الروح القدس.

مناقشة عقيدة التثليث، وبيان فسادها:

بعد بيان عقيدة التثليث عند النصارى ومدى صلتها بالأديان والوثنية، وذكر ما استدلوا به عليها من كتابهم المقدس، يأتي الدور لمناقشة هذه العقيدة وبيان بطلانها، وأنها لا تصلح لأن تكون عقيدة دينية يؤمن بها أحد من البشر، فنقول: إن هذه العقيدة تناقض العقل؛ لأنها تقوم على المتناقضات والمستحيلات، فالعقل لا يمكن أن يتصور إلهًا واحدًا مكونًا أو مركبًا من أجزاء أو عناصر ثلاثة، فالشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها، والله لم يكن مسبوقًا بشيء، فهو الأزلي وحده، فكيف يمكن أن يكون مكونًا من أجزاء أو عناصر؟!

وكذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكوينه إلى كل جزء من أجزائه، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية، والله ﷻ لا يفتقر إلى شيء، ولا يحتاج إلى أحد، فهو الغني وحده والكل محتاج إليه، كما أنه لا بد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه وعناصره، وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملًا، والله ﷻ لم يكونه أو يركبه أحد، ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلًا، كما أن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها، فهو محدود بحدود الأجزاء التي ركب منها، وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديده، والله ﷻ في علاه- غير محدود بحدود، ولا متناهٍ، ولا يحده مكان أو زمان، ولم يره أحد، فهو غير مركب، بل واحد وحدانية مطلقة.

إن عقيدة التثليث لا توافق العقل؛ إذ العقل الواعي المدرك لحقيقة الأشياء يقول: ١+ ١+ ١= ٣، أما أن يقول: ١+ ١+ ١= ١ فهذا كلام غير مقبول، ويرد الإمام القرطبي على من قال بتثليث الوحدانية بقوله: أما قوله: تثليث الوحدانية، فكلام متناقض لفظًا وفاسد معنًى، وبيان ذلك أن قوله: تثليث الوحدانية، كلام مركب من مضاف ومضاف إليه، ولا يفهم المضاف ما لم يفهم المضاف إليه، فأقول: لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة ومعناها راجع إلى نفي التعدد والكثرة، فهي إذًا من أسماء السلوب، فإذا وصفنا بها موجودًا فقد نفينا عنه التعدد والكثرة، والتثليث معناه تعدد وكثرة، فإذا أضاف هذا القائل التثليث للوحدة فكأنه قال: تكثير ما لا يتكثر، وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة، فأول كلمة قال بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة.

ومما يدل على تناقض هذه العقيدة ومخالفتها كذلك العقل، أن النصارى بينما يقولون في دستور إيمانهم -الذي هو أصل دينهم-: إن إلههم واحد خالق الكل، ومالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، نراهم ينقضون ذلك، ويقولون بعد ذلك مباشرة: ونؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء. وبهذا أثبتوا إلهين. ثم أثبتوا ألوهية الروح فقالوا: ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق، وبذلك صاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ومع ذلك يقولون: إنما نثبت إلهًا وحدًا، ولا شك أن هذا الكلام فيه تناقض ظاهر، وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي؛ إذ كيف يكون الأب إلهًا، والابن إلهًا، والروح القدس إلهًا، والثلاثة متساوون في الأزلية، والأبدية، والمجد، والقدرة، وجميع الكمالات الإلهية، ومع ذلك فالثلاثة إله واحد ذاته بسيطة غير مركبة، وجوهر واحد لا يعدد، وهذا الوضع تناقض ذاتي؛ لأنه إذا كان كل فرد فيهم عبارة عن إله، فكيف لا يكون الناتج ثلاثة آلهة، ولكن النصارى يلغون عقولهم، ويقولون: إن الثلاثة ليسو ثلاثة

آلهة، بل إلهًا واحدًا، ولأول مرة في تاريخ الحساب نعرف أن ذات + ذات + ذات يساوي ذات واحدة لا ثلاث ذوات.

والحق أن هذه العقيدة ظلت -وستظل إلى الأبد- لغزًا من الألغاز التي يستحيل على العقل أن يفهمها أو يستسيغها.

عقيدة الصلب

الصلب من أهم الأسس التي قامت عليها النصرانية، بل هي الأساس الذي تدور حوله هذه العقائد، فمسألة البنوة والتأليه في نظرهم علة لمسألة الصلب، وجاء في قاموس الكتاب المقدس عن الصليب: إنه تعليق للضحية على صليب لتنفيذ حكم الإعدام فيها، وكان ذلك يتم بربط اليدين والرجلين، أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، ويعتبر النصارى الصليب هو رمز الإيمان عندهم، ويفتخرون به بالرغم مما كان يلحق صاحبه من قبل من خزي وعار، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحمله علامة على أنهم من أتباع المسيح، وفي معجم اللاهوت الكتابي: لقد مات يسوع مصلوبًا، فأصبح الصليب الذي كان أداة للفداء مع الموت والألم والدم أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، إنه لم يعد عارًا، بل أصبح مطلبًا وعنوانًا للمجد، للمسيح أولًا ثم للمسيحيين من بعده. والفداء عند النصارى هو الخلاص من الموت الناتج عن الخطيئة التي دخلت إلى البشرية بآدم.

ويستند النصارى إلى عدة نصوص على عقيدة الصلب والفداء، منها ما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس

حسب الجسد، بل حسب الروح، ولكن الله بين محبته لنا ؛ لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثير ونحن متبررون ؛ لأن بدمه نخلص من الغضب، رومية ٥ / ٨ : ٩، من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع، وفي رسائل بولس الأخرى : المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا ؛ لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على الخشبة، فانظر إلى بولس هو أيضًا يستهين بالمسيح فوصفه هنا باللعنة، ووصف الله بالحماقة.

بولس لم ينس أنه يهودي، تتغلب عليه اليهودية دائمًا فيطعن في الذات العلية، ويطعن في الرب المسيح، وهو معتقده الذي يؤلهه، وهنا يزعم ويعلن أن المسيح ملعون في كلامه، الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، تيموثاوس ١ / ٩. ويعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوبًا فداء للخليقة، وذلك أن الله لشدة حبه للبشر أرسل وحيده ليخلص العالم من الخطيئة التي ارتكبها آدم حين أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رضا تام، فتغلب بذلك على الخطيئة، وأنه دفن بعد صلبه، وأنه قام بعد ثلاثة أيام متغلبًا على الموت، ثم ارتفع إلى السماء، ومن لم يؤمن بقضية الصلب لا يعد نصرانيًّا ؛ لذلك أدمجوا قضية الصلب في دستور إيمانهم الذي يجمع كل عقائدهم.

وعلى هذا، فالله كما يزعم النصارى نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومريم العذراء، وتأنث وصلب بإراقة دمه ليرفع عن البشر وزر خطيئة آدم.

الخطيئة الأصلية، وتوارثها:

لقد خلق الله آدم وحواء -عليهما السلام- وأسكنهما الجنة، وأحل لهما طيباتها، والاستمتاع بما فيها، وحرم عليهما شجرة واحدة وأوصاهما ألا يقرباها، ولكن آدم وحواء عصيا ربهما وأكلَا من الشجرة، فترتب على ذلك سقوطهما في الخطأ، ثم تابا إلى الله وندما على فعلتهما فتاب الله تعالى عليهما، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال أيضًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فالأمر بالنسبة للإسلام سهل تعصي الله، فتتوب فيغفر الله لك، أما في المسيحية فجعلوها لغزًا صعبًا، ويرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على الناس جميعًا، كما يعتقد علماء اللاهوت النصارى، فالمسئولية الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله أيضًا: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ [النساء: ١١١]، ولكن النصارى يرون أن الله لم يغفر لآدم خطيئته، بل لم تقتصر هذه الخطيئة على آدم وحواء، فقد امتدت بحكم الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مر الأجيال، ويؤكد ذلك القِس إلياس مقار بقوله: وغير خاف أن الأبوين الأولين لم يصبحَا خاطئين فحسب، بل مورثين الخطيئة لجميع أبنائهما على وجه التعاقب والاستمرار.

ويشير إلى ذلك بولس بقوله: من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع، رومية ٥/ ١٢، فآدم حين ارتكب الخطيئة لم يعاقبه الله عليها، ولم يقتص منه؛ لأن جزاء الخطيئة هو الموت، لكن الله لم ينفذ حكم الموت الجسدي

في آدم الذي أنذره به في حالة العصيان -حسب زعمهم يعني- حين تأكل منها موتًا تموت، بل أنقذه من هذا الموت، وذلك بتوقيع الموت على حيوان عوضًا عنه، وإن كانت هذه وذلك بتوقيع الموت على حيوان عوضًا عنه؛ إذ الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء، لكن لأنها كانت رمزًا إلى ذبيحة عظمى في نظر الله؛ لذلك اكتسبت وقتئذٍ شرعًا قوة الفداء.

هذا كلام النصارى في هذه المسألة.

ويزعم النصارى أن الخطيئة لا تمحى إلا بسفك الدم استنادًا إلى قول بولس: وكل شيء تقريبًا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة، عبرانيين ٩/ ٢٢. ولكن الفدية التي تكفر عن آدم، والدماء التي يكفي سفكها لتخليص آدم وزوجته وذريته من الخطيئة، هذه الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس مقدسة بلا لوم، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر وقدوس، وبلا عيب سوى الله عز وجل ويجب أيضًا أن تكون عظيمة القدر توازي ثمن العالم بأجمعه سوى الله، وهنا نشأت مشكلة أخرى هي أن الله لا جسد له يقيمه فدية عن العالم، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدًا فيه يتحد اللاهوت والناسوت، وهذا ما تم في السيد المسيح باعتباره الله ظهر في الجسد، ففي المسيح كمال مطلبي العدل والرحمة، وهكذا كان لا بد لله أن يتجسد ويتخذ صورة بشر ليموت عن البشر.

وبين يدي وثائق نصرانية كثيرة أجتزئ بعضها:

يذكر القس عبد المسيح بسيط أبو الخير من بين مشاهد الصليب أن المسيح على الصليب بين لصين، ثم وصلوا بالسيد المسيح إلى موضع جلجثة -الذي تفسيره موضع جمجمة- وجردوه من ملابسه وقسمها الجنود الأربعة على بعضهم، ثم

ألقوا قرعة على القميص أخذوا ثيابه، وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسم، وأخذوا القميص أيضًا وكان القميص بغير خياطة منسوجًا كله من فوق، فقال بعضهم لبعض: لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون، ولم يبق له سوى مئزر ساتر عورة كما يقول التقليد، ثم قدموا له خلًّا ممزوجًا بمرارة ليشرب، وذلك لتخفيف آلامه، ولكنه لما ذاق لم يرد أن يشرب؛ لأنه لم يرد تخفيف آلامه، بل فضل أن يشرب الكأس حتى الثمالة، ثم ألقوه على خشبة الصليب بقسوة وفظاظة وعنف، ودقوا المسامير الطويلة والغليظة في يديه ورجليه معلقين إياه على الصليب، أو كما يقول القديس بولس الرسول: مسمرًا إياه بالصليب، وصلبوا معه لصين واحدًا عن يمينه وآخر عن يساره، ويسوع في الوسط، وذلك للتشهير به وزيادة في تحقيره، وكان صليبه مرتفعًا عنهما زيادةً في السخرية، وكان الجميع يعيرونه بما فيهم اللصين المصلوبين معه، ولكنه هو كان يفكر بصورة أخرى وبأسلوب آخر يتفق مع جلاله وعظمته وشخصيته الإلهية.

عقيدة الصلب في ميزان الإسلام:

تأسس قول النصارى بصلب المسيح للتكفير عن خطايا البشر على اعتقادهم بتعظيم الخطيئة التي استوجبت أن يصلب معبودهم لأجلها، يقول الإمام ابن القيم: ومن المعلوم أن هذه الأمة المسيحية ارتكبت محظورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة، أحدهما الغلو في المخلوق، وهو المسيح حتى جعلوه شريك الخالق وجزءًا منه وإلهًا آخر معه، وأنفوا أن يكون عبدًا له، والثاني تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم، حيث ادعوا أنه نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم، ثم خرج من حيث دخل رضيعًا، وأودع السرير يبكي، ويجوع، ويعطش،

ويبول، ويتغوط، ويحمل على الأيدي، ثم صار إلى أن لطم اليهود خديه، وربطوا يديه، وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهرًا بين لصين، وألبسوه إكليلًا من الشوك، وسمروا يديه ورجليه، وجرعوه أعظم الآلام، هذا وهو عندهم الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم، وهو المعبود المسجود له!!!

وهذا كله تنقيص من شأن معبودهم، وحط من قدره، والذي دفعهم لذلك مدى تأثرهم بالوثنيات السابقة، حيث إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدًّا عند الهنود الوثنيين، وفكرة الفداء تقوم على تقديم شخص عزيز للآلهة استرضاء لها، فكان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة أيضًا، والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأساري ذبيحة فداء عن الخطيئة، وليس هذا فقط بل ونفس أولادهم، وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها، وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة وبخاصة الابن البكر، إذًا ففكرة الصلب وثنية، والشيخ عبد الرحمن الباجه يرى استحالة صلب المسيح عليه السلام وإن جاز الصلب في حق غيره؛ لأن المسيح عندهم يتركب من جوهر اللاهوت والناسوت أقنوم شخص واحد، فيقال لهم: الافتراق بالمشيئة لا يمكن مع الاتحاد في الأقنومية، ومعنى ذلك. ومعنى ذلك أنه لا يجوز لهم الاحتجاج بأن الصلب وقع على الجانب الناسوتي لدى المسيح؛ لأن الأقانيم متدفقة في نفسها عندهم، ولا يجوز لهم القول كذلك بأن الذاتين صيرهما الاتحاد أقنومًا واحدًا، ذلك أن الجوهر اللاهوتي قد كان قبل اتحاده بالناسوتي مقدسًا عن أن تناله الأيدي، فبمقضتى قول المسيحيين واعتقادهم لا يجوز صلب المسيح خاصة، ويجوز في حق كل الناس.

وتصور أناجيلهم أن المسيح بعد صلبه ودفنه في قبر قام من بين الأموات في اليوم الثالث، والعلامة أحمد ديدات وجد أن الوقت الذي مكث فيه يسوع بالمقبرة هو يوم واحد وليلتان كما هو مسجل عندهم، فيوم الجمعة وضع بالمقبرة عند

غروب الشمس، ويوم السبت من المفروض أنه بالمقبرة، ويوم الأحد غير موجود بها، ومعنى ذلك أن أصحاب الأناجيل لم يفلحوا في تصوير صلب المسيح، ولم يحالفهم التوفيق؛ لذا فإن هناك محاولات عصرية لجعل اليوم الثالث هو الأربعاء، ويجري ترويج ذلك في أمريكا على يد المبشرين المسيحيين وشهود يهوه كذلك.

والذي أوقعهم جميعًا في مثل هذه المآزق تعظيمهم الخطيئة التي قامت لها السموات والأرض، ووقف لها الله وليس غيره كما يزعمون، وينقم ابن الخطيب على هذا المسلك فيقول: إن الرب الذي لا يستطيع أن يغفر لعبيده ذنوبهم ويرفع عنهم إصرهم إلا إذا أراق ابنه الوحيد على أيدي العصاة من عبيده لا يكون ربًّا، ولا يكون قادرًا، ولا يجوز أن يعبد.

مما تقدم يتضح أن قضية الصلب في المسيحية قصة مستعارة لم يجيدوا حبكها، وهناك اختلافات كثيرة في الأناجيل عند تصويرها لحادثة صلب المسيح المزعومة، والصواب أن الله تعالى واسع المغفرة، وأن رحمته بالعصاة واسعة، فيمكنه أن يغفر لكل عاصٍ، وقد بين الله في كتابه الكريم أنه لقن آدم عليه السلام كلمات ليتوب عليه، وقد تم ذلك بفضل من الله وعفو قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] وحينما أراد اليهود أن يطلبوا عيسى عليه السلام ليصلبوه فقد نجاه الله عز وجل من بينهم، وأوقع شبهه على المصلوب الذي هو ليس عيسى، ويرجح أن يكون يهوذا الإسخريوطي، ومن هنا فقد اعتقدوا أنهم صلبوا المسيح، والحق هو ما ذكره الله تعالى: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

العشـــــاء الربـــــاني

العشاء الرباني، وعندهم سر يسمى: سر التناول:

يرتبط سر التناول الإفخار ستيا أو عشاء الرب بصلب المسيح ارتباطا مباشرًا، وهذا الكلام لا يحتاج إلى نقد؛ لأن أصلًا القول بالصلب منقود، وهذا مترتب على ذاك، فهم في كل عام يحيون ذكرى موت المسيح وقيامته في عيد الفصح تبعًا للتقليد اليهودي يبدأ هذا العيد مساء الرابع عشر من شهر أبيب نيسان، راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٩. ويعتقدون أن الخبز والخمر المقدمين في هذه الذكرى هما جسد ودم المسيح، فالذي يأكل من الخبز والخمر فكأنما يأكل لحم المسيح ويشرب دمه، فيجني ثمرة الامتزاج بين الآكل والمأكول، وهذا المبحث يتناول مفهوم هذا السر وهدفه وحقيقته كما يتصورها المسيحيون.

تعريف سر التناول:

يعرف المسيحيون سر العشاء الرباني: بأنه سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر، وفي هذا المفهوم تتضح أركان التعريف، وهي: متناوِل، ومتناوَل، وصلة بينهما، فالمتناوِل هو الشخص المعتقد بصلب المسيح، والمتناوَل هو الخبز والخمر، والصلة بينهما هي جسد ودم المسيح الذي يتناولهما المعترف في صورة الخبز والخمر، يوضح القس فايز فارس هذا المفهوم بقوله: العشاء الرباني فريضة رسمها السيد المسيح في الليلة التي أسلم فيها، أي: أسلم الروح، بينما كان يأكل الفصح مع تلاميذه إذ أخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم قائلًا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، وكذلك

الكأس أيضًا بعد العشاء قائلًا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم، وقد أمر السيد أن تمارس هذه الفريضة عندما قال: اصنعوا هذا لذكري، لوقا ٢٢/ ١٩، وكلمة إفخارستيا اليونانية تعني الشكر، حيث يشكر المؤمن الرب على نعمته التي أفاضها عليه كغذاء للروح، ودواء ناجع، وشفاء للنفس من داء الخطية المهلك، ولأن الرب يسوع قد شكر عند إنشاء السر.

أهداف فريضة العشاء الربانية:

المسيحيون على قناعة تامة بالعشاء الرباني الذي تأسس على اعتقادهم بصلب المسيح وقيامته، لذا فإن هناك غايات كثيرة لهذا السر تتلخص فيما يلي:

١. تذكار لموت المسيح، يقول القس فايز فارس: فالمؤمن وهو يتقدم لمائدة العشاء الرباني يذكر موت المسيح وانفصال جسده عن دمه؛ لأن الجسد لا ينفصل عن الدم إلا عند الموت؛ ولذلك قدم المسيح الخبز وحده، ثم الكأس وحدها إشارة إلى موته، وتذكار موت المسيح تذكار لعملية الفداء الذي تم؛ إذ مات الرب يسوع عن خطايا البشر، ومعنى ذلك أن في هذا الطعام والشراب فائدة عظيمة للمؤمن -عندهم يعني- وهي غفران خطيئته الذي تم بسفك دم المسيح على الصليب، والمؤمن، إذ يتناول هذا الطعام والشراب في تلك المناسبة يتذكر ما فعله يسوع من أجله وسائر البشر. ويقول القس لبيب ميخائيل: قدم المسيح المصلوب -يعني: هذين الفكرين- موته وحياته، ففي يوم الكفارة كانت الذبيحة تنحر في الدار الخارجية، وهذا معناه الموت، ثم كان رئيس الكهنة يأخذ الدم ويجتاز به إلى قدس الأقداس، ويرشه على عرش الرحمة، وهذا معناه الحياة، وعلى هذا فينبغي ألا ننظر فقط إلى موت المسيح، بل إلى قيامته وصعوده كجزء جوهري من

عمل الفداء؛ لأنه أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا، فالدم الذي هو الموت والقيامة التي هي الحياة والصعود الذي هو الخلود كتلة واحدة في عملية الكفارة.

٢. التذكير بالمسيا، المسيا أي: المخلص عندهم، يرى الدكتور فهيم عزيز أن العشاء الرباني يتسع مفهومه، ويتجاوز ما تفهمه الكنيسة من أن يسوع عاش في الأرض لمدة يصنع خيرًا ويقاوم الشيطان وغير ذلك، ولكن معنى: اصنعوا هذا لذكري، يرتبط بفكرة تخليص الإسرائيليين وإنقاذهم من العبودية والأسر، فعندما يذكرون هذا العمل قائمًا العشاء الرباني يذكرون الله الحي الذي أنقذهم، والذي لا يزال يحملهم ويفديهم من كل عبودية، والدليل على ذلك هو أنهم في أكلهم الفصح لم يكونوا يذكرون عملية ماضية فقط، بل كانوا ينظرون إلى الأمام إلى الأيام التي فيها يأتي المسيا أو المسيا، ويولم الوليمة الضخمة - وليمة المسيا- فالذكرى هي عملية حية هي شكر على عمل الماضي، واتكال على الله في الحاضر، ورجاء في المستقبل، إنها ذكرى أعمال الله الفدائية التي تستمر دائمًا.

وأنت تعلم أن المسيح المخلص فكرة مرتبطة عند اليهود هو المسيح المنتظر عندهم، وأيضًا النصارى ينتظرون المسيح المواكب لقيام الساعة عندهم التي يسمونها بالقيامة العامة، وأيضًا المسلمون ينتظرون المسيح إيذانًا بأول علامات الساعة، وبمثل ذلك يشرح المسيحيون قضية تخليص يسوع للناس من الأسر، وتحريرهم من عبودية الخلق، وتمكنهم من أنفسهم، وسيطرتهم على غرائزهم، الأمر الذي يحقق لهم الخلود، فيذكرون أن المسيح هو الخبز النازل من السماء، خبزُ الحياة المخلص القائم من الأموات يعطي نفسه بكليته لنا في الإفخار ستيا،

إنه في آن واحد الخبز الحي والخبز المحيي ؛ لأنه فيه وبه تسري الحياة الإلهية في البشرية وكل الخليقة، وهكذا تكون الإفخار ستيا هي في الحقيقة قوة القيامة وتحقيقها منذ الآن، وهي خميرة أو عربون الخلود، إنه خبز الحياة، ومن يأكل الحياة لا يمكن أن يموت، تقدموا إليه وكلوا منه واشبعوا ؛ لأنه خبز الحياة أسرعوا إليه وارووا ظمأكم منه ؛ لأنه ينبوع الحياة الأبدية، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

ويتحدثون عن اعتقاد اليهود في إقامة فصحهم، فلا يقتصر على معنى مضى، ولكن تتجدد الذكرى في كل لحظة يعبرون عنها بقولهم: كل يجب أن يعتبر نفسه من جيل إلى جيل كأنه خرج من مصر، إذًا عندما يقيم اليهودي اليوم فصحه لا ينتقل فقط إلى حدث مضى وتحدثت عنه الكتب، ولكنه يحيا هذا الحدث خلاصًا حاضرًا له، ويتوق إلى الآتي -أي: ينتظر مجيء مسيا- ليكتمل به الفصح، فإذا فهمنا العشاء السري مع الرسل نقول: إن إقامته هي ذكرى بهذا المعنى المكثف، أي: أنها انتقال إلى ما جرى ؛ ولذلك نتحدث في الخدمة الإلهية عما جرى في الليلة التي فيها أسلم ذاته من أجل حياة العالم ؛ إذ أخذ خبزًا بيديه المقدستين الطاهرتين، وبارك وكسر وأعطى تلاميذه الرسل، كورنثوث الأولى ١١/ ٢٤.

٣. غفران الخطايا، من أهم أهداف العشاء الرباني عندهم أنه يطهر النفس، ويجعلها تتمتع برحمة الله وغفران الخطايا، وفي ذلك يقول الأنبا شنوده: أنت في كل يوم تخطئ وتحتاج إلى جسد المسيح المذبوح عنك، تحتاج إلى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك، وما الذبيحة المقدسة في سر الإفخار ستيا سوى امتداد لذبيحة المسيح ؛ لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها.

حقيقة التناول عندهم:

يرى المسيحيون أن المسيح يحضر بذاته في الإفخار ستيا، وأن المتناول يتناول جسد الرب ودمه حقيقة لا مجازًا، فيقولون: إذ كانت مادة هذه الفريضة المقدسة الخبز والخمر تظلان كما هما في مظهرهما وجوهرهما، إلا أن المسيح حاضر في الفريضة بشخصه وذاته، ويرافق العنصرين على منوال سري، حتى إن المشترك يقبل المسيح فعلًا بإيمانه الحي في شخصه المجيد الذي كسر جسده وسفك دمه على الصليب.

ويبين الدكتور وهيب جورجي كيفية الاتحاد مع يسوع بأكل جسده وشرب دمه، فيذكر أن هذا الأمر يستلزم تحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه بسر عجيب عامل بالروح القدس، ويوضح الدكتور ميخائيل مكسي تحول هذا الطعام والشراب لجسد ودم حقيقيين بقوله: إن الخبز والخمر يستحيلان بحلول الروح عليهما بصلوات الكاهن إلى جسد حقيقي ودم حقيقي، وهو ما أعلنه بذاته، وهو ما فهمه اليهود، وقالوا: كيف يقدر هذا أن نعطينا جسده لنأكل، كما هو نفس فهم التلاميذ؛ إذ قال بعضهم للمخلص: هذا الكلام صعب مَن يقدر أن يسمعه، وأما السيد المسيح فلم يحول موضوع أكل جسده وشرب دمه إلى معنى رمزي، بل على العكس وبخ تلاميذه لتشككهم فيما عناه الرب، وأكد على حقيقة استحالة الجسد بقوله: الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الآخر؛ لأن جسدي مأكل حقيقي ودم مشرب حقيقي. يوحنا ٦/ ٥٣: ٥٩.

وللمطران جورج خضر طريقة فلسفية خطيرة، يحاول أن يقرب بها إلى الأذهان فكرة وجود المسيح في الإفخار ستيا حين يقول: صار واضحًا أن المسيح يجب أن يبقى عبر الزمان مع الزمان في كل الأجيال لكي يفدي كل جيل وكل إنسان، فالمسيح لا يقفز من الصليب إلى مجيئه الثاني، إنه يعبر يدوم بكنيسته ببنيتها بشعبها بمعموديتها بأساقفتها بالإنجيل، ويدوم بكيانه الذي أراده منقولًا إلينا بهذا الشكل الخاص شكلي الخبز والخمر، الكنيسة التقليدية سمت هذا الاتحاد بين الخبز والخمر من جهة، وكيان المسيح من جهة التحول أو الاستحالة، لكي نعلن أن هذا الخبز وهذه الخمر هما بالمسيح الآن، فهو يريد أن يقول: إن بين موت المسيح على الصليب ورجوعه الثاني في المستقبل حضورًا سنويًّا في الإفخار ستيا.

وحين عرض الدكتور فايز فارس لجميع المذاهب المسيحية التي أقرت حضور المسيح بصورة أو بأخرى في الإفخار ستيا، استثنى رأي المصلح زونجلي الذي ذكر أن العشاء الرباني مجرد تذكار لموت المسيح من غير أن تكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته، وأن المسيح لا يحضر فيه على الإطلاق لا جسديًّا ولا روحيًّا، ولقد قيل: إن زونجلي نفسه أظهر عدم ارتياحه لهذا الرأي قبل وفاته، أما باقي الكنائس فتؤكد حضور السيد المسيح في الفريضة.

(الأناجيل)

عناصر الدرس

تـــــاريخ الأناجيـــــل

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة، والإنجيل، ورسائل الرسل، وتسمي التوراة أسفارها الموساوية وغيرها كتب العهد القديم، وتسمي الأناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد، فمن العهد القديم يعرفون أخبار العالم في عصوره الأولى وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين وبالمسيح ﷺ وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود، بيد أنه يجب أن يلاحظ أن بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسيحيين لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها.

أما كتب العهد الجديد فهي التي تعنينا في هذا البحث.

الأناجيل:

الأناجيل المعتبرة عندهم أربعة: إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليالٍ، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء، أي: أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها.

هذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها، ولكن التاريخ يروي لنا أنه كان في العصور الغابرة أناجيل أخرى، فقد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك إنجيل يقال له: إنجيل السبعين، يُنسب إلى ثلامس، والنصارى ينكرونه.

وكثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة الرائجة إبان ذلك، ولقد يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا قبل آخر القرن الثالث، وأول مَن ذكر هذه الأناجيل الأربعة إرنيوس في سنة ٢٠٩، ثم جاء من بعده كليمنس إسكندريانوس في سنة ٢١٦، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم.

ولم تكتفِ الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة، بل أرادت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها ورفض غيرها، وتم لها ما أرادت فصارت هذه الأناجيل هي المعتبرة دون سواها.

ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية -والكلام للشيخ محمد أبي زهرة في (محاضرات في النصرانية)- وأدوارها في التاريخ، أن نعرف هذه الأناجيل التي أهملت، وما كانت تشتمل عليه مما كان سببًا في رفضها وحمل الناس على تركها، وخصوصًا أنها كانت رائجة ويأخذ بها طوائف من المسيحيين، ويتدينون

هذه الديانة على مقتضاها، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس في المسيح، وكيف كان وخصوصًا بين أولئك الذين قاربوا عصره وأدركوا زمانه، ولقوا تلاميذه، ونهلوا من مناهلهم، وإذ ضن التاريخ بحفظ نسخ منها فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها، وما كان من سبب رفضها، وترينا حجة الرفض لتكون دليلًا منيرًا لها على أنها بذلك أقامت ديانة المسيح ولم تغيرها، ولكن ضن التاريخ علينا فطوى تلك الأناجيل، وضنت الكنيسة فطوت تلك البيانات، فلم يبقَ لنا إلا أن نكتفي من الدراسة بما في أيدينا، لعل فيه غناءً إن أمعنا النظر وأمعنا في الاستنباط، وجعلنا لقضية العقل سلطانًا ومن بديهياته برهانًا.

الأناجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه:

هذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ﷺ ولم تنزل عليه هو بوحي إلهي، ولكنها كُتبت مِن بعده، وتشتمل على أخبار يحيى يوحنا المعمدان، والمسيح وما كان منه، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، ولا تحدث من سواه من البشر، وما كان يحدث له من أحداث، وما كان يجري بينه وبين اليهود، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ، وفيها قليل من الشرائع التي تتعلق بالزواج والطلاق، ثم أخبار المؤامرة عليه، واتهامه، والقبض عليه، ومحاكمته، سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود أم أمام الرومان، ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبًا وصلبه بالفعل -فيما يعتقدون- وفيها أيضًا قيامته من قبره ومكوثه أربعين يومًا ثم رفعه إلى السماء، وفي الجملة هي تشتمل على أخبار المسيح وصلواته وأقواله وعجائبه من

بدايته إلى نهايته في هذا العالم، وهذا لب المسيحية ومعناها؛ لأن فيها النواة الأولى لألوهية المسيح وعقيدة النصارى فيه.

ولنتحدث عن كل إنجيل من هذه الأناجيل بكلمة تبين تاريخ تدوينه، وتعرف بمؤلفه ومكانته من المسيح.

١. إنجيل متى:

وقد كتبه متى وهو أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، ويسميهم المسيحيون رسلًا، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب، وكانوا يسمون في ذلك العهد عشارين، ولقد كان جابيًّا للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل في فلسطين، وكان اليهود ينظرون للجباية نظرة ازدراء؛ لأنها تحمل صاحبها على الظلم، أو على الأقل تحمله على العنف، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التي تحكم البلاد بغير رضا أهلها، ولكن المسيح اختاره تلميذًا من تلاميذه كما جاء في إنجيله، ففي الإصحاح التاسع منه: وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية واسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا، واتكئوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، فاذهبوا وتعلموا ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة؛ لأني لم آتِ لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة.

ولما صعد المسيح إلى ربه جال متى للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة، ومات في سنة ٧٠ ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، وفي

رواية أخرى أنه طعن برمح في سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيًا بالمسيحية مبشرًا بها، فموطن دعايته كما يروي مؤرخو المسيحية هو الحبشة.

إنجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف إلا باليونانية وجهل المترجم، اتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية، ولكن موضع الخلاف في تاريخ تدوينه ومن الذي ترجمه إلى اليونانية، فمن المتفق عليه عند أكثرهم أن متى كتب إنجيله بالعبرانية، وذلك لأنه كتبه لليهود يبشر بالمسيحية بينهم، وليقرأه مؤمنوهم بها، قال جيروم: إن متى كتب الإنجيل باللسان العبري في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود، وقال غيره: إن متى كتب الإنجيل باللسان العبري، وهو الذي انفرد باستعمال هذا في تحرير العهد الجديد.

وإذا انتقلنا إلى تاريخ تدوين هذا الإنجيل وترجمته نرى ميدان الخلاف فسيحًا، فنجد ابن البطريق يذكر أنه دون في عهد كلوديوس قيصر الرومان من غير أن يعين السنة التي كتب فيها، ويذكر أن الذي ترجمه يوحنا فيقول في ذلك: في عصر كلوديوس كتب ميتاوس متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، ونشره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل، وهنا نجده لم يعين السنة التي كتب فيها الإنجيل، بل عين الملك الذي كتب في عهده، وهذا الملك لم يكن هو الذي عاصر المسيح ولا الذي يليه، بل الذي عاصر المسيح وصلب على زعمهم في عهده طباريوس، وولي من بعده غبيوس، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر، ثم جاء من بعده كلوديوس وملك أربع عشرة سنة، فيحتمل تدوين هذا الإنجيل أن يكون في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح، ويحتمل أن يكون في أول أو أواخر العشرة الخامسة، أو أوائل السادسة، فكلام ابن البطريق يحتمل كل هذا.

وقال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية: إن متى كتب بشارته في أورشليم في سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب إليه القديس إرنيموس، والسبب في ذلك على ما ذهب إليه القديس أبيفانيوس أنه كتبه إما إجابة ليكرز -يكرز يعني: يوعظ أو ينشر- لليهود الذين آمنوا بالمسيح، أو إجابة لأمر الرسل، ولم يكتب إنجيله باليونانية بل بالعبرانية على زعم أوسبيوس في تاريخه، وقد وافق أوسبيوس القديس أبرينيموس، إذ أن بنتيوس قد ذهب ليكرز بالإيمان المسيحي في الهند، فوجد إنجيلا لمتى الرسول مكتوبًا بالعبرانية، رسول عندهم يعني، فجاء به إلى الإسكندرية وبقي محفوظًا في مكتبة قيصرية إلى أيامه، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت، وبعد فقدها ظهرت ترجمتها في اليونانية، وفي هذا يعين الكاتب تاريخ السنة التي دون فيها الإنجيل، ولكن لا يعين المترجم، بل يذكر أنه غير معروف، بينما نرى ابن البطريك يعين أنه يوحنا صاحب الإنجيل المسمى باسمه.

وبالنسبة لتاريخ التدوين يقول صاحب كتاب (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين): إن متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا، ومرقس ولوقا كتبَا إنجيلهما قبل خراب أورشليم، ولكن لا يمكن الجزم في أي سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص؛ لأنه ليس عندنا نص إلهي في ذلك.

وقال صاحب (ذخيرة الألباب): إن القديس متى كتب إنجيله في السنة ٤١ للمسيح باللغة المتعارفة يومئذ في فلسطين، وهي العبرانية أو السيروكلدانية، ثم ما عتم هذا الإنجيل أن ترجم إلى اليونانية، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذي لعبت به أيدي النساخ الأيونيين، ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل خاملًا، بل فقيدًا، وذلك منذ القرن الحادي عشر.

وقال الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس مخالفًا جمهور المتقدمين في أنه كتب بالعبرانية أو السريانية: إن هناك من يقول: إنه كتب باليونانية، ثم يرجح أنه ألف باليونانية مخالفًا بذلك إجماع مؤرخيهم، ثم يقول بالنسبة لتاريخ تدوينه: ولا بد أن يكون هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم، ويظن البعض أن الإنجيل الحالي كتب ما بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥، والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع؛ ولذلك يقول هورن: أُلِّف الإنجيل الأول سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة ٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٤ من الميلاد، ونقول نحن: يجوز غير ذلك، والجمهور على أنه كُتِبَ بغير اليونانية، ولكن لم يعرف غيرها، ولم يعرف جمهرة المؤرخين من يكون المترجم، وفي أي عصر ترجم، وقد علمت أن ابن البطريك يذكر أن يوحنا هو الذي ترجمه إلى اليونانية، ولكن لا نجد أحدًا من المؤرخين أيَّده، بل إن الكثيرين منهم يقولون: إنه لم يعرف المترجم.

وبالنسبة لإظهار هذه الفضائح التي أظهرها الإمام أبو زهرة في هذا الكتاب فقد سحب هذا الكتاب أكثر من مرة من المكتبات، سحبه النصارى ودفعوا فيه نقودًا كثيرة لكي لا يطلع الناس عليه، ولكي لا يشتري الكتاب أحد من المسلمين فيقف على الانتقادات اللاذعة في تواريخ الأناجيل.

أثر جهل تاريخ التدوين والمترجم:

لا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية وجهل المترجم، وحاله من صلاح، أو غيره، وعلمه بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي،

وخاصة في مسألة السند، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين وتاريخ الترجمة وملابساتها ليمنعنه العلم من الاسترسال في التسامح، حتى لا يرى أن السلسلة تكون كاملة إذا لم يعرف الأصل الذي ترجم، فلقد أردنا أن نعرف ذلك الأصل؛ لنعرف أكانت الترجمة طبق الأصل أم فيها انحراف؟ ولنعرف أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها سواء؟ أكانت هذه المعانات تفهم بظاهر القول أو بإشاراته أم بلحن القول وتلويحاته؟ أم بروح المؤلف وغرضه ومرماه الكلي من الكلام؟ ولكن عز علينا العلم بالأصل، فلقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم، وأنه ثبت، ثقة، أمين في النقل، عالم، لا يتزيد على العلماء، فقيه في المسيحية، حجة فيها، عارف للغتين فاهم لهما، مجيد في التعبير بهما، فعندئذٍ كنا نقول: ثقة روى عن ثقة بترجمته، ونسد الخلة بتلك الرواية، ونرأب الثلمة بتلك النظرة، ولكن قد امتنع هذا أيضًا فقالت جمهرة علمائهم: إن المترجم لم يعرف فبقيت الثلمة من غير ما يرأبها.

٢. إنجيل مرقس:

يقول المؤرخون: إن اسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، ولم يكن من الحواريين الاثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح، واختصهم بالزلفى إليه، وأصله من اليهود، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور المسيح، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه، وألهموا بالتبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها، ويقول صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية): وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه، وفي

إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ، وجاء في سفر الأعمال: إن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته، ولقد لازم مرقس خاله برنابا، وهو من الرسل، وبولس الرسول في رحلتهما إلى أنطاكية، وتبشيرهما بالمسيحية فيها، ثم تركهما بعد ذلك وعاد إلى أورشليم، ثم التقى مرة أخرى بخاله واصطحبه إلى قبرص، ثم افترقا فذهبا إلى شمال أفريقيا ودخلا مصر في منتصف القرن الأول فأقام بها، وأخذ يدعو إلى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقته إليها، وقد وجد في مصر أرضًا خصبةً لقبول دعوته، فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وكان يسافر من مصر أحيانًا إلى روما وأحيانًا إلى شمال أفريقيا، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له فاستمر بها إلى أن ائتمر به الوثنيون، فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه، وكان ذلك سنة ٥٢ من الميلاد.

وقد جاء في كتاب (مروج الأخبار في تراجم الأبرار): أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو، وأستاذه بطرس الحواري، وقد جاء في ذلك الكتاب عن مرقس صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية، وكان ينكر ألوهية المسيح.

اللغة التي كتب بها إنجيل مرقس، وتاريخ تدوينه، والاختلاف فيه وفي الكاتب:

كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، ولم نرَ أحدًا من كتاب المسيحيين ناقد ذلك، وقد ذكر الأستاذ الدكتور بوست في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) أنه كتب الإنجيل باليونانية، وشرح فيه بعض الكلمات اليونانية، وأخذ من ذلك أنه كتب في روما، ويجيء مثله في تاريخ ابن البطريق ففيه: وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريون إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس.

ونوجه نظر القارئ إلى ما قاله ابن البطريك من أن الذي كتب الإنجيل هو بطرس عن مرقس، ونسبه إليه، فكان بطرس راوي مرقس مع أن الأول رئيس الحواريين كما يقول ابن البطريك، والثاني من تلاميذه، كما جاء في كتاب (مروج الأخبار في تراجم الأبرار) وإذا كان ذلك الإنجيل خلاصة علمه بالمسيحية، فإذا رواه عنه أستاذه فقد روى هذا عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه، وإن ذلك لغريب ولقد ذكر هذا الأمر صاحب (مرشد الطالبين) قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير مرقس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته، وقد ذكر الأمر بلفظ زعم كأنه لا يصدقه، وأنه لا يراه مقبولًا كما نراه غريبًا، ولكن هكذا يذكر الرواة، وبجوار هؤلاء الذين يقولون أو يزعمون أن إنجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس وبولس فقد قرر الكاتب القديم إرينوس أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس.

وفي الحق أن ذلك الاختلاف وإن كان زمنيًّا في ظاهره هو في معناه ولبه اختلاف في شخص المحرر لهذا الإنجيل، فابن البطريك وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذي كتبه هو بطرس عن مرقس ونسبه إليه، وإرنيوس يقرر أن الذي كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس؛ لأنه كتبه بعد موته، فمن الكاتب إذًا؟ ليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين على الأخرى، ولنتجاوز هذا إلى تاريخ كتابة ذلك الإنجيل، فنجدهم أيضًا قد اختلفوا في زمان تأليفه، وقد قال في ذلك هورن: ألّف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣، ويقول صاحب كتاب (مرشد الطالبين): إنه كتب سنة ٦١.

فانظر هذه الاختلافات تقلل الثقة، وتضعف الثقة، بل وتعدم الثقة في هذا الإنجيل.

٣. إنجيل لوقا:

يقولون: إن لوقا ولد في أنطاكية، ودرس الطب، ونجح في ممارسته، ولم يكن من أصل يهودي، ورافق بولس في أسفاره وأعماله، وجاء في رسائل بولس ما يشير إلى هذه الرفقة وتلك الملازمة، ففي الإصحاح الرابع من رسالته إلى كولوس يقول: ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب، وفي الإصحاح الرابع من رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس يقول: لوقا وحده معي، وفي رسالته إلى أهل فيلمون يقول: مرقس، وأرسطرخس، وديماس، ولوقا العاملون معي. من هذا كله يفهم أن لوقا هذا هو الأنطاكي، ومثل هذا جاء في تاريخ ابن البطريك، ويستنبط القس إبراهيم سعيد من كون لوقا طبيبًا معاني كثيرة تسمح بإنجيله فيقول: وكان لوقا طبيبًا، وهذه المهنة لها قيمته الخاصة؛ لأنها تلقي على حياة لوقا نورًا ساطعًا، فترينا إياه الرجل العلمي العملي المدقق المحقق الرقيق الأسلوب الجميل الديباجة؛ لأن الرومان لم يسمحوا في وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب إلا لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة.

ثم يبين أن كونه طبيبًا قد سرد ولادة المسيح من غير أب سردًا طبيعيًّا هادئًا من غير محاولة التدليل على جوازه، يؤخذ منه أن ذلك ليس ضد العلم وإن كان فوق متناول العلم، وليس ضد الطبيعة، وأنه فوق مجرى الطبيعة، ويرجح كما قال كثيرون أنه ولد بأنطاكية، ولكن الدكتور بوست يقرر أنه لم يكن أنطاكيًّا، ويبين أن الذين يقولون أنه أنطاكية وهموا ذلك، أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس، فيقول: ظن بعضهم أنه لوقا مولود في أنطاكية إلا أن ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس، وزعم بوست أنه كان رومانيًّا نشأ بإيطاليا، ومهنة الطب التي نسب إليها ليست أيضًا موضع اتفاق؛ لأن بين المؤرخين المسيحيين من يقررون أنه كان مصورًا.

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمن قائل: إنه إنطاكي ولد بإنطاكية، ومن قائل: إنه روماني ولد بإيطاليا، ومن قائل: إنه كان طبيبًا، ومن قائل: إنه كان مصورًا، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، ولبولس هذا شأن خطير في المسيحية كما يعلم بذلك دارسو الأديان والمذاهب.

من كتب لهم إنجيل لوقا ولغته، واختلافهم حوله:

ويختلفون أيضًا في القوم الذين كتب لهم أولًا هذا الإنجيل، فالقس إبراهيم سعيد يقول: إنه كتب لليونان، وإنجيل متى كتب لليهود، وإنجيل مرقس، يقول: كتب للرومان، وإنجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة، وإنا نجد إنجيل لوقا يبتدئ بهذه الجملة: إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين، رأيت أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس؛ لتعرف صحة الكلام الذي علمت به، وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريك أنه من عظماء الروم، فيقول في ذلك: وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من عظماء الروم يقال له: توفيلا، وكتب إليه أيضًا الأبركسيس الذي هو أخبار التلاميذ، وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل، وهناك من يقول أن ثاوفيلس هذا كان مصريًّا لا يونانيًّا، فهو قد كتب للمصريين لا لليونانيين.

ويقول الدكتور بوست في تاريخه: قد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم وقبل الأعمال -أي: أعمال الرسل- ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة

أسر بولس سنة ٥٨ إلى ٦٠ من الميلاد، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك، ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه ألفه وبولس حي في الأسر، ولكن يحقق العلامة لارون أنه حرر إنجيله ذلك بعد موت بطرس وبولس، والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك، فقد قال هورن: ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤.

ولا نترك هذا الإنجيل من غير أن نقول: إن الباحثين قد اختلفوا في شخصية كاتبه، وصناعته، وفي القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه، ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه، وإلا على أنه كتب باليونانية.

٤. إنجيل يوحنا:

لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره في نظر الباحث؛ لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها؛ ولذلك كان لا بد من العناية به؛ إذ كان التثليث هو شعار المسيحية، وهو مخالفتها لديانات التوحيد، وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات، ويقول جمهور النصارى: إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه السيد المسيح، حتى إنه استودعه والدته وهو فوق الصليب حسب زعمهم، وقد نفي في أيام الاضطهاد الأولى، ثم عاد إلى أفسس، ولبث يبشر فيها حتى توفي شيخًا هرمًا، هذه خلاصة ما جاء في كتاب (مرشد الطالبين).

ولكن بجوار هؤلاء مَن محققي المسيح من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية، وأن ذلك

الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال، بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، فإن العلماء بالمسيحية في القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وكان بين ظهرانهيم أرنيوس تلميذ بوليكرد تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتمًا تلميذه بوليكرد، ولأعلم هذا تلميذه أرنيوس، ولأعلن هذا تلك النسبة عندما شاع إنكارها، ولقد قال أستادلين في العصور المتأخرة: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة لوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مريةَ ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين ماضيهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وادعى هذا الكاتب المرور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملةَ على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينًا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا صياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى.

هذا قول بعض الباحثين من كتابهم، ومن البدهي أن يعد المتعصبون ذلك القول خروجًا على وجه المسيحية؛ ولذلك قال أحد هؤلاء المتعصبين وهو الدكتور

بوست ردًّا على هؤلاء: وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل لكراهتهم تعليمه الروحي، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح، غير أن الشهادة بصحته كافية، فإن بطرس يشير إلى آية منه، وهي ٢ بطرس ١ / ١٤ قال يوحنا في ٢١، و١٨: وأغناطيوس وبوليكارس يقتطفان من روحه وفحواه، وكذلك الرسالة إلى ديوكنيتس، وباسيلوس، وجوستنيس الشهيد، وتانياس، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها إلى منتصف القرن الثاني، وبناء على هذه الشهادات وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه، وإلا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم، وهذا الأمر يعسر تصديقه؛ لأن الذي يقصد أن يغش العلم لا يكون روحيًّا ولا يتصل إلى علم، وعمق الأفكار، والصلات الموجود فيه، وإذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونًا عظيمًا حتى نضطر للحكم بأنه لم يكن منهم مَن كان قادرًا على تأليف كهذا، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه إلا يوحنا ذاته، ولا يستطيع تأليفه بدون إلهام من ربه.

وإذا نظرنا إلى هذا القول نظرة فاحصة كاشفة نقسمه قسمين؛ قسم يعلن به الكاتب شدة إيمانه وتعصبه لما يشتمل عليه هذا الكتاب وتقديسه، وهو القسم الذي ذكره في عجز قوله: وهو أنه لا يستطيع أحد من الآباء، بل لا يستطيعه أحد من الحواريين، بل لا يستطيعه الكاتب نفسه إلا بإلهام من ربه، ويلحق بهذا الجزء ما سبقه مما يماثله، فإن من الخطأ أن يعد ذلك برهنة واحتجاجًا، فإنه ليس فيه أية محاولة لها، أما القسم الثاني فهو ما يصح أن يعتبر محاولة للاستدلال، وهو ما ذكر في صدر قوله: فإنه يقرر الاتفاق بين نص ما جاء فيه، ونص جاء في رسالة بطرس الثانية، فهو يقول: إن الفقرة الرابعة عشرة من الإصحاح الأول، ونصها مع الفقرة التي قبلها ١٣، و،لكنني أحسبه حقًّا ما دمت في هذا المسكن أن

أنهضكم بالتذكرة، عالمًا أن خلع مسكني قريب كما أعلن ربنا يسوع المسيح أيضًا، موافقة الفقرة الثامنة عشرة من الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل يوحنا، ونصها: الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تنطق ذلك، وتمشي حيث تشاء، ولكن متى شخت فإنك تمد يدك، وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء.

ونحن لا نجد موافقة بين الفقرتين لا في اللفظ، ولا في المعنى، واستولى علينا العجب من ادعاء الموافقة ولا جامع بينهما، فظننا أن هناك خطأ فيما كتبه الدكتور بوست، وقلنا: لعله يريد الرسالة الأولى لا الرسالة الثانية، فرجعنا إلى الفقرة الرابعة عشرة من الإصحاح الأولى من الرسالة الأولى فوجدنا هي وما قبلها هكذا: لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح كأولاد الطاعة، ولا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم. وهنا نجد بعضًا من الموافقة في اللفظ والموافقة في المعنى، فرجحنا أنه أراد هذه الرسالة وسبق قلمه فدون الثانية بدل الأولى. وعلى ذلك نناقش القول على أساسها، وأساس المناقشة ما نعرفه من أن المتأخر إن وافق قوله من سبقه يكون قوله شهادة للسابق، ولا يكون قول السابق شهادة له، وأيهما أسبق تدوينًا رسالة بطرس أم إنجيل يوحنا؟

وقد اتفق مؤرخو النصرانية على أن بطرس قتله نيرون، ويقول في ذلك ابن البطريك: وأخذ نيرون قيصر لبطرس فصلبه منكسًا وقتله؛ لأن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسًا لئلا أتشبه بسيدي المسيح فإنه صلب قائمًا، وعاش بطرس بعد السيد المسيح اثنتين وثلاثين سنة، فكأن بطرس قتل بعد ميلاد المسيح بنحو خمس وستين؛ لأن المسيح صلب في اعتقادهم وله ثلاث وثلاثون

سنة، يضاف إليها اثنتان وثلاثون سنة عاشها بعد بطرس، ومن المؤكد أن إنجيل يوحنا كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ على ما اعتمد الدكتور بوست، فإذا وجدنا اتفاقًا بين ما كتب في هذا الإنجيل وما جاء في رسالة بطرس، يجب أن يكون كاتب هذا الإنجيل شاهدًا لبطرس لا أن بطرس شاهد له، وشهادة إنجيل يوحنا لا قيمة لها؛ لأنها شهادة إنجيل في نظر من أنكروه مجهول غير معروف يحتاج إلى دليل، فلا حجة في هذا الأمر، وعلى ذلك يكون الأمر في غيره من الشهادات.

تاريخ تدوين هذا الإنجيل وسبب تدوينه:

اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافًا بينًا؛ فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو ٩٨، وقيل: سنة ٩٦، ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو ٦٩، وسنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد، إذًا فليس هناك محرر لتدوين هذا الإنجيل كما أنه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كاتبه، وقد علمت ما في ذلك.

وقالوا: إنه كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس إلهًا، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلًا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل، وقد قاله جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه: إن شيرنتوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانًا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح، قال يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره من (تحفة الجبل): إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا

وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم.

وقال صاحب (مرشد الطالبين): إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا إنجيله، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم، وآخرين ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يرون في كتابته في سنة ٩٨، وذلك بعد رجوعه من المنفى، فالمقصد من كتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروي مما لم يذكره باقي الإنجليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم، وقد قيل: إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك.

ما يستنبط من سبب كتابته:

من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها؛ لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعلنها، وهنا لا يسع القارئ لتلك النقول إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح، وهو أن الأناجيل ثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح.

ثانيهما: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم، لم يجدوا مَناصًا من أن يلتمسوا دليلًا ناطقًا يثبت ذلك فاتجهوا إلى يوحنا؛ فكتب -كما يقولون- إنجيله الذي يشتمل على الحجة وبرهان القضية والبينة فيها على زعمهم.

وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه، يعني: هم اعتقدوا الأول ألوهية المسيح ثم كتبوا هذه الأناجيل، وإلا ما اضطروا اضطرارًا إلى إنجيل جديد طلبوه افتقدوه فلم يجدوا طلبوا من يوحنا أن يكتبه، ولكن الواقع أن رسائل الرسل التي كتبت في قولهم قبل هذا الإنجيل فيها ما ينبئ عن ألوهية المسيح ويعلنها، أفلم تكن فيها حجة لا تجعلهم في حاجة ماسة إلى إنجيل جديد، وفيها غناء من البيان يغنيهم عن سواه، أم لعل تلك الرسائل المشتملة على هذه الألوهية كتبت بعد هذا الإنجيل ليؤيده بها، وليثبت ما أتى به، ويرسخ في نفوس المسيحيين، ثم نسبت إلى السابقين.

مقارنة الأناجيل ببعضها

إنك حينما تقارن الأناجيل ببعضها، يتضح لك مدى الاختلاف البين الشاسع فيها، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فهناك كتاب يسمى (البهاريز) لعلاء أبو بكر، وهناك بحوث كثيرة في هذا المِضمار ووثائق كثيرة، تبين مدى هذا الاختلاف.

بعض المسائل التي وقع فيها الاختلاف على سبيل المثال لا الحصر:

ففي كتاب (البهاريز) يقول: كيف كان وضع الحجر عند باب المقبرة في مسألة الصلب، مرقس: فتطلعنا، ورأينا أن الحجر قد دحرج؛ لأنه كان عظيمًا جدًّا، مرقس ١٦/ ١٤، متى: وإذا زلزلة عظيمة حدثت؛ لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، متى ٢٨/ ٢، لوقا: فوجدنا الحجر مدحرجًا عن القبر ٢٤/ ٢، يوحنا: فنظرت الحجر مرفوعًا عن القبر، يوحنا ٢٠/ ١. لقد اتفق الإنجليون -مرقس، لوقا، يوحنا- على أن الحجر كان مدحرجًا، وخالفهما متى في أن الحجر لم يكن مدحرجًا لينزل ملاك الرب من السماء ويدحرجه أمام الزائرين ويجلس عليه.

مسألة: ماذا شاهد الزوار عند زيارتهم للقبر؟ شابًّا عند مرقس، ولما دخلنا القبر رأينا شابًّا جالسًا عن اليمين لابسًا حلة بيضاء فاندهشنا، مرقس ١٦/ ٥، ملاكًا عند متى، وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، متى ٢٨/ ٢، رجلين عند لوقا فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع، وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقف بهن بثياب براقة، لوقا ٢٤، ملكين عند يوحنا، أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجة تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعًا، فهل هذا كلام الله العليم بكل شيء؟ هل هذه أخطاء من الله أو من وحيه؟ لقد أخطأ الكل في العدد وفي شخصية من دحرج الحجر.

سؤال: وأين كان موقع الرجل أو الملاك الذي رأينه؟

داخل القبر عند مرقس ولوقا ويوحنا، خارج القبر عند متى.

سؤال: وأين كان موقع الملاكين داخل القبر؟

عند مرقس: ولما دخلن القبر رأين شابًّا جالسًا عن اليمين لابسًا حلة بيضاء فاندهشنا، مرقس ١٦/ ٥، وعند لوقا: وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة، لوقا ٢٤/ ٤، وعند يوحنا: فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعًا، يوحنا ٢٠/ ١٢، وعند متى: لم يكن داخل القبر بل خارجه جالسًا على الصخرة التي دحرجها.

سؤال: كيف كان وضع الملاك أو الملاكين؟

الجلوس عند مرقس ويوحنا، وكان عند متى أيضًا جالسًا خارج المقبرة، الوقوف عند لوقا: إذا رجلان وقف بهن بثياب براقة، لوقا ٢٤/ ٤.

سؤال: ماذا كان رد فعل الزائرات؟

عند مرقس: اندهشنا، وأخذتهن الرعدة والحيرة، مرقس ١٦/ ٥، ٨، عند متى: كانتا خائفات، متى ٢٨/ ٤، عند لوقا: خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض محتارات، لوقا ٢٤/ ٤: ٥، عند يوحنا: بكت ٢٠/ ١٣.

سؤال: هل تكلمت النساء مع الملاك؟ لم يقلن للملاك أو الرجلين أو الرجل شيئًا؛ لأنهن كن خائفات، مرقس، ومتى، ولوقا، قالت المجدلية لهم: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، يوحنا ٢٠/ ١٣.

وهكذا سرد اختلافات كثيرة لا حصر لها في هذا الموضوع، ومن أراد أن يتتبع ذلك فليقرأ العهد الجديد كله، وليجد فيه الاختلافات الكثيرة المتنوعة.

مقارنة العهدين القديم والجديد

نحن نعلم أن العهد القديم هو مرتكز للجديد، ولكن هناك اختلافات تظهر عند المقارنة، فهذا بولس يتنكر لشريعة موسى، المرء عنده لا يتبرر ولا ينجو بالأعمال التي رسمتها الشريعة، بل يتبرر بالإيمان بالمخلص الفادي، واعتبر ذلك من حكمة الدعوة حتى تتسلل إلى الأمم الأخرى التي نريد جذبها للدين لا نفورها منه بكثرة الأعمال.

أولًا: نقل الدين من طبيعته المحلية الخاصة ببني إسرائيل إلى العالمية، لم يبالِ بتلاميذ المسيح وتنكر لهم تمامًا، وهم يتحدثون عن شدة تمسك بولس، وحفظه للناموس حرفيًّا أنه لم يكن مصرحًا لفريسي أن يحمل إبرة في يوم السبت، يعني: محافظ على شريعة موسى، ومعنى الفريسي المنعزل، وهو إحدى فئات اليهود الرئيسة الثلاثة التي كانت تناهض الفئتين الأخريين، فهل بولس فعلًا تمسك بالعهد القديم الذي هو مرتكز له؟ أول شيء أنه ألغى السبت -وكنت تحدثت عن السبت قبل ذلك، وعن قداسته، وعن وجوب الراحة فيه، والعبادة فيه، كما جاء في نصي الخروج ٣١/ ١٥ : ١٨، والتثنية ٥/ ١٢ : ١٥- وجعل غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن، وإذ جعل بولس غاية الشريعة هي المسيح من وجهة نظره، فهو يقول عن المسيح أيضًا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا، فلا يحكم عليكم أحدًا في أكل، أو شرب، أو من جهة عيد، أو هلال، أو سبت، وبولس إذ يلغي حفظ السبت ويبطله لا يخالف الشريعة الموسوية فقط، بل يخالف المسيح نفسه الذي قال: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، ومن ثم فقد بات لدى النصارى أن سبت اليهود منسوخ وباطل.

ثانيًا: إلغاء الختان، والختان منصوص عليه، وقد نص أن إبراهيم عليه السلام اختتن وكان عنده ثمانون سنة، والعهد القديم مركز جدًّا على الختان. سفر التكوين ١٧/ ٩: ١٥، وجاء في إنجيل لوقا أن يسوع نفسه ختن وعمره ثمانية أيام، فيقول: ولما تمت ثمانية أيام ليختموا الصبي سمي يسوعًا كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن. وفي إنجيل يوحنا ما يؤكد على أمر الختان، أما بولس فها هو يقول: إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا، ويلغي الختان، ويرى أنه لا فائدةَ منه، وتأول الختان وهو جسدي بختان القلب والروح والإيمان.

ويبدو أن الدافع لبولس على إلغاء شريعة الختان هو مجاملة أهل اليونان الذين لم تتفق شريعة اليهود مع حياتهم العملية، واصطدم اليهودُ الذين دخلوا المسيحية حديثًا مع إلغاء شعيرة الختان الثابتة عندهم.

ثالثًا: لحم الخنزير، وكان محرمًا في اليهودية، وهو من الحيوانات النجسة، ومع ذلك يأتي بولس فيقول: كل الأشياء طاهرة، ويقول: إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيئًا نجسًا بذاته، إلا من يحسب شيئًا نجسًا فله هو نجس، ويقول: كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم.

وبهذا يكون قد نسخ حرمة الخنزير وجعله حلالًا طيبًا، وأعطَى ظهرَه للعهد القديم، كما أباح شرب المسكر والخمر بقوله: لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة.

(المسيح في القرآن والإنجيل)

عناصر الدرس

المسيح كما تحدث عنه القرآن، ومقارنة ذلك بما ورد في الأناجيل

أولًا: دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد:

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم يتبين أن المسيح عليه السلام قد دعا إلى وحدانية الله تعالى، كما دعا إلى ذلك إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فقد دعا إلى توحيد الله في ذاته وفي صفاته وأفعاله، قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فالمسيح أمرهم بعبادة الله وحده الذي هو ربهم وربه ورب العالمين جميعًا، وحذرهم من الشرك؛ لأن عاقبته وخيمة تؤدي بالإنسان إلى النار، وتحرمه من الجنة، وأن المشركين الظالمين لنفسهم ولغيرهم ليس لهم من نصير ينصرهم، ومن أشرك بالله فقد كفر، ومن ادعى أن الله ابن الله فقد كفر، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وفي سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة عن اتخاذ النصارى له ولأمه إلهين من دون الله، وهل دعاهم إلى ذلك، فيتبرأ عيسى عليه السلام من ذلك، ويذكر أنه ما أمرهم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، ويخبر عن ذلك الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ

لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

إن المسيح عليه السلام حسم الأمرَ في عقيدة الألوهية، واحتاط ضد من يفسرون ولادته بلا أب ما سيتقولونه عليه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [آل عمران: ٥١].

إن القرآن الكريم ينص على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل، التوحيد بكل شعبه، التوحيد في العبادة، فلا يعبد إلا الله، والتوحيد في التكوين فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في الذات، فلا ثاني له ولا مثيل له، والتوحيد في الصفات، فلا شبيه له، فهو منزه عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا- كما يثبت القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، وهذا التوحيد المطلق الذي أخبر عنه المسيح، وهو ما ورد في نصوص الكتب المعتمدة لدى النصارى، فلقد تحدث عن التوحيد الذي علمه المسيح لأتباعه، ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقس أن أحد الكتبة سأل عيسى: أية وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ليس، وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيدًا يا معلم بالحق قلتَ؛ لأنه الله واحد وليس آخر سواه، مرقس ١٢ / ٢٨: ٣٢.

وفي إنجيل يوحنا: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته، يوحنا ١٧ / ٣، وفي إنجيل مرقس نرى المسيح وقد تقدم إليه أحد السائلين قائلًا: أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة

الأبدية؟ فقال يسوع: لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله، مرقس ١٠/ ١٧: ١٨، وفي إنجيل متى يقول المسيح للشيطان: اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد، متى ٤/ ١٠، وفي رسالة بولس لأهل غلاطية: والله هو واحد، وفي رسالة بولس لأهل رومية: لأن الله واحد، وفي رسالة يعقوب: أنت تؤمن أن الله واحد حسن، وفي إنجيل برنابا يشهد المسيح أمام السماء والأرض على عبوديته لله تعالى قائلًا: أشهد أمام السماء وأشهد كل شيء على الأرض، أني بريء من كل ما قد قلتم؛ لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام، وشقاء البرد والحر كسائر البشر؛ لذلك متى جاء الله يكون كلامي يحترق، كل مؤمن بأني أعظم من إنسان.

فهذه شهادة الأناجيل على أن دعوة عيسى عليه السلام كانت دعوة إلى وحدانية الله، وتنزيهه عن مشابهة الحوادث، وتقديسه واتصافه سبحانه بكل صفات الكمال التي لا يزاحمه فيها رسول أو بشر أو ملك.

ثانيًا: دعوة المسيح عليه السلام بني إسرائيل أنه رسول الله إليهم:

إن المسيح عليه السلام يبين لقومه أنه رسول الله إليهم، وقد شهد بذلك القرآن الكريم في كثير من آياته؛ منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الحديد: ٢٧] وقال تعالى مخبرًا أن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل خاصة: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨، ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا

﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦] وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥] وقال تعالى على لسان المسيح: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وإذا كان القرآن قد بين أن المسيح عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل خاصة، فإن نصوص الأناجيل تنطق بذلك وتؤيده، ففي إنجيل متى قول المسيح: لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وفي متى أيضًا أن عيسى عندما حدد الحواريين الاثني عشر أوصاهم قائلًا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.

وفي إنجيل يوحنا: هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته، وفيه أيضًا: الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني، يوحنا ١٤/ ٢٤، وقوله: أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة؛ لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني، يوحنا ٣٠، فهذه النصوص تنطق صراحة بأن عيسى عليه السلام كان رسولًا من عند الله كما هي سنة الرسل السابقين له، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

ثالثًا: دعوة المسيح عليه السلام إلى أن تكون الصلة مباشرة بين الخالق والمخلوق:

دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى أن تكون صلتهم مباشرة بالله، فلا يتخذون الوسائط، ولا يتقربون لأحد من خلق الله؛ ليكون واسطة بينهم وبين ربهم، كما دعاهم بألا يتقدموا بالعبادة إلا إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: لقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، ومن غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهم، وليس شخص مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه، وسيطًا بين العبد والرب في عبادته، وتعرف أحكامه شرعه مما أنزله الله على عيسى من كتاب، وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ، وقد ذكر المسيح عليه السلام أن ملكوت الله مفتوح للناس جميعًا، وكلهم أمامه سواء: لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين، متى ٥/ ٤٥.

إن المقصود بملكوت الله الذي أراده المسيح عليه السلام أن ينهى عن العصبية القبلية عند بني إسرائيل، ويقضي على الولاء العائلي الذي يجعل منهم وحدة لا تتصل بسواها من وحدات البشر تجعل منهم شعبًا مختارًا، فصاح عيسى بهذا الاتجاه، ينبغي أن يكتسح طوفان جارف من حب الله كل العواطف العائلية الضيقة المقيدة للحرية، ويفتح السبيل للأخيار الصالحين أن ينتموا لملكوت الله.

رابعًا: دعوة المسيح عليه السلام إلى الزهد والرضا:

بعث عيسى عليه السلام إلى اليهود بعد أن غرقوا في بحور الضلال والعمى، وتحجرت قلوبهم، وبلغت من التحجر أن كانت أشد من الحجارة نفسها، وصدق فيهم

وصف الله لهم، ونعيه عليهم بقوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤] فدعاهم عيسى عليه السلام إلى الزهد في الدنيا، والانسلاخ الكامل عنها وعن متاعها، وعدم الاتكال على المال؛ لأن في ذلك حجبًا لهم عن الدخول في ملكوت الله، فقال: ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله، مرقس ١٠/ ٢٣، وقوله: لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس الصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، متى ٦/ ١٩ : ٢٠. وورد قوله: لكن اطلبوا أولًا ملكوت الله وبره كلها تزاد لكم، فلا تهتموا للغد؛ لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره، متى ٦/ ٣٣ : ٣٤، وقال: لا تقتنوا ذهبًا ولا فضةً ولا نحاسًا في مناطقكم، ومزودًا للطرق، ولا ثوبين، ولا أحذية، ولا عصا، متى ١٠/ ٩.

فمن أقوال المسيح عليه السلام يتضح أن دعوته كانت تتركز على الدعوة إلى الزهد في الدنيا، وذلك بأن يجعلها الإنسان في يده، ولا يجعلها في قلبه، وأن يكتنز الإنسان للآخرة؛ لأنها هي الحياة الخالدة التي ليس فيها فساد، وليس فيها لصوص يسرقون الأموال، إنما هي محفوظة عند الله يثيب عليها أصحابها خيرًا، إن الإنسان حينما يعيش في طاعة الله ينال سعادة الدنيا والآخرة، فالسعادة قيمة روحية ونفسية سبيلها الصلة الحية مع الله والسلام النفسي، وراحة الضمير، والغفران الإلهي، والمحبة الصادقة للناس، ودعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى البعد عن الطمع، والحث على الرضا بما قسم الله وأنعم به من نعم على عباده،

وألا يطمع أحد في ميراث أخيه فيحرمه منه، ولا يطمع فيما في يد الآخرين، وضرب لهم الأمثلة الأخيرة التي تحذر من الطمع، قال لهم: انظروا وتحفظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحد أكثر فليست حياته من أمواله، وضرب لهم مثلًا قائلًا: إنسان غني أخصبت كورته ففكر في نفسه قائلًا: ماذا أعمل؛ لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري، وقال: أعمل هذا أهدم مخازن وأبني أعظم، وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي، وأقول لنفسي: يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة، استريحي وكلي واشربي وافرحي، فقال له الله: يا غبي، هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنى لله، لوقا ١٢/ ١٥ : ٢١.

مما سبق تبين أن المسيح عليه السلام دعا قومه إلى الزهد والعزوف عن الدنيا وزخرفتها، ووعظهم، وضرب لهم الأمثالَ، وأعلمهم أن سعادة الإنسان كل السعادة تكمن في الرضا بما قسم الله وفي اتباع تعاليم الله، فدعوة عيسى عليه السلام تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا؛ إذ الدنيا ليست إلا طريق غايته الآخرة، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية.

خامسًا: دعوة المسيح عليه السلام بني إسرائيل للعمل بالشريعة:

لقد دعا عيسى عليه السلام قومه إلى العمل بالشريعة الإلهية، والتي جاء بها موسى عليه السلام وهي ما تُعرف بشريعة التوراة، فجاء عيسى متبعًا لها، ومكملًا ومتممًا لأحكامها، وقد أخبرنا بذلك القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٦، ٤٧]

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦]

وقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٨].

فهذه النصوص القرآنية تفيد أن عيسى عليه السلام قد دعا بني إسرائيل للعمل بالشريعة، وأنه جاء بالإنجيل مكملًا لأحكام التوراة، وجاءت نصوص كُتُبهم تؤكد ذلك، ففي إنجيل متى يقول المسيح: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكملَ، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، متى ٥/ ١٧: ١٨.

كما أمر عيسى عليه السلام أتباعه بالعمل بشريعة موسى كما جاء في إنجيل متى: حينئذٍ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلًا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفرّيسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون، متى ٣٢/ ١: ٣، لكن طبعًا جاء بولس ونقض كل هذا، وفي إنجيل برنابا قول المسيح: صدقوني أنه لما اختارني الله ليرسلني إلى بيت إسرائيل، أعطاني كتابًا يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبي، إن كل ما أقول يصدر عن ذلك الكتاب، برنابا ٦٨/ ٢.

وبعد، فهذا ما دعا إليه المسيح عليه السلام بني إسرائيل، دعاهم إلى الوحدانية المطلقة لله رب العالمين، وبين أن دعوته مقتصرة عليهم، ودعاهم إلى الزهد والرضا بما قسم الله لعباده، ودعاهم إلى التقرب إلى الله بالطاعة، والتوجه إليه مباشرة، وألا يتخذوا وسطاء بينهم وبين ربهم، ودعاهم للعمل بشريعة الله، وذلك بامتثالهم لأوامره وابتعادهم عن نواهيه، إلا أن القوم حرَّفوا وبدلوا تعاليم الله، وجاءوا بتعاليم ما أنزل الله بها من سلطان ما قال بها، ولا دعا إليها المسيح عليه السلام وترتب على ذلك أن كان لهذا التحريف أثره على الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام.

وليس أدل على تكريم الإسلام للمسيح عليه السلام وأمه من أن هناك سورةً في القرآن اسمها سورة "مريم" وليس هناك إصحاح خاص بالسيدة مريم -عليها السلام- في الإنجيل. كذلك في البشارة بسيدنا عيسى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥] وليس المقصود بالمقربين المتفوقين بدنيًّا أو الأقرب مكانيًّا، لكن المقربين مقربون لتفوقهم الروحي، قارن ذلك بقول إنجيل مرقس: ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله، مرقس ١٦/ ١٩.

لقد أساء المسيحيون الفهم ها هنا كما أساءوا الفهم في مواضع أخرى، إنهم يتخيلون الإله الأب جالسًا على عرش، وهو في نظرهم كرسي فخيم، وابنه المسيح على يمينه، هل يمكن لك أيها القارئ الكريم أو أيها السامع أن تستوعب الصورة؟ هل تستطيع أن تقبل مثل هذا التصور للإله؟ لو استطعت لانحرفتَ عن المعرفة الصحيحة لله، إن الله سبحانه وتعالى ليس بابا نويل تقدمت به السن، إنه سبحانه وتعالى وجود روحي غير مادي يفوق ما في تصور البشر، إنه موجود، إنه حقيقي، لكنه ليس

مثل أي شيء يمكن أن تحيط به عقولنا، أو أن تتصوره، كما يصف القرآن الكريم المسيح عليه السلام وصفًا ملائمًا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ وهو تعبير عن رفعة المكانة عند الله.

إن الآية الكريمة السابقة تؤكد أن عيسى هو المسيح، وأنه الكلمة التي ألقاها الله إلى مريم، والمسيحي هنا أيضًا يستطيع أن يقرأ في هذه الكلمات المعنى الحقيقي الذي تقدمه إليك العقيدة المحمدية، وهو معنى لم يألفه المسيحي، إن المسيحيين يقرنون بين المسيح وبين الإله المجسد، ويخلطون بين كلمة الله وبين كينونة الله، وليست كلمة المسيح اسمًا لشخص، كلمة المسيح مشتقة من الكلمة العبرية مسياح، ومن الكلمة العربية مسح، وأصل اشتقاق الكلمة إنما هو من الاسم الثلاثي "م س ح"، وهو بمعنى دلك ودهن بزيت؛ ليصبح الجسد أكثر صحة وأكثر راحة، وكان الكهنة والملوك يتم المسح على أجسادهم بالزيت عندما يعينون في مناصبهم الرفيعة، لكن لفظ المسيح عند انتقاله إلى اللغات المسيحية بدأ يأخذ معنًى متفردًا مختصًّا بسيدنا عيسى وحده.

وللمسلمين براعة فائقة في تحويل المعادن إلى ذهب لامع، إن كل ما يهم المترجم المسيحي الأوربي هو أن يترجم الأسماء -أسماء الشخصيات الدينية- إلى لغته فيكون سيفاز هو بطرس، والمسيح هو عيسى، كيف يفعل ذلك بغاية السهولة، ولنأخذ كلمة المسيح كمثال: إن كلمة المسيح في اللغة الإنجليزية تعني المدهون بالزيت، والكلمة اليونانية المقابلة أو التي تعطي هذا المعنى في اليونانية هي إكريستوس، ولو حذفنا المقطع الأخير من الكلمة فإنها تصبح إكريست، ثم يبدأ الكلمة بحرف كبير "كبتل" ليخطى باسم علم من الأعلام، إن كلمة إكريستوس تعني المدهون بزيت، وفي المجال الديني فإنها تعني المعين لمنصب ما من المناصب

الكبرى، ولقد تم تعميد وتعيين عيسى عليه السلام على يدي يوحنا المعمدان ليكون رسولًا، وفي اللغة العبرية يقال: جُعل مسيحًا، ولندع الترجمة الإنجليزية جانبًا لكي نجد أن الأنبياء والرسل والكهنة والملوك، لم يكونوا يمسحون ويدهنون بالزيت فحسب، بل كانت تنفخ لهم الأبواق، وتُضاء لهم المشاعل، وقد جاء في سفر التكوين ما نصه: أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودًا، تكوين ٣١/ ١٣، وورد في سفر اللاويين ما نصه: إن كان الكاهن المسوح يخطئ، وجاء أيضًا بسفر صمويل الأول: سيبارك الرب لمسيحه، صمويل ١/ ٢: ١٠، وجاء بسفر أشعياء: وهكذا يقول الرب لمسيحه كورش، أشعياء ٤٥/ ١، وكأنما قورش مسح أيضًا، وورد بسفر حزقيال: أنت الكروب المنبسط المظلل، حزقيال ٢٨/ ١٤.

وهناك أكثر من مائة نص مثل هذه النصوص بالإنجيل، وكلما صادفتك كلمة المسيح في إنجيل مطبوع بالإنجليزية، فاعلم أنها منحدرة عن الأصل الروماني إكريستوس، ولو شئت الحقيقة فإن هناك مئات ممن مسحوا بالزيت، وصار كل منهم مسيحًا يعمل في مجال الحكم، أو مجال الكهنوت.

جاء في كتاب (المسيح في الإسلام، ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح) للداعية أحمد ديدات -عليه رحمة الله- في الفصل الخامس: آيات من القرآن والإنجيل، لقاء مع رجل فاضل، آمل أن تكون أيها القارئ الكريم، قد أخذت بالتوصية الموجودة بالهامش السفلي على الصفحة الثامنة من هذا الكتاب مأخذ الجد، كان المؤلف قد أوصى أن يتدبر القارئ القرآن الكريم وأن يتمعن معنى آياته، وأن يحاول دعوةَ غيره إلى ذلك في هذه الصفحة المذكورة، وها أنا ذا أفعل

بنفسي ما ناديت به، وكما نصحت لكم أن تتدبروا آيات القرآن الكريم، وأن تتدبروا معناها، فإني أسترجع في ذهني هذه الآيات، وتتوالى المصادفات التي تدعوني إلى ذلك، وعلى سبيل المثال كنت أزور دار الكتاب المقدس -الكلام لأحمد ديدات- في جوهانسبرج، وبينما كنت أتجول بين أكداس الكتب تناولت نسخة للإنجيل مطبوعة في أندونيسيا، مكتوبة باليونانية والإنجليزية للعهد الجديد في مجلد غالي الثمن، ولم أكن أدرك أن القائم على الدار المشرف عليها يراقبني، وعلى الفور أقبل نحوي، وربما كانت لحيتي وعلامة الصلاة في جبيني دلالة على إسلامي، قد استرعت انتباهه وأثارت روح التحدي لديه.

بدأ بأن سأل عن سر اهتمامي بذلك المجلد الغالي الثمن، وأوضحت له أنني دارس في مجال مقارنة الأديان، وأنا بحاجة إلى مثل هذا الكتاب، فدعاني إلى تناول الشاي معه بمكتبه فوافقت، وأثناء تناول الشاي أوضحت له من العقيدة الإسلامية ما يتعلق بعيسى عليه السلام وأوضحت له المكانة السامية التي يحتلها في كنف الإسلام، وبدا مرتابًا فيما ذكرت له، واندهشت لعدم درايته البداية عليه ذلك أنه لا يقوم على إدارة مثل تلك الدار إلا رجال على أعلى درجة من الكفاية والدراية بالموضوعات الدينية، حتى يتسنى لهم الحصول على وظيفة ما في دور توزيع الكتاب المقدس، وبدأت أقرأ له الآية الثانية والأربعين من سورة "آل عمران": ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] ولقد كنت أحاول لفت نظره إلى الموسيقى الكامنة في النص العربي في القرآن الكريم بعد إيضاح المعنى له اعتدل وانكرز، وهذا هو اسم الرجل، اعتدل في جلسته مصغيًا باهتمام إلى كلام الله.

وعندما بلغت الآية الكريمة التاسعة والأربعين قال لي: إن المحتوى القرآني مماثل لذلك الموجود في إنجيله، وقال له: إنه قد لمس أنه لا فرقَ بين ما كان يعتقده كمسيحي وبين ما تلوته عليه، قلت له ذلك حق، وأفهمته أنه لو صادف هذه الآيات مترجمة إلى الإنجليزية دون ذكر للغة العربية في صفحة مقابلة، لما استطاع أن يدرك أنه إنما يقرأ آيات من القرآن مهما طال به التأمل والتدقيق، ولو كان من أصحاب المذهب المسيحي البروتستانتي لظن أنه يقرأ في إنجيل الروم الكاثوليك مثلًا، أو في إنجيل يوحنا، أو في إنجيل اليونان الأرثوذكس، دون أن يخطر بباله أبدًا أن ما يقرأه هو آيات من القرآن الكريم ترجم معناها إلى الإنجليزية.

إن المسيح يستطيع أن يقرأ في آيات القرآن الكريم كل ما يشتهي أن يقرأه عن عيسى في لغة نبيلة راقية سامية لا يستطيع أن يتفادى تأثره بها، وفي هذه الآيات المتعاقبة من الآيات الكريمة التاسعة والأربعين منها يخبرنا القرآن الكريم بما يلي:

أ. مريم أم المسيح عليه السلام كانت امرأة شريفة فاضلة، اصطفاها الله وكرمها وفضلها على نساء العالمين.

ب. إن كل ما جرى وكل ما قيل إنما كان بوحي من الله إلى البشر.

ج. إن عيسى عليه السلام كان كلمة الله.

د. إن عيسى عليه السلام هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود.

ه. إن الله سيحقق على يديه المعجزات منذ بدأ ولادته.

و. إن عيسى عليه السلام إنما ولد بمعجزة دون اتصال أنثى بذكر.

ز. إن الله سينزل على عيسى عليه السلام الوحي من عنده.

ح. إن عيسى عليه السلام سيحيي الموتى بإذن الله، وسيبرئ الأعمى والأكمه والأبرص بإذن الله، وغير ذلك من معجزات.

طباشير وجبن:

إن المسيحي المتحمس لمسيحيته لا يمكن أن يعترض على كلمة واحدة مما ذكرناه هنا عن عيسى عليه السلام ولكن الفرق بين السرد الإنجيلي والسرد القرآني إنما هو كالفرق بين الطباشر والجبن أيهما يؤكل؟ وتساءل الرجل الكريم قائلًا: إنهما متطابقتان فيما يبدو لي، فما الفرق؟ قلت له: أنا أعلم أن فحوى القصص في كليهما متفق في تفاصيل كثيرة، ولكن عندما ندقق ونحقق ونفحص بعناية، فإننا سوف نكتشف قَطْعًا أن الفروق بينهما كبيرة وشاسعة، قارن الآن بين التصوير الإعجازي الذي جاء بالآية السابعة والأربعين الآنف ذكرها من القرآن الكريم، وبين ما جاء بإنجيل متى: أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف النجار قبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من الروح القدس، متى ١/ ٨.

أستاذ الدراما:

ولقد قام المفكر المسيحي الأمريكي المشهور بلي جراهام بتشخيص وتمثيل هذا المعنى أمام أربعين ألف متفرج على خشبة مسرح كنجبارك بمدينة دربان، مشيرًا بسبابته ويده اليمنى ممدودة يمر بها على بطنه من اليمين لليسار، ويقول: وجاء روح القدس ليتصل بمريم اتصالًا جعلها حاملًا، ومن جهة أخرى نجد القديس لوقا يخبرنا نفس الخبر ولكن بأسلوب آخر أقل إثارة وأقل إسفافًا، وذلك عندما

يقول: إنه عندما بدأ الخبر يذيع، شعرت مريم بالاضطراب، وكان رد الفعل لديها أن قالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا؟

لوقا ١/ ٣٤، ولنقارن هكذا بما ورد في القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] معنى المقولتين متطابق، وهما يبدوان ببساطة كمجرد اختيار بين عبارتين مختلفتي الألفاظ متطابقتي المعنى، ولكن طريقة الاستجابة لمطلب مريم الوقور فيما بين الكتابين تتمايز.

رواية الإنجيل يقول الإنجيل: فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليكِ، وقوة الله العلي تظللكِ، متى ١/ ٣٥، أفلا تدري أنك هنا تتيح للملحد الحجة التي يتعلل بها، وتضع بين يديه العصا التي يضربك بها، قد يقول قائل: كيف حل الروح القدس على مريم؟ وكيف تظللها قوة الله العلي، إننا نعلم علم اليقين أن المعنى المقصود من الألفاظ ليس ذلك الذي يتبادر إلى الأذهان، لكن اللغة المستخدمة هنا هي الملومة؛ لأنها غير مستساغة توحي بمعانٍ غير لائقة، وهي بذلك دون المستوى اللائق، فهل تتفق معي في ذلك؟

هيا الآن ليتضح الفرق نقارن ذلك ما ما جاء بالقرآن الكريم، رواية القرآن الكريم: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]
هذا هو التصور القرآني لمولد عيسى عليه السلام لله أن يخلق بشرًا مثل عيسى دون أب، إنه سبحانه يشاء فحسب، ولو أنه سبحانه شاء أن يخلق مليون عيسى دون آباء ودون أمهات لتحقق له ذلك؛ لأنه سبحانه يخلق ما يشاء في الوجود بكلمة هي كن فيكون.

الوثنيات التي تطرقت إلى المسيحية تاريخيًّا

جاء في (المسيحية) للدكتور أحمد شلبي :

الفكر المصري في المسيحية :

يقول الدكتور صابر جبرة : إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسم كما يرسم الصليب ، وليس بعيدًا إذًا أن يكون رسم الصليب مقتبسًا من الفكر المصري بمعنى نهاية الحياة أو الحياة التي تلي الصلب ، ويقول كذلك : إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية ، بمعنى إن المسيحية استعارت كل الفلسفات والوثنيات القديمة وألبستها ثوبًا مسيحيًّا ، ويقول الأستاذ رءوف حبيب في حديثه عن نشأة المسيحية بمصر : المصريون من أسبق الشعوب التي اعتنقت المسيحية ؛ إذ وجد المصريون في حياة المسيح صدى لقصة أوزيريس الإله الذي ذهب ضحية روح الشر ، وكذلك اتفقت قصة المسيح من ناحية نظام الثالوث الأقدس مع قصة التثليث في الفكر المصري : أوزيريس ، وإيزيس ، وحورس ، ويتضح من كلام الأستاذ رءوف حبيب عن تطابق العقائد بين الفكر الفرعوني والفكر المسيحي أن تفكير مصريًّا عميقًا ظهر في المسيحية ، ويقول الدكتور سامي جبرة : إن كثيرًا من المفكرين يتجهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرنًا على الأقل قبل مولد المسيح ، فقد وجد في مصر في ذلك التاريخ ، وتأثر الفكر المسيحي بالفكر المصري وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحي.

الفكر البوذي في المسيحية:

استعارت المسيحية كثيرًا من معتقداتها وشعائرها من البوذية، فالتثليث، والأقانيم، وقصة الصلب للتكفير عن خطيئة البشر، والزهد والتخلص من المال للدخول في ملكوت السموات، والرهبانية، كلها مستعارة من البوذية التي سبقت المسيحية بعدة قرون.

المسيحية اقتباس من مصادر متعددة:

وهذا المرجع يصور المسيحية ثوبًا مهلهلًا تكون من مجموعة كبيرة من الرقاع جاءت كل رقعة منها من وادٍ، فبعض المعتقدات انحدر من الأديان الوثنية، وبعضها من ديانة متراس، وبعضها من البوذية، وبعضها من الفلسفة الإغريقية، وبعضها من الخرافات التي يدين بها البدائيون، وهكذا.

الوثنية في المسيحية:

ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون، ويلاحظ غوستافلبون تشابهًا واضحًا بين الديانتين من ناحية الشكل والموضوع، ونقتبس منه قوله: إنك تلاحظ تماثلًا عجيبًا من كل وجه بين صيام عيسى في البرية، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات، وصيام بوذا في الآجام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضًا، وذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسي مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه وهي من الطبقة الدنيا بما حدث لعيسى من السامرية، وما قاله لها، وكلتا الديانتين أمرتا بالإحسان والزهد، وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال، وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية، ولم تكونا سوى وجهين لحادث

مهم في تاريخ العالم، ويختلف غوستافلوبون هذه المقارنة بقوله: وليس مما نبالي به كثيرًا أن تكون إحداهما مدينة للأخرى، فلا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو (حضارة الهند) أما نحن فإننا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب، ونقرر أن مسيحية بولس استعارت هذا وسواه من البوذية، فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق، ولا يمكن للعكس أن يكون، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دونت قبل ظهور عيسى، وهي وليدة الحياة الهندية وسائرة في أفقها.

وبمناسبة الإشارة إلى بولس هنا نقتبس اقتباسًا يقرر انقطاع العلاقة بين الأناجيل والكنائس: على الرغم من تأثر الأناجيل برسائل بولس تأثيرًا جعلها لا تعارض هذه الرسائل، ونكتفي بالاتجاه التاريخي عن المسيح، ويقول: إذا درسنا الأناجيل دون نظر لما كتبه القديس بولس، فإننا نجد تعاليم عيسى وكلماته لا تنسق مع اتجاه الكنائس في عهدنا الحاضر.

مقارنة العقائد الوثنية بعقائد المسيحية الحالية:

فيما يلي بعض التفاصيل للديانات الوثنية التي استعارت منها المسيحية شعائرها وعقائدها، كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت في نفس الفترة –الشهر أو الموسم– التي ينسب لعيسى أنه ولد فيها، كل هؤلاء ولدوا في كهف أو حجرة أو بعيدًا عن الناس، كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشري، كلهم كانوا ينعتون: المخلص، المنقذ، الوسيط، كلهم قهروا بقوى الشر والظلام، ألقي بهم بعد هزيمتهم في المدافن أو النيران السفلى، هبوا جميعًا من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء، أسسوا جميع الخلفاء لهم ورسلًا ومعابد، ويتضح من هذا أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات.

ويمكن أن نعطي تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات السابقة لنرى مدى الصلة المسيحية بها:

متراس: هذه الديانة فارسية الأصل، وقد ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون، ثم نزحت إلى روما حوالي سنة ٧٠ ق.م، وانتشرت في بلاد الرومان، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك، ومدينة شستر، وغيرها من مدن انجلترا، وتذكر هذه الديانة أن مترًا كان وسيطًا بين الله والبشر، وأن مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض، وأنه في ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر، كان له اثنا عشر حواريًّا مات ليخلص البشر من خطاياهم، دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره، صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون، كان يدعى مخلصًا ومنقذًا، ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع، كان أتباعه يعمدون باسمه، وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس.

مقارنة بين محاكمة بعل ومحاكمة عيسى:

أخذ بعل أسيرًا، أخذ عيسى أسيرًا، حوكم بعل علنًا، وكذلك حوكم عيسى، جرح بعل بعد المحاكمة، اعتدي على عيسى بعد المحاكمة، اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل، اقتيد عيسى لصلبه على الجبل، كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام، وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت، وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر، وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليعفى عنه كالعادة كل عام، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى، بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس، عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء، حرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه الجثمان، وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه، إلاهات

جلسن حول مقبرة بعل يبكينه، مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه، قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء، قام عيسى من مقبرته في يوم الأحد وفي مطلع الربيع أيضًا وصعد إلى السماء.

مقارنة بين حياة بوذا وحياة عيسى:

بوذا: عند مولد بوذا ظهر نجم في السماء يبشر به، وقد رؤي هذا النجم يسير نحو مكان مولده، وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد، عيسى: وعند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضًا يبشر بمولد المخلص، وقادت جماعات المجوس نحو مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له، ويروى عن بوذا قوله: أخف أعمالك الطيبة، وأعلن على الناس سيئاتك التي ترتكبها، ومما علمه عيسى لأصحابه أن يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوءهم وخطاياهم، وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم، وقال عيسى لأتباعه: أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا لمن يبغضكم، ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانبًا، ويتنازلوا عن غناهم، ويؤثروا الفقر ليقبلوا في الدعوة، واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله، ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت الله، وكان هدف بوذا الأسمى أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء، ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت الله، ونادى بوذا بعدم الزواج، وشبه الزواج بالاحتراق في الفحم، ولم يجزه إلا عند خوف الزنا، ويقرر الفكر المسيحي أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة، ولكن إذا خاف الزنا جاز له أن يتزوج، فالجواز خير من الاحتراق بالنار.

ولم تكتفِ المسيحية باقتباس الأحداث، وإنما اقتبست أيضًا الأيام والتواريخ، فمولد عيسى وصلبه ودعوته للحياة تقع في أيام تتفق تمامًا مع أحداث وثنية ترتبط بمثل هذه الأيام -كما تقدم.

أما حادثة العشاء الرباني -التي سبق أن أوردناها- فهي بتفاصيلها الدقيقة واردة في ديانة متراس حذوك النعل بالنعل كما يقولون.

وهناك مقابلة بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن كرشنه بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح أقتبس منها جزءًا بسيطًا، وهو:

١. كرشنه هو المخلص، والفادي، والمعزي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الآب، والابن، والروح القدس، يسوع المسيح هو المخلص، والفادي، والمعزي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الآب، والابن، والروح القدس.

٢. قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنه ابن الله، وقالوا: يحق للكون أن يفاخر بابني هذه الطاهرة، أيضًا مثلها دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح، وقال لها: سلام لك أيها المنعم عليها، الرب معكِ.

٣. عرف الناس ولادة كرشنه من نجمه الذي ظهر في السماء، ولما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق، وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.

٤. لما ولد كرشنه سبحت الأرض، وأنارها القمر بنوره، وترنمت الأرواح، وهامت ملائكة السماء فرحًا وطربًا، ورتل السحاب بأنغام مطربة، لما ولد المسيح رتل الملائكة فرحًا وسرورًا، وظهر من السحاب بأنغام مطربة.

٥. كان كرشنه من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر، كان المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه ملك اليهود، ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار.

٦. ولما ولد كرشنه أضيء الغار بنور عظيم، وصار وجه أمام ديفاكي يرسل أشعة من نور ومجد، لما ولد المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيى بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.

٧. ومن بعد رضعته صارت تبكي وتندب سور عاقبة رسالته فكلمها وعزاها، وهناك في يسوع: وقال يسوع لأمه وهو طفل: يا مريم أنا يسوع ابن الله، وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله إليك، وقد أتيت لأخلص العالم.

٨. عرفت البقرة أن كرشنه إله وسجدت له، وآمن الناس به، واعترفوا بلاهوته، وقدموا له هدايا من صدل وطيب، كذلك عرف الرعاة المسيح وسجدوا، وآمن به الناس، وقالوا بلاهوته، وأعطوه هدايا من طيب، ونحو ذلك، وسمع نبي الهنود تارد بمولد الطفل الإلهي كرشنه فذهب وراءه في توكول، وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد، ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودي في أيام هيرودس الملك إذا المجوس من الشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ لما ولد كرشنه كان تاندا خطيب أمه ديفاكا غائبًا عن البيت، حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك، ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبًا عن البيت وأتى كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

٩. ولد كرشنه بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية، ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية، وسمع تندا خطيب أمه ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه فاهرب بهما إلى

كاكول، واقطع نهر جمنه ؛ لأن الملك طالب إهلاكه، وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع وبحلم كي يأخذ الصبي وأمه، ويفر بهما إلى مصر ؛ لأن الملك طالب إهلاكه.

١٠. وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنه الطفل الإلهي، وطلب قتل الولد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد كرشنه، وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع، واسم المدينة التي ولد فيها كرشنه مطرا، وفيها عمل الآيات العجيبة، ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة: إنه ابن الله، وإنه الله إلى يومنا هذا، واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية: المطرية، ويقال: إنه عمل فيها آيات، وقوات عديدة.

١١. كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنه في الناسوت بزمن قليل، وقد سعى فنسا ملك اليهود في إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنه أيضًا، وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل، وقد سعى الملك هيرودس في إهلاك الطفل يسوع المسيح، وكان يوحنا مبشرًا بولادة المسيح.

١٢. عرفت البقر أن كرشنة إله وسجدت له، عرف الرعاة يسوع وسجدوا له.

١٣. أول الآيات والعجائب التي عملها كرشنه شفاء الأبرص، وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص، وأوتي كرشنه بامرأة

فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت، صندل وزعفران، وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنه بعلامة مخصوصة، وسكبت الباقي على رأسه، وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة السمن فسكبته على رأسه وهو متكئ، كرشنه صلب ومات على الصليب، وثقب جنبه بحربة، وقال للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب: اذهب أيها الصياد محفوفًا برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة، يسوع صلب ومات على الصليب، وثقب جنبه بحربة، وقال لأحد اللصين اللذين صلبا معه: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس.

أيضًا هناك تشابه في الموت، وهناك تشابه في الخلق، وهناك تشابه في محاربة الأرواح الشريرة، وتشابهات عديدة جدًّا، والمسيحية تستعير كل هذه الأشياء الوثنية وكل هذه الديانات الوثنية والفلسفات القديمة وتلبسها ثوبًا دينيًّا.

(بين الإسلام واليهودية والنصرانية)

عناصر الدرس

بيان عناصر الاتفاق والاختلاف بين المسيحية واليهودية

تتفق اليهودية والنصرانية في عدد من المبادئ أهمها:

١. الدين منزل من عند الله تعالى، يتفق الفريقان على أن الدين الحق منزل من عند الله تعالى على رسول اختاره من الناس.

٢. أتباع الرسول يدعون بدين الله المنزل وفق الوحي المنزل، وليس لهم أن يغيروا فيه بنقص أو زيادة.

٣. يتكون الدين من عقيدة وشريعة وخُلق، حيث تتضمن العقيدة أركان الإيمان كما هي في الكتب المنزلة بأدلتها، وأيضًا فإن الشريعة تشتمل على أحكام أعمال الناس، وبيان الحلال والحرام، وتعني الأخلاق اشتمال الأديان على المكارم الأخلاقية التي تحقق للإنسان العزة والكرامة، وتمكنه من التمتع بجمال الحياة وسعادة الآخرة، وتحافظ على الأخوة والمودة والتعاون بين البشر أجمعين.

٤. تهتم الدعوات الإلهية بتوجيه الناس إلى صالح الأعمال ومحاسن السلوك؛ لأنهم بها يحاسبهم الله ﷻ.

٥. تبين الدعوات الإلهية أن أعداء الحق يحاربونه ويحاولون القضاء عليه مستفيدين بشبه يتصورونها، وبأكاذيب مختلفة يركزون على إبرازها وظهورها، ودائمًا تأتي الفتنة من قبل هؤلاء الأعداء، ترى الدعوات الإلهية أن للدين الحق أعداء في كل وقت وفي كل مكان؛ لذا وجب على أصحاب

كل دين أن يستعدوا دائمًا لحماية حقهم، وصيانة دينهم بالحسنى، والحوار الطيب، والموعظة الجميلة.

٦. يتفق الفريقان في عدم عصمة الأنبياء، وكذا الملائكة.

ويختلفان في الأمور الآتية:

١. اليهود يعبدون إلهًا واحدًا رغم تصويرهم له بالضعف والتشبه بالبشر والظلم وغير ذلك، والنصارى يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم، أي: أنه يجزئونه ويقسمونه إلى الآب، والابن، والروح القدس.

٢. اليهود أنكروا عيسى عليه السلام بالكلية، ولم يعترفوا به، ولا يزالون منذ أقدم عهودهم حتى الآن ينتظرون مسيحًا ملكًا قويًّا جبارًا، والنصارى بالغوا في حق رسول الله عيسى عليه السلام حتى جعلوه إلهًا معبودًا.

القرآن جاء بما هو صحيح في اليهودية والنصرانية، ونبّه إلى المحرف

إذا كان التوحيد هو أساس الفطرة التي خلق الله الناس عليها، وأن الفطرة دين التوحيد الذي جاءت به كل رسل الله -صلوات الله عليهم أجمعين- فإن الدين الخاتمَ يقف من الرسالات السابقة موقف المصدق لما سبق، والمهيمن عليه، يتمم ما بدأ، ويوضح ما خفي، ويتكامل معها في دعوة الخلق إلى عبادة الخالق وحدَهُ، وإن كان لكل شرعة ومنهاج، لكن اتفقت الشرائع كلها على الأصول العقدية والتشريعية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

هذه الدعوة للتوحيد في كل الشرائع كذلك أصول العبادات من صلاة وزكاة، أخبرنا القرآن بتكامل الشرائع ووحدتها في الأمر بها، وإن اختلفت شريعة عن أخرى في عدد أو كيفية، فقال سبحانه عن شريعة بني إسرائيل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] وقال على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ووصف إسماعيل عليه السلام بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥] وعما جاء به إسحاق ويعقوب قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وبالصلاة أمر الله مريم -عليها السلام- قال سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] وبها نطق عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

وهكذا فالإسلام يصدق ما سبقه من شرائع، ولا يتعارض معه في الدعوة إلى التوحيد أو أصول الشرائع والعبادات، وإن كان لكل جعل الله شرعةً ومنهاجًا، لكن امتاز الإسلام الخاتم بخصائص تتماشى مع طبيعته وكونه خاتم الرسالات جميعًا، ومنها:

أولًا: التصديق لما قبله والهيمنة عليه:

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ووحيُه الصادق، ونص الإسلام الباقي أبد الدهر يصدق ما قبله من الكتب لوحدة مصدر الدين، فكل من عند الله رب العالمين الذي لا يضل ولا ينسى، والذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التغابن: ١٨] وهو المهيمن عليه، فهو دون ما سواه اختص الله بحفظه، وهو وحده الذي توافرت دلائل صدقه وصحته سندًا، وسلامته متنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]

وعن هاتين الصفتين المتلازمتين يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثانيًا: كمال الدين وتمامُ التشريع:

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وذلك أن كل رسالة سبقت كان تشريعها خاصًّا موقوتًا، حتى كانت تمام واكتمال الدين ببعثة سيد الأولين والآخرين محمد -صلوات الله عليه إلى يوم الدين- قال الشهرستاني: الأسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاث: مبدأ، ووسط، وكمال، والمجيء أشبه بالمبدأ، والظهور بالوسط، والإعلان بالكمال، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء على طور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء بالإعلان على فاران - وهي جبال فران في الجزيرة العربية التي بعث عليها سيد الأولين والآخرين- وفي

هذه الكلمة إثبات نبوة المسيح والمصطفى -عليهما السلام- وقد قال المسيح في الإنجيل: ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها.

قال صاحب التوراة: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص، وأنا أقول: إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر، والشريعة الأخيرة وردت بالأمرين جميعًا، إما بالقصاص ففي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨] وأما العفو ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ففي أحكام التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة، وفي الإنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة، وفي القرآن أحكام السياستين جميعًا: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة، وقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة، وقد قال ﷺ هو: ((أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك)).

ومن العجب أن من رأى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة إلى درجة كيف يسوغ له تكذيبه، وهكذا فالقرآن لما توفر له من دلائل الصدق ما حكم بصدقه فهو صدق، وما كذبه فهو كذب، وما سكت عنه لا نحكم له ولا عليه، فهو الوحي الصادق، والدين الكامل، والنعمة التامة.

ثالثًا: العموم:

كانت رسالة كل نبي خاصة بقومه، وأرسل الله نبينا محمدًا -صلوات الله عليه- رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال

سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]

وقال -جل شأنه- آمرًا نبيه أن يجهر في الناس: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] نعم إن الرسالة المحمدية رسالة عامة بالإنس، والجن، والأحمر، والأصفر، والأبيض، والأسود، للعالمين جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولِمَ لا وهي الرسالة الوحيدة التي حفظها الله من التحريف والتبديل، ولِم لا وهي الرسالة الشاملة الكاملة التي أكمل الله بها شريعته، وأتم بها النعمة على الخلق جميعًا، فنسخت ما قبلها من الشرائع، فهي المصدقة لها والمهيمنة عليها، فهي البناء مكتملًا، قال ﷺ: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا، فأكملها وأحسنها إلا موضعَ لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون، ويقولون: هلا وُضعت اللبنة، فأَنَا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيين)).

قال ابن الشريف: لهذا كله كان القرآن صِمام الأمن من مبادئ الهدم ومذاهب الانحراف، كان ركيزة من ركائز الوحدة والاتحاد، ضم الصفوف، ورأب الصدع، ووحد اللهجات والقوانين، وأزال السخائم من النفوس، واستل الأحقاد، وانتزع الثأرات، ومحا الفوارق، ووجه الخلق إلى تعاليم الخالق، وهدي الناس إلى عبادة رب الناس، فتوحدت القبائل المتنافرة، واجتمعت على كلمة واحدة تفيأ ظلالها الوطن العربي كله فعز وساد، والقرآن دعوة عالمية يجب أن تعم المحيط الدولي، وأن تصل إلى الناس كافةً في محيط البقاع والأصقاع، ولا سيما في هاتيك الأنحاء التي لا تعرف عنه إلا ما تردده من كلمات أو بضع آيات ترديدًا لسانيًّا.

إن الهيئات الدينية وأجهزة الوعظ والجامعات الإسلامية، كل أولئك مرجوون الآن لأن يسهموا بإمكانياتهم وطاقاتهم في نشر كتاب الله في تلك الجهات التي لما تسمع داعي الله بوساطة دعاة يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يحملون إلى هؤلاء كتاب الله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويدخلهم في دين الله أفواجًا، ودعوى عالمية الرسالة لغير رسالة سيدنا محمد ﷺ مردودة بنصوص أهلها وبالواقع التاريخي، والمدلول اللفظي، وقصره عن تحقيق أسباب الحياة الطيبة لكل الناس، فليس إلا الإسلام دعوة عالمية راشدة ربانية لا دخل لحبر أو كاهن أو راهب فيها، ولا واسطة فيها بين الله وخلقه، فهي ربانية المصدر، ربانية الغاية والوجهة، كذلك فهي دعوة شمولية ما تركت جانبًا من جوانب الحياة إلا وأنارته بنور الوحي الصادق وأحاطته بنظام إلهي يكفل سعادة الناس في الدنيا والآخرة، وهي دعوى وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، وإنما دعوة معتدلة ميسرة تتفق وأحوال الناس أَنَّى كانت، وهي دعوة مرنة تتماشَى مع الواقع، وتطابق مقتضى الحال في الفروع، ثابتة في قواعدها وأصولها، وهي دعوة واضحة لا لبسَ فيها ولا غموضَ، حلالها بين وحرامها بين.

لكل ذلك كان الحكم بعموم رسالة الإسلام وهيمنة القرآن على ما سبقه من كتب حكمًا موضوعيًّا علميًّا لما تفرد به من خصائص لم تتوفر لغيره، والفروق بينه وبين ما سلف كثيرة واضحة، ولا شك أن الأديان السابقة على الإسلام بصورتها الحالية فقيرة وعاجزة عن الوفاء بحاجات الناس جميعًا ولو اجتمعت، وشاءت حكمة الله بأن يكون الإسلام آخر الرسالات الإلهية، فليس لنا أن ننتظر رسالة أخرى، فهي عامة للناس جميعًا، وأن يكون رسوله المصطفى ﷺ خاتمَ الأنبياء والمرسلين، فما ينبغي أن نتوقع إرسال رسول آخر من لدن العليم الحكيم.

ليس علينا إذًا لنكون خير أمة أخرجت للناس إلا أن نؤمن به حقًّا، وأن نتدين به في كل ما نقول ونفعل، وأن نأخذ أنفسنا أفرادًا وجماعات بشرائعه وتعاليمه وأخلاقه وآدابه، ولقد أوحى الله تعالى إلى أنبيائه كل ما يتعلق بصلاح الإنسان في دنياه وآخرته من أمر الشرائع والتعاليم والأحكام، وما يلحق بها من قصص، وأخبار، وعظات، وأمثال، ودلائل، وبراهين، وغير ذلك.

وكان منها ما يوحى به بلفظه وبصيغة محددة من قبل المولى -جل شأنه- ومنها ما يوحى بمعناه، ويعبر الرسول عنه بما يؤدي هذا المعنى بألفاظه هو، والأول هو الكتب السماوية التي أمرنا باعتقادها، ووجوب الإيمان بها جملة وعلى الغيب ما علمنا منها وما لم نعلم، وتفصيلًا فيما ورد لنا عن طريق الوحي الإلهي معينًا محددًا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] وهذا في الكتب التي أنزلها الله تعالى جملة، وقد ورد ذكر بعض تفصيلًا مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧].

والكتب الإلهية تمثل أوعيةَ التعاليم الإلهية للبشر، وهي جميعًا كتب هداية وإرشاد في المقام الأول، وكل ما يأتي في غضونها من الحكم، والأمثال، والقصص، والأخبار، وحقائق العلم، وعجائب الكون في الزرع، والضرع، والأنفس، والآفاق، وتصريف الرياح، وتسخير السحاب، وانتظام الفلك، كل ذلك يأتي تبعًا للغرض الأول ووسيلة له؛ إذ المقصود هداية البشر إلى ربه، والتزامهم تعاليمه التي تحقق سعادتهم في الدارين.

منزلة القرآن الكريم:

جاء القرآن العظيم في ختام الرسالات الإلهية؛ ليكون مسكَ ختامها، وصوتَ النبوة المدود بعد انقطاع حملتها، فهو بذاته نبوة قائمة في كل جيل، ولقد كان من معجزاته الفذة أن الله لما ختم الأنبياء برسوله مد الله النبوة بالقرآن العظيم مدًّا لا يقبل النسخ، وقد جاء في الحديث الشريف: ((من قرأ القرآن فقد استدرج النبوةَ بين جنبيه، غير أنه لا يوحَى إليه)).

ولذلك كان هذا الكتاب هو معجزة النبي ودليله، وجامع الهدي الإلهي وسبيله، فهو يضم أصول الدين الإلهي كله، ويمثل صحيح الكتب الإلهية، والصحف السابقة جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٦] وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾، ﴿ زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني: كتبهم، ومعنى كون القرآن فيها أي: خبره، أو معانيه في هذه الكتب لاتحاد الموحي وهو الله، ولاتحاد الدين الإلهي للبشر، ولكن القرآن الكريم يختص بأمور أنه جاء جامعًا لكل ما تفرق في الصحف والكتب السابقة من أصول الدين وشرائعه، وأنه يزيد عليها بما اقتضاه فارق الزمان، وطبيعة المرحلة الخاتمة من قواعد وأحكام تصلح للاستمرار والدوام؛ ولذلك ضمن الله تعالى حفظه وصيانته؛ ليكون حجة الله الدائمة على العباد بعد ختم النبيين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقال -عز شأنه-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقد أنزله المولى -جل شأنه- وأحكم آياته وأحكمه على وجه يعجز العالمين، ويصلح للتحدي به في كل الأجيال، ويقوم حجة ناهضة على أن الحق من عند الله، وعلى أنه هو الحق من عند الله، وقد جعل الله تعالى من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧].

موقفه من الكتب السابقة:

إن موقف القرآن الكريم منها ليس بدعًا من المواقف، وإنما هو سنة الله تعالى المطردة في الرسالات السابقة، ويتلخص هذا الموقف فيما يأتي:

١. أنه مصدق لها ولمصدرها الإلهي ولمن جاء بها من رسل الله الأكرمين.

٢. ومصحح لما وقع من تحريف أهلها بعد الرسل -عليهم السلام.

٣. ومبين لما كتموه منها من الحق.

٤. ومضيف إليها من الأحكام على الوجه الذي ذكرناه آنفًا تكميلًا وتتميمًا للشريعة الخاتمة.

٥. ثم هو ناسخ لبعض أحكامها على ما اقتضته حكمة الله تعالى في نسخ الأحكام، ومعظم ما وقع في القرآن الكريم من هذا النوع هو من نسخ التخفيف والتيسير المطلق، كإحلال الغنائم لنا، أو المقيد كعامة الأحكام القرآنية التي وضعت الأغلال والآصارَ عن أهل الكتاب، وهي أحكام

مشددة وضعت عليهم؛ عقوبةً لهم على ظلمهم، فلما بعث الله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن شريعةً عامةً خالدةً، شرع له فيه ما يناسب البشرية إلى يوم القيامة، ودعا الناس جميعًا إلى الإيمان به والدخول في طاعته وشرعته، وأولهم أهل الكتاب السابق، وقد كان هذا الإيمان هو طوق النجاة لهم، والعروة الوثقى التي مدت لهم.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ معناها: أي شاهدًا، وقيل: رقيبًا، وقيل: مؤتمنًا، وقيل: قفانًا، يقال: فلان قفان على فلان إذا كان يتحفظ أموره، فقيل: القرآن قفان على الكتب؛ لأنه شاهد بصحة الصحيح منها وسقم السقيم، والذي نريد تقريره هنا هو أن البشرية إذا أردت أن تتعرف إلى كلمة الله لعباده محفوظة مصونة فليس أمامها إلا القرآن الكريم، وما أنزل به من اتباع الرسول ﷺ وأخذ ما جاء به، والانتهاء عما نهى عنه، وهو كتاب لا يتنكر لتاريخ النبوات وما جاء به الرسل -عليهم السلام- من كتب وأصول، وإنما يوجب الإيمان بذلك إيجابًا، ويجعل هذا أحد أصول الاعتقاد فيه، ثم هو يخضع ذلك لسنة الله المطردة الملزمة في باب النبوات بأن يصدق التالي سابقيه، وأن يتبع أصحاب السابق ما جاء من الله على لسان لاحقيه.

أما مسألة تصحيح القرآن الكريم للأخطاء السابقة والتنبيه إلى المحرف منها فكثير في القرآن الكريم، هاك على سبيل المثال قصة قابيل وهابيل:

جاء في سفر التكوين: وحدث من بعد أيام أن قايين قَدَّمَ من أثمار الأرض قربانًا للرب، وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن ثمارها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جدًّا، وسقط وجهه، فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت فلا رفع، وإن

لم تحسن فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها، وكلم قايين هابيل أخاه، وحدث إذ كان في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه فقتله، فقال الرب لقايين: أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم، أحارسٌ أنا لأخي؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إليَّ من الأرض، فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهًا وهاربًا تكون في الأرض، فقال قايين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل، إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي وأكون تائهًا وهاربًا في الأرض، فيكون كل مَن وجدني يقتلني، فقال له الرب لذلك: كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقايين علامةً لكي لا يقتله كل مَن وجده، فخرج قابيل من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقي عدن، سفر التكوين ٤ / ٣: ١٧.

أما القرآن الكريم فيقول في نفس القصة: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٢٧: ٣٢].

المقارنة بين تصوير نفس القصة في التوراة والقرآن:

معطيات التوراة: التوراة تسمي أحد ابني آدم قايين، وهو القاتل، وتسمي الآخر هابيل، وهو المقتول، القرآن لم يطلق أسماء على ابني آدم، واكتفى بأنهما ابنان لآدم عليه السلام.

التوراة تروي حوارًا مباشرًا بين الابن القاتل قايين وبين الرب، وأنه حدث مرتين قبل القتل وبعده، القرآن يخلو من ذكر هذا الحوار بين الابن القاتل والرب قبل القتل وبعده لا مباشرًا ولا غير مباشر.

التوراة تحدد نوعية ما قدمه الابنان من قرابين، القرآن لم يحدد نوعي القربان، بل اكتفى بذكرهما إجمالًا.

التوراة تقول: إن الرب طرد قايين ولعنه، القرآن يخبر أن القاتل أصبح من الخاسرين بعد قتله أخاه.

التوراة تصرح بأن الرب عفا عن قايين القاتل وحصن دمه، وغلظ عقوبة من يعتدي عليه، ووضع عليه علامة تحذر من قتله، القرآن يخلو من هذا العفو والتغليظ في عقوبة مَن يعتدي على القاتل قابيل، أو من وضع علامة عليه تحذر من قتله.

الحوار الذي روته التوراة احتوى على عدة أفكار ثانوية منها قول قايين للرب: أحارس أنا لأخي؟ لم يرد شيء من أفكار الحوار الذي روته في حديث القرآن الكريم، فضلًا عن عبارة: أحارس أنا لأخي؟ مع ما فيها من سوء أدب مع الله.

التوراة خلت من الحوار الذي دار بين ابني آدم، وحولته إلى الرب وبين ابن آدم القاتل، القرآن يروي حوارًا دار بين ابني آدم، وهو موجز، لكنه صور الواقعة مع مقدماتها تصويرًا مقبولًا.

تحدد التوراة المكان الذي آوى إليه قايين بعد جريمته، يغفل القرآن هذا الجانب تمامًا؛ لأنه لا يضيف شيئًا إلى جوهر الواقعة.

تجعل التوراة ندم قايين نتيجة للعن -للعن الرب- إياه، وطرده من وجه الأرض، يجعل القرآن ندم ابن آدم القاتل نتيجة لإحساسه بقبح جريمته التي اقترفها، وهي قتل أخيه.

أوردت التوراة الواقعة مجرد سرد لحادثة وقعت ولم توظفها تربويًّا ولا تشريعيًّا، وفي روايتها عبارات غامضة، وأغرب ما فيها محاماة الله عن قايين المجرم، وصون دمه، وتغليظ عقوبة من يعتدي عليه، يوظف القرآن الواقعة توظيفًا تربويًّا وتشريعيًّا، ويهول من جريمة قتل النفس البريئة، ويجعلها بمثابة قتل جميع الناس، كما يعظم من فضل حماية النفس من الاعتداء عليها، ويجعلها بمثابة إحياء الناس جميعًا؛ ترغيبًا في صون الدماء.

بين الإنجيل والقرآن في بشارة زكريا عليه السلام:

وهذا نموذج آخر من آلاف النماذج في المفارقة بين القرآن والكتاب المقدس بتوراته وإنجيله مما يبعد معه بل ويستحيل اقتباس القرآن من العهدين القديم أو الجديد كما يقول المستشرقون، إنما الصحيح أن القرآن مصحح للأخطاء السابقة، وبشارة زكريا بيحيى -عليهما السلام- مذكورة في إنجيل لوقا، وغيره من الأناجيل، لكن لوقا هنا هو موضع المقارنة، وفي القرآن أيضًا حديث عن البشارة، لكن سورة مريم هي موضع المقارنة، جاء في إنجيل لوقا: كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هارون واسمها أليسباط، وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب

وأحكامه بلا لوم، ولم يكن لهما ولد، إذ كانت أليساباط عاقرًا، وكان كلاهما متقدمين في أيامهما، فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجًا وقت البخور، فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف.

فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليسباط ستلد لك ابنًا، وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته؛ لأنه يكون عظيمًا أمام الرب، وخمرًا ومسكرًا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار؛ لكي يهيئ للرب شعبًا مستعدًا، فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا لأني شيخ وإمراتي متقدمة في أيامها؟! فأجاب الملاك، وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنت تكون صامتًا، ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا؛ لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل، فكان يومئ إليهم وبقي صامتًا.

أما القرآن الكريم فقد أورد نفس القصة كما يلي: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ

يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١: ١٥].

وتقوم المقارنة هنا على أمرين؛ أحدهما: انفراد القرآن الكريم بحقائق غير موجودة في الإنجيل، وثانيهما: تصحيح القرآن أخطاء في الإنجيل.

أولًا: بيان انفراد القرآن بحقائق ودقائق لا وجود لها في الإنجيل، وها هي:

١. قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها محررًا لله تعالى لا توجد في الإنجيل بينما سجلها القرآن.

٢. شكوى امرأة عمران لله أنها ولدت أنثى ولم تلد ولدًا، وكأنها تعتذر لله عن عدم الوفاء بنذرها؛ لأن الإناث لا يصلحن للنذر، وهذا بدوره لم يرد في النص الإنجيلي.

٣. كفالة زكريا للمولودة ووجود رزقها عندها دون أن يعرف مصدره، وسؤاله إياها عنه، وهذا لا وجودَ له في الإنجيل.

٤. ربط القرآن بين دعاء زكريا ربه أن يهب له ذرية طيبة وبين مولودة امرأة عمران، والإنجيل يغفل هذا كله.

٥. دعاء زكريا عليه السلام منصوصٌ عليه في القرآن، وليس له ذكر في الإنجيل.

٦.رتب زكريا على دعائه الله أن يهبه ولدًا يرثه ويرث من آل يعقوب، ولم يرد هذا في الإنجيل.

٧.ذكر القرآن السبب الذي حمل زكريا على دعائه ربه، وهو خوف الموالي من بعده، وليس للإنجيل صلة بهذا.

٨.أمر زكريا قومه بعد خروجه من المحراب أن يسبحوا الله بكرة وعشيًّا، هذا الأمر لم يرد في الإنجيل.

٩.الثناء على يحيى بأنه بار بوالديه، وأنه -عليه سلام- يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا، ورد في القرآن فحسب دون الإنجيل.

١٠. نداء الله يحيى وأمره بأخذ الكتاب، والإخبار بأن الله آتاه الحكم صبيًّا، انفرد القرآن بذكره، وخلا منه الإنجيل.

أما عن تصحيح القرآن الأخطاء الإنجيلية فبيانُه كالتالي:

أ.جعل الإنجيل الصمت الذي حل بزكريا عقوبة من ملاك الرب؛ لأنه لم يصدق كلامه، فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعل الصمت استجابة من الله لدعاء زكريا. والصمت كان تكريمًا لزكريا وأمارة على قرب الوفاء بالبشارة: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ [مريم: ١٠].

ب. حدد الإنجيل مدة الصمت من خروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن يولد يحيى، وهذا خطأ بين صححه القرآن وجعل المدة ثلاثة أيام بلياليها.

ج. جعل الإنجيل البشارة على لسان ملاك واحد، فصحح القرآن هذا الخطأ وجعلها على لسان جميع الملائكة: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

د. جعل الإنجيل التسمية بيحيى أو يوحنا من اختيار زكريا، بَيْد أن الملاك قد تنبأ، أما القرآن فيعزو هذه التسمية إلى وحي الله ﷻ إلى زكريا.

ه. ذكر الإنجيل أن زكريا حين جاءه ملاك الرب وقع عليه خوف واضطراب، أما القرآن فلم ترد فيه نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا، ولو كان زكريا قد خاف واضطرب فعلًا لذكره القرآن، فكان سكوت القرآن عن هذا تصويبًا لما ورد في الإنجيل.

وهناك نماذج كثيرة وردت في القرآن ولم ترد في الأسفار المقدسة عندهم، فليس في سفر التكوين مثلًا ما ورد في القرآن من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وعصيان إبليس، وليس فيه قصص إبراهيم مع قومه وتخريبهم لأصنامهم، ونظرته في النجوم، وليس فيه ما في القرآن من محاورة بين نوح وابنه الكافر، وليس فيه ما في القرآن من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف ولا كلام النسوة، ودعوة امرأة العزيز إياهن وتقطيع أيديهن، وقُلْ مثل ذلك في خبر سحرة فرعون، والقرآن يذكر أن الشخص الثاني الذي أراد موسى أن يبطش به هو عدوه، في حين أن سفر الخروج يذكر أنه عبراني، والقرآن يذكر أن الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو السامري، في حين أن سفر الخروج يذكر هارون، والقرآن يذكر أن بنات رجل مَدْين اثنتان في حين أن سفر الخروج يذكر أنهن سبع، وليس في أي سفر ما ورد في القرآن من محاورة بين فرعون وهامان لأجل بناء الصرح ليطلع إلى إله موسى، وليس فيها كذلك أمر موسى قومه بذبح بقرة ومحاورته معهم، ولا أمر الله بدخول الباب سجدًا أو مخالفتهم لهذا الأمر، ولا خبر عداوتهم في السبت ومسخهم قردة، وليس فيها تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود، وتسخير الريح والجن لسليمان، ولا قصة الهدهد، ولا كتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها، وإحضار عرشها بلمح البصر من قِبل الذي عنده علم من الكتاب.

مقارنة بين صفات الأنبياء في الإسلام واليهودية

إن الأنبياء في اليهودية أو في العهد القديم موصوفون بأوصاف هابطة كالزنا وشرب الخمر، وقد تقدم بيان ذلك، وفي الإسلام العصمة التامة لأنبياء الله. يقول الشيخ محمد الغزالي –عليه رحمة الله–: وحياة الأنبياء تحلق في مستوى من الكمال لا تهبط عنه أبدًا، والمؤمن من عامة الناس تتذبذب حرارته في مدارج الاتقاء، ويعتبر الحد الأسمى الذي يقف عنده هو مقام الإحسان، وهو: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) بيد أن مقام الإحسان –وهو آخر ما يصل إليه الناس بعد الجهد والمران– هو المرتبة الدنيا للأفق الذي يعيش الأنبياء فيه؛ إذ يستحيل في حقهم أن يسقطوا دونه، أما ما يرقون فيه بَعْدُ من معاني الصلة بالله فأمر لا ندرك كنهه، وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة، فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها، ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار –وهذا تعبيري– وقد يقع منهم خلاف الأولى، والأفضل يعاتبون من الله عليه، ويوفقون إلى الصواب فيه، ولكن هذا لا يصل للأمور الاعتقادية أو الخلقية مما يعد الوقوع فيها أمرًا شائنًا. بل مكان ذلك الأمور التقديرية التي تتفاوت فيها الأنظار عادة من شئون الدنيا وسياسات الأمم.

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين في حق الله؛ لأنهم أعرف الناس به وبجلال ذاته، وعظمة حقوقه على عباده، وبقصور الهمم مهما بذلت عن الوفاء مما ينبغي له، وإذا كانوا يعدون ذلك ذنوبًا تتطلب الاستغفار، فليس استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا أو نرتكب من سيئات، وما ورد مما يوهم غير ذلك فإن حقيقته وراء أوهام العامة.

والأنبياء أيضًا صفوة البشر من الرجال الذين اصطفاهم رب العالمين ليبلغوا عنه رسالته -هذا كلام الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد في كتابه (المنهاج القرآني في التشريع)- ثم هم أيضًا بقدر الله وحكمته الطريقُ المتفرد لمعرفة التكاليف الإلهية في كل شئون الحياة من أعلاها إلى أدناها؛ لذلك كان الإيمان بهم أصلًا أصيلًا من ركائز هذا المنهاج الإلهي.

بعض أمور في إيماننا بالنبيين:

يقرر الحق سبحانه وتعالى أن الرسالة هبة إلهية يمنحها الله تعالى لمن شاء من عباده على علم وحكمة، وأنها ليست من ضروب الكسب الاجتهادي، أو مما يعطى بالدعاوى والأماني، أو بمناصب الدنيا ومنازلها: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] والله سبحانه وتعالى يتولى من يصطفيه بالرسالة بالإعداد والرعاية؛ والتربية حتى يصل به إلى منزلة عليا من الكمال البشري يتهيأ بها لتلقي الوحي الإلهي الذي لا يطيقه عامة البشر، وقد أيدهم الله بالمعجزات الخارقة للعادة؛ تصديقًا لهم في دعوة النبوة أولًا، وإقامة للحجة على البشر بدليل دامغ لا يرد ثانيًا، وقطعًا لطريق الادعاءات الكاذبة ثالثًا، فإنه ما ادعى إنسان نبوة قط، ثم مكنه الله من معجزة على وفق مراده إلا أن يكون صادقًا.

وقد قرر الله ضرورة الرسالة للعباد، وأنها طريق الله تعالى لتعليمهم دينه، وشريعته، وحقوقه، وصفاته العلى مهما كان نصيبهم ابتداء من السمو الأخلاقي والاجتماعي، وقد قرر القرآن الكريم أن هذه الرسالة ليست ضرورة فحسب، وإنما هي هداية ورحمة وفضل عظيم من رب العالمين، كان خليقًا أن يتلقى بالقبول والسرور لا بالجحود والنكران، ومن هنا كان الواجب علينا أن نؤمن إجمالًا بهؤلاء النبيين -عليهم السلام- وأنهم بلغوا حدًّا من الكثرة لا

يعلمه إلا الله تعالى، وكذلك وجب علينا الإيمان تفصيلًا لمن قص الله تعالى علينا أخبارهم أو أسماءهم: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] وهذه الرسالة ليست محض تشريف للرجال الأكرمين الذين حملوها، وإنما هي تكليف صعب، وحمل ثقيل، وأعباء باهظة المغارم، والتضحيات في هذه الحياة؛ ولذلك كان الرسل -عليهم السلام- أكثر الناس تحملًا وصبرًا، وأشدهم بلاء وأذى، وأعمق الناس خشوعًا وخوفًا وإخباتًا لله تعالى، وأكملهم في باب العبودية والخضوع.

صفات الله في القرآن والعهد القديم

سبق وتقدم بيان أن اليهود ينسبون للذات العلية ما هو أحط من صفات البشر، ويصفون بالظلم، والجور، والضعف، وغير ذلك، لكن في الإسلام الله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] وهو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر بعد كل شيء: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]، وهو سبحانه بذاته وجود غيبي: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولكنه يعرف بآثاره في كل شيء، وتقوم كل ضروب الأدلة على وجوده وتفرده واستحقاقه لكل صفات الكمال، ودليل وجوده العقل والفطرة والشعور الباطني، وما خلق الله من شيء، ثم وذلك كله مقرر في نصوص الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥] وبداهة العقل عند كل إنسان قاضية أن لكل مصنوع صانعًا، وأن لكل حادث موجدًا، والله تعالى يلزم المعاندين إلزامًا أن يعترفوا بوجوده الأعلى حين يسألهم عن أنفسهم هل جاءت على خلاف هذه القاعدة، وهو ادعاء باطل إن زعموه أم هل خلقوا أنفسهم؟ وهو ما لا يستطيعون ادعاءه، فلم يبق إلا أن يعترفوا بوجود قوة عليا خلقتهم، وخلقت كل شيء.

الوحدانية:

ونعني بها تفرده ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، فليس له في ذلك شريك، ولا نظير، ولا مقارب أو مثيل، وهذه الحقيقة جعلها الله سبحانه فاتحة التكليف، ومحور الدين، وعليها يتأسس الدين كله، وكما قلنا: لم يكن الوجود الإلهي قضية بين الوحي والأمم لشيوعه بينهم، وتسليمهم به، ولكنهم كانوا يتخذون معه شركاء تحت مختلف الدعاوَى والأسماء، حتى قالوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

التفرد بصفات الكمال المطلق:

فما مِن صفة من صفات الكمال المطلق الذي لا تحده نسبة ولا إضافة، إلا والله متصف بها فوق ما تتصوره عقولنا المحدودة، ومنه العلم، فالله ﷻ يعلم الأشياء كلها علم إحاطة وانكشاف، السر عنده علانية، والغيب عنده شهادة: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢]، ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٣].

القدرة:

وهي ككل صفاته ﷻ ثبوتية مطلقة شاملة لا تحجزها العوائق، ولا تقف دونها عقبات، ولا تحد بحدود العقل البشري، ولا غيره من أدوات الخلائق، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

الأسماء الحسنى:

وهي كلها أوصافُ كمال وجلال وجمال لله رب العالمين، جرت مجرى الأسماء، وجاءتنا عن طريق الشرع: إجمالًا كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ

بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وتفصيلًا: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخر الآيات.

التنزه المطلق عن كل نقص:

فإن كماله ﷻ لا يشوبه نقص ما، بل هو سبحانه منزه عن كمالات غيره من المخلوقات؛ لأنها محدودة محصورة، واتصافه بها نقص عن الكمال المطلق، والله يتعالى عن ذلك، فإن وصف عبيده بوصف من أوصافه كالعلم والكرم، فإنما هو التقاء في الألفاظ، ولكن بين المعاني في الجانبين آفاق وآماد بقدر ما بين الخالق والمخلوق، والقرآن الكريم يكثِر من تنزيه المولى عما لا يليق به من صفات وأفعال؛ تعليمًا لنا وتكليفًا: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤] ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وهكذا تنفي الآيات عن المولى ﷻ كل مماثلة للخلق في الذات والصفات والأفعال، فليس له أصول، ولا فروع، ولا زوج، ولا نظير، ولا يقع منه ظلم، ولا يلحقه نسيان، ولا نوم، ولا ما هو أقل منه، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع العامة

١. (**القرآن الكريم**).

٢. (**العهدين القديم والجديد**).

٣. (**التوراة**).

٤. (**دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية**)

سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، ٢٠٠٦م.

٥. (**اليهودية والمسيحية**)

محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، ١٩٨٨م.

٦. (**الدين: بحوث ممهدة لدراسة الأديان**)

محمد عبد الله دراز، دار القلم، ١٩٧٠م.

٧. (**تاريخ الديانة اليهودية**)

محمد خليفه حسن، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٨م.

٨. (**إظهار الحق**)

دار التراث العربي، رحمة الله الهندي، ١٩٧٨م.

٩. (**الملل والنحل**)

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، دار المعرفة، ١٩٩٣م.

١٠. (**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**)

أحمد بن الحليم بن تيمية، دار العاصمة، ١٩٩٩م.

١١. (**محاضرات في النصرانية**)

محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٨٣م.

١٢.(**تنقيح الأبحاث للملل الثَّلاث : اليهودية ، المسيحية ، الإسلام**)

سعد بن منصور بن كمونة اليهودي ، دار الأنصار ، ١٩٨٢م

١٣.(**التاريخ اليهودي العام**)

صابر طعيمة ، دار الجيل ، ١٩٨٣م

١٤.(**الإنسان والأديان : دراسة مقارنة**)

كمال جعفر ، دار الثقافة للطباعة ، ١٩٨٥م

١٥.(**الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**)

شهاب الدين القرافي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م

١٦. (**موسوعة مقارنة الأديان**)

أحمد شلبي ، دار النهضة المصرية ، ١٩٩٠م.

١٧.(**الكتاب المقدس**)

مراجعة : لجنة من قساوسة الشرق ، طبعة دار المشرق ، ١٩٨٦م.

١٨.(**التوراة السامرية**)

ترجمة وتحقيق : أبو الحسن إسحق الصوري وأحمد حجازي السقا ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧م.

